تاريخ مصر في عصر البطالمة
(٣٢٣ – ٣٠ ق. م)

دكتور
حسن أحمد حسن الأبياري
مدرس التاريخ اليوناني والروماني
كلية الآداب - جامعة عين شمس
(٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ م)

تمهيد

يعد فتح الإسكندر المقدوني لمصر عام ٣٣٢ ق . م . نقطة تحول كبري في تاريخ مصر القديم، وحدا فاصلا بين عهدين، العهد الفرعوني، والحقبة الهللينيستية التي امتزجت فيها الحضارتين المصرية والهللينية علي نحو لم يسبق له مثيل. ذلك أن الملوك البطالمة الذين حكموا مصر بعد الإسكندر الأكبر ودام ملكهم زهاء ثلاثة قرون (٣٢٣-٣٠ ق. م.) اتخذوا خلالها سياسة ثابتة في الاعتماد علي العناصر المقدونية والهللينية في إرساء دعائم دولتهم ليس فقط عن طريق تجنيدهم في الجيش والأسطول البطلمي، وإنما اعتمدوا عليهم في مختلف مناحي الحياة الإدارية والاقتصادية والثقافية والعلمية. فشجعوا هجرة الهللينيين إلي مصر بأن أجزلوا لهم العطاء ومنحوهم مركزا ممتازا ليضمنوا استمرار وفودهم علي مصر بكثرة واستقرارهم فيها علي الدوام.

وحقيقة الأمر أن العلاقة بين هاتين الأمتين ترجع إلي أقدم الحقب التاريخية، فقد كشفت آثار العصر الهيللادي في كل من كريت واسبرطة وموكيناي وأرجوس علي وجود علاقات تجارية بينها وبين مصر بلغت ذروتها خلال عصر الدولة الفرعونية الحديثة. وخلال العصر الصاوي حضر الهللينيين بأعداد كبيرة إلي مصر كان بعضهم من التجار حيث كانت بلاد اليونان تعتمد اعتمادا كبيرا علي استيراد بعض السلع الهامة من مصر ولاسيما القمح و ورق البردي وتصدير الفضة اللازمة لسك العملة في مصر هذا فضلا عن حاجة مصر خلال العصر الصاوي إلي استخدام الجنود المرتزقة الإغريق

في الجيش المصري فمثلا استعانوا بإغريق كورنثة من أجل بناء أسطول حربي حديث لمصر، وفي عهد "بسمتيك الثاني" كانت توجد ثلاث حاميات إغريقية كبيرة الأولي عند بحيرة ماريوط لحماية حدود مصر الغربية والأخرى عند تل دفنه(بالقرب من برزخ السويس) لحماية الحدود الشرقية والثالثة عند جزيرة فيلة لحماية حدود مصر الجنوبية. وفي عهد الملك "أبسمتيك" تم بناء أول مستوطنة إغريقية في مصر، وهي مدينة "تقراطيس"(كوم جعيف بمحافظة البحيرة) وعندما أرتقي "أحمس الأول" العرش جمع فيها التجار الإغريق المقيمين في مصر وسمح لهم بتكوين مجتمع المواطنين πολιται وأن ينشئوا فيها المؤسسات التي كانت تتميز بها المدن الإغريقية في بلاد اليونان مثل ساحة السوق العامة و الجيمنازيوم والمعابد والمسرح والجمعيات السياسية ، وكانت تتمتع بالحكم الذاتي في إدارة شئونها المحلية وفقا لقوانينها ونظمها الخاصة .

وقد سعي البطالمة لنشر الحضارة الهللينية في مصر فاستكملوا بناء مدينة الإسكندرية ومنحوها كافة مظاهر الحياة بالمدن الهللينية ،وانشأوا بها المكتبة والجامعة اللذين أصبحا منبعا فياضا للحضارة الهللينية، فشهدت الإسكندرية ظهور مجموعة من الفلاسفة المتأثرين بتعاليم سقراط وأفلاطون وأرسطو، وأجتمع فيها أشهر شعراء العصر من أمثال "كليماخوس"و"أبوللونيوس الرودوسي" الذين قاموا بدراسة الشعر الهلليني القديم فضلا عن كتاب المسرح من أمثال الكاتب التراجيدي "سوسثيوس"والكاتب الكوميدي"ماخون". كما ظهر فيها مجموعة من انبغ

العلماء في مختلف التخصصات مثل الطبيب "هيروفيلوس" وعالم الرياضيات "إقليديس" والفلكي "هيبارخوس" وعـالم الطبيعة "أرشميديس" ، وبفضل جهود هؤلاء العلماء قامت بالإسكندرية حركة علمية كبري. وفي مجال التاريخ ظهر الكاهن المصري "مانيتون السمنودي" كأول مؤرخ، بالمعني المفهوم للكلمة، يظهر في مصر، عندما كتـب حولياتـه الشهيرة عن التاريخ المصري القديم تنفيذا لرغبة الملك البطلمي " فيلادلفوس ". وقد كتبه باللغة الهللينية، وكـان أسلوبه ومنهجه متأثراً بكتاب النثر الهللينيين.

بيد أن ذلك كله لا يعني محو الشخصية المصرية فعلي الرغم من أن اللغة الهللينية أصبحت هي اللغة الرسمية في البلاد إلا أن اللغة الديموطيقية ظلت هي لغة الشعب، كما كانت اللغة الهيروغليفية هي اللغـة المقدسة التي كانت تستعمل في نقوش المعابد والكتب المقدسة والصلوات. وتدل الوثائق الديموطيقية علي أن المصريين بوجه عام كانت لهم عادات ثابتة تقوم علي أسس حضارة وديانة ترجعان إلي أقدم العصـور وظلوا محافظين علي نمط معيشتهم وتقاليدهم المصرية العتيقة، عدا نفر مـنهم اصـطبغوا فـي تعلـيمهم وملبسهم وأسمائهم بصبغة هللينية لم تكن أكثر من طلاء خارجي لم يمس جوهرهم ، وأما الغالبية العظمي فإنها بقيت بعيدة حتى عن مظاهر الحضارة الهللينية.

و حين نتحدث عن تاريخ هذه الحقبة في مصر لا يمكن أن نغفل حقيقة أن التـأثير الحضـاري بـين المصريين والهللينيين كان متبادلا فقد انبهر الهللينيين بكثير من مظاهر الحضارة المصرية القديمة التي كانت في أوج ازدهارها قبل ظهور الحضارة الهللينية بألف عام . وهناك إشارات كثيرة تدل علي ذلك فالفيلسوف الإغريقي أفلاطون في محاورة "طيماوس" يجعل أحد الكهنة المصريين يقول للمشـرع الأثينـي الشهير سولون " إنكم أطفال أيها الهللينيين" (بالقياس إلي الحضارة المصرية) . ونقرأ عنـد أرسـطو أن " مصر هي البلد الذي نشأت فيه الرياضيات "، كذلك زار كثير من أئمة الفكر الهللينـي مصـر قبـل الفـتح المقدوني مثل"طاليس" و"فيثاغورث" و"أفلاطون"لكي يتزودوا بعلومهـا وحكمتهـا. وفـي ظـل الحضـارة الهللينيستية انتقل مركز الثقل الحضاري إلي بلدان الشرق الأدنى ولاسيما إلي مدينة الإسكندرية .

وقد نجح البطالمة في التأليف بين قلوب المصريين والهللينيين عن طريق انشاء عبادة مشتركة بينهما هي عبادة "سرابيس" ، كما أن بعض الهللينيين كانوا يتعبدون لبعض الآلهة المصرية مثل الربة "إيـزيس". وخلال العصر البطلمي كان لكل من المصريين والهللينيين قوانين خاصة بكل فريق، بيد أنـه إزاء تشـابك مصالح الفريقين ومعيشتهما جنبا إلي جنب في قطر واحد يهيمن عليه ملك واحد لم يكن هناك مفر مـن أن تتسرب إلي قوانين كل من الفريقين بعض مظاهر قوانين الفريق الآخر. ومن دلائل المزج بين الحضـارتين المصرية والهللينية ما ظهرمن تأثر المصريين والهللينيين بعضهما ببعض في بعض قطع النحت التي يختلط فيها الطراز الهلليني بالطراز المصري .

الفصل الأول

الفتح المقدوني للشرق الأدنى

بروز قوة مقدونيا.

دوافع الإسكندر الأكبرلفتح الشرق الأدنى.

مراحل الفتح المقدوني.

فتح مصر.

بناء مدينة الإسكندرية.

زيارة الإسكندر إلي معبد آمون رع في سيوة.

تنظيمات الإسكندر في مصر.

أستكمال فتح الشرق الأدنى.

الفتح المقدوني للشرق الأدنى

سيطرة مقدونيا علي بلاد اليونان

خلال القرن الرابع قبل الميلاد أخذت دويلات المدن اليونانية تضعف في الوقت الذي تولي فيه عرش مقدونيا[١] ملك قوي طموح هو فيليب الثاني المقدوني الذي أخذ يعمل علي تقوية مملكته بتنمية اقتصادها وبناء جيش قوي مسلح بأحدث أسلحة العصر. وقد رأي فيليب أن ينتهز حالة بلاد الإغريق السيئة فيوحدها بزعامة مقدونيا بحجة الرغبة في التصدي للخطر الفارسي المحيط ببلاد اليونان، وتحرير المدن الإغريقية في ساحل آسيا الصغرى من قيود الفرس. وعندما فشل فيليب في إقناع المدن الإغريقية علي الانضمام إلي مقدونيا اشتبك معها في حروب طويلة كانت أهمها معركة خايرونيا التي هزم فيها أثينا وحلفائها عام (٣٣٨ ق. م.) وألف من أغلب الدول الإغريقية عصبة مقرها مدينة "كورنثة". ولم تلبث هذه العصبة أن قررت محاربة الفرس بقيادة مقدونيا، غير أن القدر لم يمهل فيليب تحقيق حلمه الأكبر في القضاء علي الإمبراطورية الفارسية، ذلك أنه بينما كان يستعد لغزو الشرق الأدنى لقي حتفه علي يد مقدوني يدعي " بوزالياس " سنة (٣٣٦ ق.م.) [٢]

الإسكندر يتولي عرش مقدونيا

انتقل الملك بعد فيليب الثاني إلي ابنه "الاسكندر الثالث" (الأكبر) في عام(٣٣٦ ق. م.)،وهو في العشرين من عمره، وكان متأثراً بآراء مربيه ومعلمه الفيلسوف الشهير أرسطو ، وقد أظهر منذ صباه نبوغا وطموحا لتحقيق أمجاداً عسكرية، وأعتمد عليه أبوه في حكم مقدونيا في فترات غيابه عنها وهو لا يتعدى بعد السابعة عشرة من العمر. وعندما قُتل فيليب قابلت المدن اليونانية اغتياله بالفرح والتهليل وعظمت قاتله لأنه سلبها حريتها، وقاموا بطرد الحاميات المقدونية من أراضيها، غير أن الإسكندر نجح في سحق حركات التمرد التي قام بها الإغريق،وأجبرهم علي الخضوع لمقدونيا ، وانتخابه قائداً عاما Στρατηγος لليونان ومقدونيا ووعدوه بتقديم المساعدات العسكرية اللازمة للقيام بتنفيذ مشروع والده فيليب وغزو الشرق الأدنى والقضاء علي الإمبراطورية الفارسية، وذلك باستثناء مدينة "اسبرطة" .

دوافع الإسكندر الأكبر لفتح الشرق الأدنى

وبعد عامين من اعتلاء الإسكندر العرش شرع في القيام بالحملة ضد الإمبراطورية الفارسية، ويقال أنه قبل مغادرته بلاده إلي ساحة القتال قسم كل ضياعه الملكية وأمواله بين أصدقائه وعندما سأله القائد برديكاس: ما الذي تركته لنفسك أجابه الإسكندر قائلا :"الأمل" ولعله كان يقصد بهذا الأمل تطلعه للإستيلاء

---

[١] تقع مقدونيا في أقصي شمال بلاد اليونان ، وقد ظلت لفترة طويلة بمعزل عن الحضارة الهللينية ، ولم يعترف الإغريق بأن المقدونيين ينتمون للعنصر الهلليني المتحضر ، وإنما اعتبروهم برابرة (أجانب همجيين) ، حتى قام الإسكندر الأول ملك مقدونيا بمساعدة الإغريق لطرد الفرس من بلاد اليونان خلال الحملة الفارسية الثانية ، ونتيجة لهذا الموقف وصف الإغريق الإسكندر الأول بأنه ملك محب للهللينيين.ومنذ ذلك الحين بدأ ملوك مقدونيا في قبول اللغة والثقافة الهللينية والاندماج في العالم الإغريقي.

[٢] كانت العلاقة بين فيليب الثاني وزوجته أولمبياس متوترة ووصل الخلاف بينهما إلي ذروته عندما هجر فيليب زوجته وتزوج بأميرة مقدونية تدعي كليوباترا وضعت له غلاما أصبح يهدد ابنها الإسكندر في وراثة عرش مقدونيا. وقد قامت أولمبياس انتقاما لكرامتها وحفاظا علي العرش لابنها بتحريض بوزالياس علي قتل فيليب.

علي خيرات الشرق الأدنى وثرواته الوفيرة واستبدال حكم مملكة مقدونيا بحكم إمبراطورية تشمل أغلب مناطق العالم القديم يكون مقرها احدي مدن الشرق الأدنى.

وقد اختلفت الآراء حول دوافع الإسكندر الأكبر لغزو الشرق الأدنى، فالبعض يري أنه كان حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب [1] تحت شعار الانتقام من الفرس لغزوهم بلاد اليونان في عهد الملك " دارا الأول" وأبنه "خشيار شاي" . وقد شجع الإسكندر علي القيام بهذه المغامرة معرفته بمبلغ ضعف الإمبراطورية الفارسية والصراع السياسي بين الأمراء الفرس للفوز بالعرش وسوء إدارة الولايات الفارسية . وهكذا واتت الإسكندر الفرصة لتحقيق الفكرة التي نادي بها بعض كبار المفكرين الإغريق من أن القيام بتوجيه حملة كبري ضد الشرق الأدنى سوف يكون فرصة لتوحيد الإغريق، وتوجيه طاقتهم العسكرية ضد عدو خارجي بدلا من الحروب الداخلية فيما بينهم والتي استنزفت قواهم البشرية والاقتصادية. وفي الوقت نفسه إشباع رغبته في حب المغامرة وركوب المخاطر المرتبطة بتحقيق الثروة والمجد العسكري الذي كان الإسكندر يتطلع إلي تحقيقه منذ صباه [1] .

بيد أنه لا يخفي علينا أن التضخم الذي ساد بلاد اليونان وزيادة عدد السكان بصفة مستمرة وقلة الموارد الاقتصادية الأساسية،ولاسيما القمح، قد أوجد حاجة ماسة إلي توسع الإغريق خارج بلادهم. وقد كان فتح مناطق الشرق الأدنى الغني بأنهاره ومحاصيله الزراعية وثرواته المختلفة أمام المهاجرين الإغريق فرصة ذهبية لكي يتخلص الإغريق من الأوضاع الاقتصادية السيئة التي كانوا يعانون منها في بلادهم هذا فضلا عن أن سيطرة الفرس وحلفائهم الفينيقيين علي التجارة في شرق البحر المتوسط كان يقف عقبة أمام التجار الإغريق لتصريف منتجاتهم واستيراد ما يلزمهم ولاسيما من القمح المصري .

مراحل الفتح المقدوني للشرق الأدنى

وفي ربيع عام (٣٣٤ ق. م.) عبر الجيش المقدوني براً وبحراً مضيق الهلسبونت علي رأس جيش يتألف من ثلاثون ألف من المشاة ، وخمسة آلاف من الفرسان، نزل بسهل طروادة في الركن الشمالي الغربي لآسيا الصغرى،وعند نهر جرانيكوس تمكن من هزيمة جيشا فارسيا قوامه أربعون ألف مقاتل مما فتح الطريق أمامه للإستيلاء علي كاريا وليكيا وفريجيا والأناضول .

---

[1] يروي هيرودوت عن المؤرخين الفرس أن قيام الفينيقيين بخطف الأميرة "آيو" أبنة "ايناكوس" ملك "آرجوس" كانت بداية الفظائع بين الشرقيين والإغريق ، ذلك أنهم رداً علي هذا الاعتداء قام الإغريق بخطف "أوربا"ابنة ملك مدينة صور ، وأنه عندما قام "باريس" بن بريام الطروادي بخطف الأميرة هيلينا زوجة ملك اسبرطة في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد رد الإغريق علي هذا الأعتداء بغزو مدينة " طروادة " وحصارها لمدة عشر سنوات وتدميرها ، ونتيجة لهذا العداء القديم قام الفرس بغزو بلاد اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد ، مما أدي إلي فتح حلقة جديدة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب . وكانت "أولمبياس" أم الإسكندر الأكبر تدعي الانتساب إلي أخيليوس " بطل الإغريق في حرب طروادة ، ومن أجل هذا كان الإسكندر يفسر عبوره الهلسبونت بأنه تتبع لخطوات "أخيليوس" واستيلائه علي آسيا بأنه استكمال للعمل الذي بدأه جده الأعلى في طروادة .

[٢] روي عن الإسكندر عندما سمع بالانتصارات الباهرة التي كانت من حظ آبيه قوله < إن أبي لم يترك لي بلاداً أفتتحها > برغم أنه كان لايزال في عامه الثاني عشر. ولما قيل له ألا تدخل إلي المسابقة لنيل الجائزة في الألعاب الأولمبية ؟ أجابهم نعم لو وجدت هنالك ملوكا من المناظرين.

ومن المفارقات الغريبة أن المدن اليونانية في ساحل آسيا الصغرى قاومت جيش الإسكندر مقاومة شرسة علي الرغم من ادعائه أنه جاء لتحريرها من قيود الاحتلال الفارسي، بيد أن هذه المدن لم تنخدع بهذه الرسالة القومية ، ولاسيما وأنها في ظل الحماية الفارسية نعمت بالرخاء الاقتصادي نتيجة لسيطرتها علي التجارة في بحر ايجة وآسيا الصغرى. فقام الإسكندر بإخضاعها بالقوة مثلما قام من قبل بإخضاع دويلات المدن في بلاد اليونان .

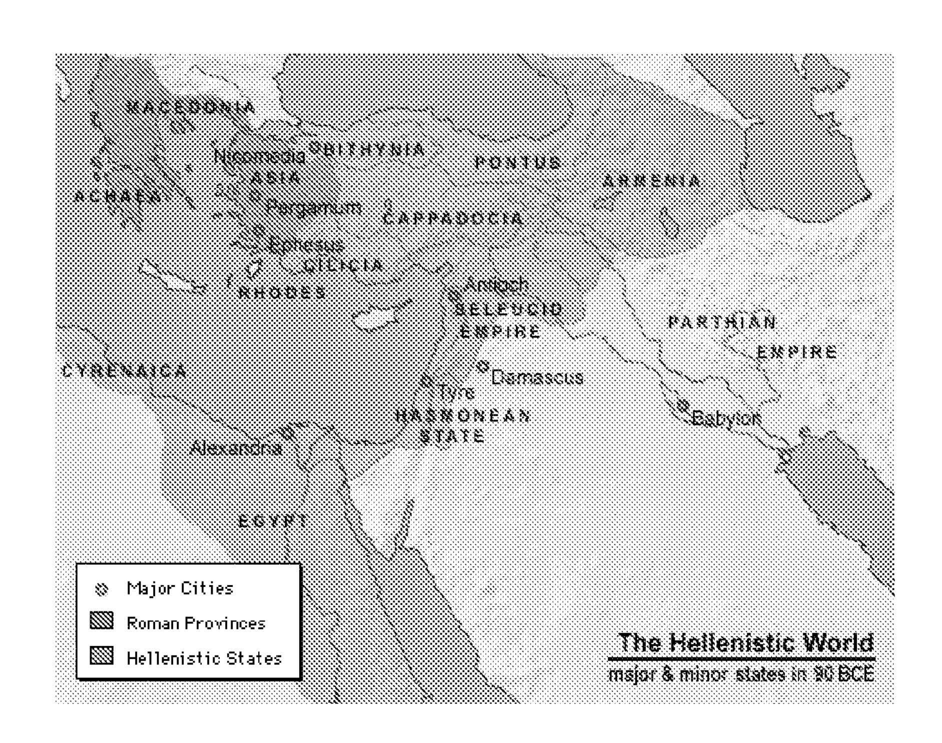
وتوج الإسكندر فتوحاته في آسيا الصغرى بالانتصار علي الملك " دارا الثالث " في معركة " إسوس " التي انتهت بتمزيق شمل الجيش الفارسي الذي كان يتألف من ستمائة ألف مقاتل غير أن الإسكندر تغلب عليه بخطة حربية ماكرة تعتمد علي استخدام الخيالة لاختراق صفوف العدو بخفة وسرعة كبيرة واستخدام المشاة للدفاع. وقد هرب الملك الفارسي بغير توقف إلي أن جعل نهر الفرات حداً فاصلا بينه وبين المقدونيين. واحتفالاً بهذا النصر أمر الإسكندر ببناء مدينة عند خليج إسوس أُطلق عليها أسم " الإسكندرونة "(خيمة الإسكندر) و كان في استطاعة الإسكندر أن يُتابع زحفه خلف الملك الهارب إلي العاصمة الفارسية ويقضي عليه قبل أن يؤلف جيشاً آخر لمحاربته ، ولكنه أتبع خطة، اعتبرها البعض تدل علي بعد نظره وعبقريته العسكرية ، وتتمثل في الاستيلاء براً علي قواعد الأسطول الفارسي في المدن الفينيقية ومصر وقوريني(برقة)، فيضمن علي هذا النحو سلامة مؤخرته عندما يتجه شرقا للقضاء علي الملك الفارسي وفي نفس الوقت يترك الأسطول الفارسي بلا مأوي يلجأ إليه أو بلد محالف يستمد منه المؤن والمدد .

وقد نجح الإسكندر في الاستيلاء علي المدن الفينيقية الواحدة تلو الأُخرى فيما عدا مدينة " صور " التي قاومت جيش الإسكندر مقاومة عنيفة لمدة سبعة أشهر بسبب موقعها الجغرافي الحصين فالبحر يحيط بها من ثلاث جهات هذا فضلا عن حصانة أسورها ومناعتها مما كان يصعب معه حصارها و كان بها أسطول فينيقي قوي وكانت الإمدادات تصلها بسهولة عن طريق البحر، فضلا عن

استبسال سكانها في الدفاع عن المدينة. ولما أستولي عليها آخر الأمر ذبح من أهلها ثمانية آلاف وباع منهم ثمانين ألف في أسواق النخاسة. بعد سقوط المدن الفينيقية اتجه الإسكندر صوب مصر غير أنه واجه مقاومة عنيفة من الحامية الفارسية المرابطة في مدينة " غزة " أمضي شهرين في حصارها تكبد فيهما خسائر فادحة قبل أن يستولي عليها ، مما أدي لغضبه حتى قتل كل رجل في المدينة وسبيت كل امرأة. ومما يستحق الذكر أنه عندما كان الإسكندر في صور عرض عليه الملك " داراالثالث " محالفته وكل إمبراطوريته غربي الفرات فقال له قائده بارمينو " لو كنت أنا الإسكندر لقبلت هذا العرض" فرد عليه الإسكندر بعبارته الشهيرة " وأنا لو كنت بارمينو لقبلته أيضا " وفي هذا دلالة علي اتساع الأهداف التي كان الإسكندر يريد تحقيقها من وراء حملته علي الفرس فلم يقبل من الملك الفارسي الا التسليم التام دون قيد أو شرط .

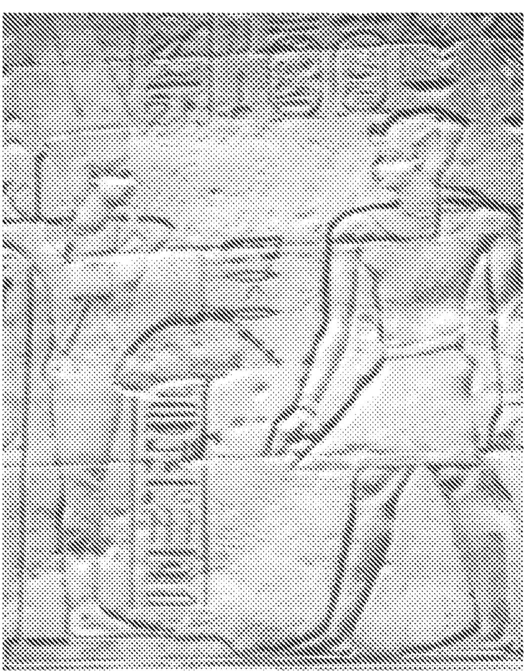
فتح الإسكندر الأكبر مصر

وبعد ذلك بدأ الإسكندر زحفه علي مصر، وكان فتحها ضروريا لأنه من ناحية استكمال لفتح فينيقيا ومن ناحية أخري لوضع بلاد اليونان - التي تعتمد بصفة رئيسية علي القمح المصري - تحت رحمة الإسكندر، ولاسيما " آجيس " ملك اسبرطة العدو اللدود للإسكندر الأكبر في بلاد اليونان . فضلا عن وضع موارد مصر الغنية تحت قبضته لتموين جيوشه الغازية عند استئناف الحرب ضد الفرس. وإلي جانب ذلك كله فقد كان الإسكندر ينوي تكوين إمبراطورية إغريقية شرقية في شرق البحر المتوسط ، ولم يكن من الممكن قيام هذه الإمبراطورية من دون السيطرة علي مصر.



وفي أكتوبر سنة (٣٣٢ ق.م.) تقدم الإسكندر جنوباً نحو مصر فاستسلمت له الحامية الفارسية الموجودة في " بيلوزيوم " (الفرما) المدخل الشرقي للبلاد. وأبحر بعد ذلك في الفرع البيلوزي للنيل نحو منف، وهناك سلم " مازاكس " الوالي الفارسي لمصر نفسه كما سلم كل ما في المدينة من كنوز ومتاع بسبب قلة عدد الجنود الفرس وبسبب موقف المصريين الذين لم يخفوا عواطفهم نحو الإسكندر. ومن المدهش أن الإسكندر عندما وصل إلي منف لم يجد أبوابها مفتوحة له وحسب بل رأي حشوداً من المصريين قد تجمعوا ليرحبوا بمقدمه، وتفسير ذلك يرجع إلي كراهية المصريين الشديدة للفرس الذين انتهكوا حرمة الديانة المصرية عندما أسكنوا حماراً في معبد فتاح وذبحوا العجل " آبيس " المقدس وتناولوا لحمه احتفالاً بسيطرتهم علي مصر سنة (٣٤٣ ق.م.)،ومن ناحية أخري يبدو أن المصريون قد

ظنوا أن الإسكندر جاء إلي مصر ليحررهم من نير الاحتلال الفارسي البغيض مثلما جاء الإغريق مراراً لمساعدتهم في ثوراتهم ضد الفرس، فقد كان المصريون والإغريق حلفاء طبيعيين علي عدوهم المشترك الفرس. ولا يبعد أن المصريين سمعوا بقصة ارتباط الإسكندر بالإله " آمون رع " وانحداره من نسل " نقتنبو الثاني " آخر الفراعنة المصريين [1].وربما وجدوه جديراً بوراثة ملوكهم الفراعنة باعتباره مصرياً من نسل الإله آمون رع. وفي المقابل حرص الإسكندر علي إظهار تعظيمه للآلهة المصرية فقدم القرابين في معبد الإله " فتاح " للآلهة الوطنية والعجل آبيس كوسيلة لكسب ود الكهنة بوصف كونهم يشكلون الزعامة الوطنية في البلاد والذين بدورهم بادلوا الإسكندر الود وقاموا بتنصيبه فرعونا حسب التقاليد الدينية المصرية .



الإسكندر الأكبر يُرسم فرعوناً في أحد المعابد المصرية



ويحمل الألقاب الخمس الفرعونية

بعد ذلك أقام الإسكندر حفلاً إغريقياً رياضياً وموسيقياً في منف أشترك فيه عدد من أشهر الرياضيين والموسيقيين الإغريق، بمناسبة تتويجه فرعوناً،وللترفيه عن جنوده المنهكين منذ خروجهم من بلادهم في

---

[1] شاعت بين المصريين قصة أن الإله آمون عندما أراد أن يخلص بلاده كلها من الفرس ، فتقمص شكل فيليب وأجتمع باولمبياس وأنجب منها الإسكندر. وفي رواية أخري أن الملك نقتنبوا الثاني بعد هزيمته من الفرس هرب إلي مقدونيا وتمكن بما لديه من قدرات فائقة في السحر من التنكر في صورة آمون رع والاجتماع بأولمبياس حيث أنجب منها الطفل الذي بشرت النبوؤة بأنه سيخلص مصر من الفرس وإخضاع العالم كله.

حروب مستمرة،ومن ناحية أخرى كان هذا الحفل يهدف إلي تعريف المصريين بجانب من الحضارة الإغريقية تمهيداً التقريب والمزج بين الحضارتين.

بعد هذا الاحتفال اتجه الإسكندر إلي مدينة " هليوبوليس " ليحظي بمباركة كهنة الإله " رع "، فقد كان الإسكندر مقتنعاً أو علي الأقل يريد إقناع المصريين بأنه أبن " آمون رع "،وهناك توج الإسكندر للمرة الثانية فرعوناً علي البلاد .

بناء مدينة الإسكندرية

ومن " هليوبوليس " سار الإسكندر بقوة من رجاله إلي شمال الدلتا في طريقه إلي ساحل البحر المتوسط حيث كان ينوي الاتجاه غرباً بمحاذاة هذا البحر إلي " قوريني " التي كان الفرس يحتلونها ويهددون منها مصر وبلاد اليونان. وقد استرعي نظر الإسكندر موقع قرية مصرية صغيرة تقع بين بحيرة " مريوط " والبحر المتوسط، وتدعي " راقوتيس ". وهناك أمر الإسكندر بتأسيس مدينة تحمل أسمه [1] وأمر بأن تتخذ عاصمة لمصر، ربما تأثراً بما جاء عند الشاعر الإغريقي الشهير " هوميروس " الذي كان يحلم بتأسيس ميناء علي الشاطئي المصري المطل علي البحر المتوسط. ومن الجائز أنه رأي أن قرية " راقوتيس " التي لا يسكنها سوى مجموعة صغيرة من الصيادين تصلح لإقامة مؤسسة هيللينية يمكن أن تشب وتترع فيها الثقافة الهللينية بعيدة عن التقاليد المصرية المورثة، ومنها يمكن نشر الحضارة الإغريقية في باقي بلدان الشرق المطلة علي البحر المتوسط . وهناك من يري أن الإسكندر أكتشف بعبقريته الأهمية الإستراتيجية لهذا الموقع الذي يصلح لإنشاء ميناء جيد علي ساحل البحر المتوسط بالقرب من مياه نهر النيل العذبة. وربما أراد أن تتحول إلي هذا الميناء طرق التجارة في شرق البحر المتوسط بدلاً من مدينة " صور " التي أراد الإسكندر عقابها لمقاومتها له بتحويل التجارة العالمية بعيداً عنها إلي الإسكندرية. وربما كان إغريق " نقراطيس " هم الذين أشاروا عليه بإنشاء هذه المدينة لأنها بموقعها هذا تكون مستودعا أفضل من نقراطيس للتجارة اليونانية الكبيرة التي كان يرجى أن تتبادل بين مصر وبلاد اليونان .

وقد أستشار الآلهة في صلاحية هذا الموقع وكانت إجابتها مرضية مشجعة له علي زعمهم ، وعلي ذلك وضع الإسكندر بنفسه محيط دائرة أسوارها واتجاه شوارعها الرئيسية ومواقع معابد الآلهة الإغريقية والمصرية ثم أوكل إلي المهندس " دينوقراطيس " إكمال بناء المدينة وفقاً للنمط الإغريقي المعروف في بلاد اليونان.

زيارة الإسكندر الأكبر إلي معبد آمون في سيوة

[1] يروي الجغرافي " ياقوت الحموي " أن الإسكندر بني ثلاث عشرة مدينة ، سماها كلها بالإسكندرية رغبة منه في تخليد اسمه، وربما لعبادته بوصف كونه مؤسساً οικιστης لكل مدينة من هذه المدن التي انتشرت في بلاد اليونان وإيران وبابل والشام ومصر، غير أن هذه المدينة الأخيرة كانت أعظم عواصم العصر الهللينيستي.

أتجه الإسكندر بعد ذلك غربا في اتجاه " قوريني"(برقة) وعند مدينة " بارايتونيوم " (مرسي مطروح) التقي مع وفد يمثل أعيان مدينة " قوريني " وحاميتها الذين أعلنوا الولاء للإسكندر وقدموا له الهدايا الثمينة، وعلي هذا النحو لم يعد هناك ما يدعوه إلي مواصلة السير إلي " قوريني "، وقرر أن يخترق الصحراء جنوباً إلي واحة سيوة حيث يوجد معبد الإله " آمون رع " .

وقد أهتم المؤرخين قديما وحديثا بتفاصيل هذه الرحلة لغرابتها ، فما الذي يجعل قائداً عسكرياً بارعاً بحجم الإسكندر لم ينتهي بعد من حرب عدوه أن يقوم برحلة خلوية في الصحراء لا تخلو من المخاطر، في الوقت الذي كانت فيه مقتضيات الحرب تفرض عليه المبادرة قدر الطاقة إلي ملاقاة " دارا الثالث " قبل أن يتمكن من استكمال استعداداته. وهناك من يري أن قيام الإسكندر بهذه الرحلة يتفق مع شخصيته التي تميل إلي المغامرة وتشبها بالبطلين الإغريقيين الأسطوريين برسيوس و هيراكليس اللذين شاع أن الإسكندر ينحدر من سلالتهما وكانا قد التجأ لاستشارة وحي آمون في سيوة قبل أن يشرعا في القيام بالأعمال البطولية العظيمة التي نسبت إليهما . [١]

ويري البعض أن الإسكندر كان يريد إثبات نسبه بالإله " آمون " والواقع أنه لو كانت رغبة الإسكندر في أن يكون ابن " آمون " وحسب لكان بمقدوره أن يحصل علي ذلك من كهنة " طيبة " بدلا من قيامه بالرحلة الشاقة التي كانت تكتنفها المخاطر في الصحراء وذلك برحلة نيلية ممتعة، ولكن " آمون " طيبة لم يكن معروفاً سوي داخل مصر وعلي ذلك لن يكون لرحلة الإسكندر ذلك الصدى الذي يريد أن يحدثه في العالم الإغريقي. وكان معبد " آمون " في سيوة قبلة للملوك والشعراء الإغريق كما أشاد به فلاسفتهم ومؤرخيهم بوصف كونه من أهم مراكز النبوءة والوحي في العالم القديم . فأراد الإسكندر بهذه الزيارة أن يحصل علي أمام الرأي العام الدولي علي تأييد الإله " آمون " لمشروعاته التي ترمي إلي بسط سيادته علي العالم بوصف كونه ملكاً والهاً في الوقت ذاته .

ولما كان الإسكندر قد توج فرعوناً في منف و هليوبوليس وكان قد أصبح تبعا لذلك ابن " آمون رع " مثل من سبقه من الفراعنة، فأن كبير الكهنة الذي رحب بمقدم الإسكندر عند وصوله إلي المعبد خاطبه بلقب " ابن آمون " ولم يسمح ألا للإسكندر بالدخول في المعبد بملابسه العادية أما باقي أصحابه فقد حتم عليهم الكاهن أن يغيروا ملابسم ويقفون خارج المحراب. وعندما وقف الإسكندر أمام الباب قابله وحياه قائلاً " يا بني " وقد قيل له أن هذه التحية جاءته من قبل الإله. وقد أجاب الإسكندر بقوله " أني أتقبل هذا اللقب يا

[١] كان الإسكندر مولعا بالمغامرات فكان أحياناً يقوم بالقفز من مركبته ثم يعود فيركبها وهي تجري بأقصى سرعتها. ويحكى عنه أنه في أثناء زحفه كان يصرف جزء من نشاطه في الصيد ويواجه بمفرده وحشا ضارياً وسمع ذات مرة بعد أن فرغ من قتال أسد بعضهم يقول إنه كان يحارب الأسد كأنه يبارزه لتقرر نتيجة المبارزة إيهما يكون الملك. ونراه في عام ٣٢٧ ق. م. يتسلق بمفرده أسوار مدينة " ماليا " وبعد أن قفز هو واثنان من جنده إلي داخل المدينة ، تحطم السلم الذي صعدوا عليه ، ووجد هو وزميلاه أنفسهم يحيط بهم الأعداء من كل جانب فحارب الإسكندر حتى سقط علي الأرض مثخنا بجراحه.

والدي ومنذ هذه اللحظة سأدعو نفسي" أبنك " فهل تمنحني أن أملك الأرض قاطبة ؟ " فأجاب تمثال الإلــه بقوة أنه منحه ما يرجوه.

وعندما سأل الإسكندر : إذا كان هناك فرد من قتلة والده قد أفلت من العقاب صاح الكــاهن لا تسـب الآلهة لأنه لا يمكن لبشر أن يأتي شيئا ضد والدك. فغير الإسكندر صيغة السؤال وقال : هل قتلة فيليب قد لاقوا عقابهم ؟ فأكد له الإله أنهم كلهم قد لاقوا جزاءهم .

وعلي هذا النحو حصل الإسكندر علي اعتراف بتبرأة أمه " أولمبياس " أمام العالم الإغريقي من تهمتي الزنا والاشتراك في مؤامرة اغتيال " فيليب الثاني " حيث أشارت إليها أصابع الاتهام بقوة
، فضلا عن الاعتراف الرسمي بالإسكندر الأكبر بوصف كونه ابن الإله " آمون "،وبالتالي سهولة سيطرته علي كافة شعوب الإمبراطورية التي كان ينوي تأسيسها .



صورة للإسكندر الأكبر الأكبر بقرن الكبش رمز الإله آمون رع

كذلك حصل الإسكندر علي مباركة الآلهة لمشروعاته التوسعية وبشرته بالنصر علي أعدائه مما كان له أبلغ الأثر في ارتفاع الروح المعنوية لجنوده قبل المعركة الحاسمة ضد الملك دارا الثالث .

تنظيمات الإسكند الأكبر في مصر

وبعد عودة الإسكندر من واحة سيوة أمضي الشهر الأخير من إقامته في مصر بمدينة منف حيث قــام بتنظيم البلاد. وقد أبقي علي التنظيم الإداري القديم وعين حاكما مصرياً علي مصر العليا وآخر
علي مصر السفلي لإرضاء مشاعر المصريين القومية ومنعهم من القيام بالثورات فضلا عن أنهم كانوا علي دراية أكثر من غيرهم بأمور الحكم المحلي. كما وزع الحاميات العسكرية بقيادة ضـباط مقـدونيين علـي الأماكن الهامة في مصر، عند العاصمة " منف " والشلال الأول جنوب أسوان للدفاع عن الحدود الجنوبيـة وبارايتونيوم لحماية الحدود الغربية وبيلزيوم للدفاع عن الحدود الشرقية. وكان بوليمون ثيـرامين قائـد الأسطول يتولي حماية السواحل الشمالية . كما اختار لإدارة السلطة الماليـة تـاجراً إغريقيـا يـدعي "

كليومنيس النقراطيسي " بيد أن هذا الرجل الذي أوكلت إليه أيضا مهمة حكم ولاية العرب والإشراف المالي علي بناء مدينة الإسكندرية أستغل مركزه في ابتزاز الفلاحين والتجار والكهنة[1] مما
أدي لزيادة نفوذه علي النحو الذي ترتب عليه حدوث خلل في توزيع السلطة وسيطرة كليومنيس عليها في نهاية الأمر، ولم يكن ذلك راجعا إلي سوء تنظيمات الإسكندر وإنما إلي ضعف باقي الحكام الآخرين الذين أتاحوا إلي كليومنيس الفرصة للظهور وكأنه الحاكم الفعلي في مصر. والواقع أن تنظيمات الإسكندر كانت حريصة علي عدم وجود حاكم عام ينفرد بالسلطة في مصر، وإنما وزع السلطة بعناية بين المصريين والمقدونيين والإغريق حتى لا ينفرد أي حاكم بحكم مصر ويتمكن من الاستقلال بها .

كذلك أمر الإسكندر ببناء جسر علي النيل يربط بين مدينة منف القديمة غربي النيل ومنف الجديدة شرقي النيل . وقيل أنه أرسل بعثة علمية لاستكشاف منابع نهر النيل التي كانت تحير العلماء منذ أقدم العصور. كما أمر بتجديد معابد طيبة .

أستكمال فتح الشرق الأدني

وعندما فرغ الإسكندر الأكبر من مهامه في مصر برحها في ربيع عام(٣٣١ ق. م.) قاصداً مدينة بابل ،و في موقعة "جاوجميلا " تمكن من الانتصار علي الملك دارا الثالث، وأخذت المدن الفارسية تتساقط في الواحدة تلو الأخرى، وبينما كان الملك الفارسي يفر هارباً قتله أحد الأمراء الفرس الطامعين في العرش فقام الإسكندر بدوره بمطاردة قاتل دارا إلي أن تمكن من قتله، وأعتبر نفسه وريثا لعرش الإمبراطورية الفارسية . اتجه الإسكندر بعد ذلك إلي الهند وأستولي علي بعض أجزائها بيد أن جنوده الذين أصابهم الإرهاق رفضوا متابعة الفتوحات فأضطر الإسكندر إلي العودة إلي بابل،وهناك سرعان ما أصيب بالحمى ومات في شهر يونيو سنة٣٢٣(ق.م.) قبل أن يتم عامه الثاني والثلاثين .

---

[1] لجأ كليومنيس إلي استغلال سلطاته وقام برفع أسعار القمح في العالم الإغريقي والالتجاء إلي شتي الوسائل لابتزاز الأموال من المصريين فعلي سبيل المثال عندما أفترس تمساح أحد عبيده في الفيوم جمع الكهنة وأخبرهم بأنه يجب أن يثأر من هذا الاعتداء وأمر بصيد التمساح ، ولما كان التمساح هو معبود الفيوم الرئيسي فقد جمع الكهنة كل ما يستطيعون من الذهب وأعطوه إلي كليومنيس حتى لا يدنس إلههم. وحدث في مرة أخري أن جمع الكهنة وأخبرهم بأن نفقات الديانة في =البلاد باهظة ولذلك يجب إغلاق بعض المعابد وطرد عدد من الكهنة ، فأعطاه الكهنة مالاً من جيوبهم الخاصة = ومن دخل المعابد حتى يحتفظوا بمناصبهم الكهنوتية. كما أحتكر تصدير القمح فكان يشتريه من الفلاحين بأسعار بخسة ويعيد تصديره بأسعار مرتفعة حتى ملء خزانته بمبلغ كبير جداً بلغ حوالي ثمانية آلاف تالنتوم.

الفصل الثاني

مؤتمر بابل وتقسيم الإمبراطورية المقدونية بين قادة الإسكندر :

١ – الخلاف بين المشاة والفرسان حول وراثة العرش.

٢ – تقسيم ولايات الإمبراطورية المقدونية بين قادة الإسكندر الأكبر.

مؤتمر بابل (٣٢٣ ق.م.)

لما كان الإسكندر قد وافته المنية فجأة ، وهو في ريعان الشباب وقمة المجد، دون أن يترك وصية أو يرشح خلفا له أو ينظم طريقة الحكم في تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف التي تضم شعوباً وأقطاراً متباينة أشد التباين بحيث يصعب علي شخص واحد أن يسيطر عليها ، فقد واجهت تلك الإمبراطورية الوليدة عوامل فنائها.

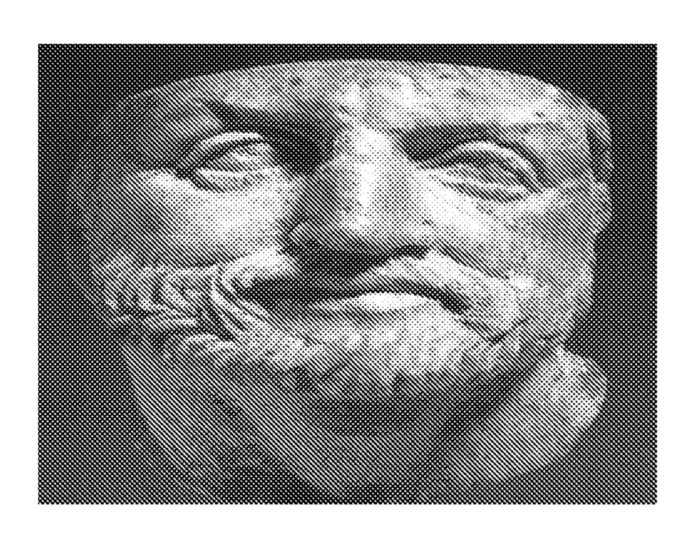
وقد روت احدي الحكايات أن الإسكندر وهو في النزع الأخير سأله أحد معاونيه " عمن هو جدير بحكم الإمبراطورية من بعده ؟ فأجاب للأقوى منكم ". بيد أننا لا نقبل مثل هذه الرواية إلا بوصفها قد دست لتدعيم موقف القادة المقدونيين ، وبصفة خاصة "برديكاس " الذي كان أكبر قادة الإسكدر سناً وكان الإسكندر قد سلمه أختام الملك وهو علي فراش الموت . ولما كان كل قائد من قوا د الإسكندر يعتبر نفسه الأقوى والأجدر بخلافته فقد نشبت بينهم حروباً طاحنة استمرت ما يقرب من أربعين عاماً تحطمت خلالها الإمبراطورية المقدونية . وتفصيل ذلك أن الإسكندر توفى دون أن يترك وريثاً مؤهلاً لخلافته، وان كان قد ترك زوجته الفارسسية " روكسانا" حاملا في شهرها السادس إلا أنها كانت سيدة شرقية وكان الكثيرون ينكرون علي جنينها حق التربع علي عرش الإمبراطورية المقدونية، وكان يوجد في بابل أخ غير شقيق للإسكندر من والده يدعى " فيليب أرهيدايوس " وكان شابا معتوها مصاباً بالصرع ، ولم يكن ابناً شرعياً للملك فيليب .

الخلاف بين المشاة والفرسان حول وراثة العرش :

وفي أعقاب وفاة الإسكندر أجتمع كبار ضباط الجيش المقدوني لاختيار ملك جديد لعرش الإمبراطورية،وقد أنقسم الجيش المقدوني إلي فريقين : فريق الفرسان ويتزعمه " برديكاس " ويري أن ينتظروا إلي أن تلد " روكسانا " ما في بطنها فإذا كان ولداً سيكون هو الملك الجديد تحت الوصاية . أما المشاة الذين تزعمهم " ملياجروس " فقد رفضوا أن يكون ملكهم الجديد من نسل امرأة آسيوية . بينما كان هناك ضابطاً آخر طموح يدعى " بطلميوس بن لاجوس " رفض أن يحكمه رجل معتوه من نسل غير شرعي مثل " أرهيدايوس " أو سليل سيدة شرقية مثل ابن روكسانا، لأنه كان يري أن المقدونيين لم يقهروا الفرس لكي يخضعوا لسلالتهم وتبعا لذلك أقترح أن يبقي العرش شاغراً، وأن يعهد بإدارة الإمبراطورية إلي قواد الجيش . ولا جدال في أن هذا الاقتراح يخفي وراءه تعطشاً شديداً للسلطة ورغبة قوية في الاستقلال بحكم إحدى ولايات الإمبراطورية ويحمل في طياته بذور تفتيت الإمبراطورية المقدونية وانحلالها .

وبعد مناقشة هذه الآراء أستقر رأي القواد علي قبول اقتراح " برديكاس " غير أن المشاة الذين كانوا يعتبرون أنفسهم ممثلي الأمة المقدونية وأصحاب الحق في المناداة بالملك الجديد ثاروا علي هذا الاقتراح وقرروا المناداة بأرهيدايوس ملكاً لأنه لا يجب أن يجلس علي العرش إلا ملكاً مقدونياً لحماً ودماً. وكادت أن تنشب الحرب بين الفريقين لولا تدخل الحكماء مثل " يومنيس " أمين خزانة الإسكندر الذي أقترح حلاً وسطاً

بتعين " فيليب أهيدايوس " ملكاً علي الإمبراطورية المقدونية مع الاحتفاظ بحق أبن الأسكندر من روكسانا ، اذا ولد ذكر ، في مشاركة فيليب الملك تحت الوصاية وتعين "برديكاس" القائد العام للجيش وصياً على الملكين .

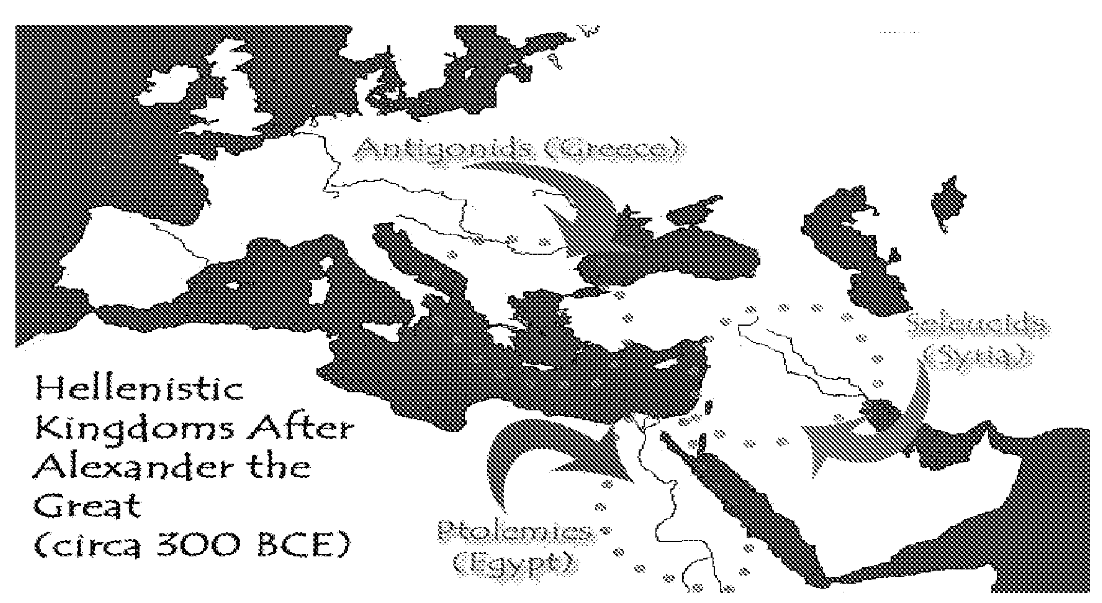


الملك فيليب أرهيدايوس شقيق الإسكندر الأكبر

تقسيم الإمبراطورية المقدونية بين قادة الإسكندر :

وبهذا الحل أمكن الاحتفاظ بوحدة الإمبراطورية ،ولكنها لم تكن الإ وحدة في الشكل فقط اذ انها تقسمت بالفعل بين قواد الإسكندر الأكبر الذين قرر مؤتمر بابل تقسيم ولايات الإمبراطورية بينهم ليحكموها بوصف كونهم ولاة تابعين للأسرة الحاكمة في مقدونيا . ولم يمضى وقت طويل حتى ظهر أن برديكاس يريد أن يستغل مكانته في الاستئثار بالسلطة مستغلاً ضعف الملك فيليب أرهيدايوس وعدم قدرته على الحكم بنفسه، وكذلك الإسكندر ابن روكسانا الذي كان لايزال طفلاًصغيراً ،.

وفي الوقت نفسه فأن قادة الإسكندر الذين ذهبوا لحكم ولايات الإمبراطورية كانت تراودهم الاطماع الشخصية ، فقد كل منهم عازما على الاستقلال بحكم ولايته وعدم السماح بأن يكون لغيره سلطة أكبر من سلطته ، مما أدي إلي دخولهم في حروب طويلة أستمرت ما يزيد علي الأربعين عاما، وكان القادة البارزين في هذه الحروب هم :" أنتيجونوس جوناتاس " و" أنتيباتر " و " كاسندر " و " لوسيماخوس"و" بطلميوس " و "سليوقس ". وخلال ذلك الصراع الدموى هلكت أسرة الإسكندر الأكبر كلها، وتأسست علي أنقاض إمبراطورية الإسكندر الأكبر ثلاث ممالك كبرى هي : مملكة البطالمة في مصر، ومملكة السليوقيين في شمال الشام والعراق وايران وآسيا الصغري ومملكة المقدونيين بزعامة آل أنتيجونوس في مقدونيا وبلاد اليونان .



خريطة تبين تقسيم أمبراطورة الإسكندر بين ثلاث ممالك

هي مملكةمقونيا ومملكة السليوقيين ومملكة البطالمة.

الفصل الثالث

تأسيس مملكة البطالمة في مصر :

شخصية وصفات بطلميوس بن لاجوس.

تعين تعين بطلميوس واليأ علي مصر في مؤتمر بابل.

التخلص من كليومنيس النقراطيسي.

دفن جثمان الإسكندر الأكبر في مصر.

الأستيلاء علي قوريني.

التخلص من برديكاس.

الأستيلاء علي قبرص.

الأستيلاء علي جوف سوريا.

تعين أكبر أبنائه في ولاية العهد.

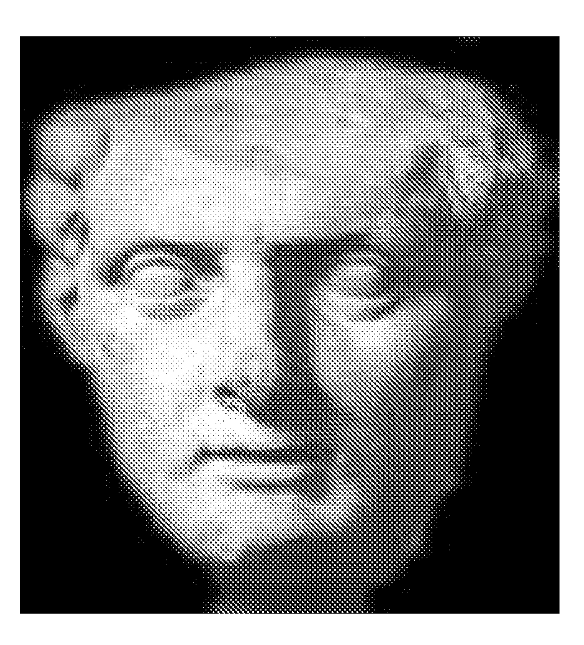
تكوين مملكة البطالمة في مصر

صفات بطلميوس بن لاجوس

يخيم علي أصل بطلميوس ظلام كثيف أفسح المجال لنسج كثير من القصص حوله، بعض هذه القصص تنسبه إلي الإله زيوس عن طريق " هيراكليس " وديونيسيوس ". وان كانت أغلب الرويـات تؤكـد علـي انتمائه إلي احدى الأسر المقدونية النبيلة ، أبوه يدعي "لاجوس " وأمه " أرسينوي " . وأسم " بطلميوس " مشتق من كلمة " بوليمون " التي تعنى" حرب ". أما أسم والده " لاجوس " فمعناه قائد الشعب .

وتدل الأحداث علي أن " بطلميوس " كان صديقا حميما للإسكندر الأكبر فقد تربي معه في القصر الملكي بمقدونيا منذ الصبا، ووقف بجانبه أثناء النزاع الذي نشب بينه وبين أبيه " فيليب " مما أكسبه غضب الأخير وعرفان الإسكندر وتقديره فجعله من المقربين إليه . وقد أشترك بطلميوس مع الإسكندر في معظم حروبه ، كما كلفه الإسكندر ببعض السفارات الهامة التي تحتاج إلي رجل ثقة . وفي عام(٣٣٠ ق.م.) رقى إلي هيئة السبعة التي كانت تحيط بالإسكندر وتشكل حرسه الخاص ومجلسه الإستشاري الأعلـي. وبـرغم أن بطلميوس كان وفياً ومطيعاً للإسكندر إلي أقصى حدود الوفاء والطاعة الا أنه لم يؤمن علي الأطلاق بدوافع الإسكندر لربط الإغريق والمقدونيين بالشرقيين ، فبمجرد وفاة الإسكندر قام بطلميوس بتطليـق زوجتـه الفارسية التي أمره الإسكندر بالزواج منها

مثلما أمر باقي رفاقه بأتخاذ زوجات فارسيات ، فقد كان بطلميوس متمسكاً بالعادات والتقاليد المقدونيـة أشد التماسك .



تمثال يصور رأس بطلميوس الأول

تعين بطلميوس واليا علي مصر في مؤتمر بابل

وخلال مؤتمر بابل كان " بطلميوس " صاحب اقتراح تقسيم الإمبراطورية المقدونية إلي ولايات بحيث يتولي كل قائد حكم احدي الولايات وذلك علي حسب اتفاق يبرم فيما بينهم . وقد كرس بطلميوس جهوده خلال هذا التقسيم لكي يحصل لنفسه علي ولاية مصر، ولا نستبعد أن يكون هناك اتفاقية بينه وبين برديكاس تقضي بأن يستخدم برديكاس نفوذه لتولية بطلميوس علي مصر مقابل اعتراف الأخير بمركز برديكاس كمفوض عام للإمبراطورية المقدونية. ولعل شغف بطلميوس بمصر يرجع إلي ثاقب فكره وحسن تقديره للموقف، فقد تنبأ بالحروب المقبلة بين قواد الإسكندر الأكبر للسيطرة علي الإمبراطورية المقدونية ، فأبتعد بنفسه عن ميادين هذه الحروب بقدر الامكان، كما ابتعد عن بابل ومقدونيا وهما الاقليمان اللذان كانا يمكن أن يصبح احدهما مقراً للإمبراطورية المقدونية ، وبذلك يضمن بطلميوس استقلاله بولايته ، ومن ناحية اخري فقد كانت مصر من أكثر بلدان الإمبراطورية أمانا من الغزو الخارجي. هذا فضلا عن أهمية مصر الاقتصادية بوصف كونها من أغني بلدان الإمبراطورية والمستودع الرئيس للقمح في العالم القديم . وكان بطلميوس يهدف إلي أنشاء دولة غنية قوية في مصر، وذلك بأستغلال ثرواتها في بناء جيش وأسطول قويين لضمان الذود عن استقلال دولته من أي عدوان خارجي، وتأسيس أسرة تتوارث الحكم في مصر علي أمل أن يقيم إمبراطورية عالمية في البحر الأبيض المتوسط عندما تسنح له الظروف المناسبة بتحقيق هذا الحلم .

وقد سعي بطلميوس لتدعيم نفوذه في مصر قبل أن يصل إليها فبعد موافقة مؤتمر بابل علي تعيينه واليا علي مصر، تقدم بثلاث مطالب إلي المفوض العام علي الإمبراطورية ، وهي : *أولا*: دفن جثمان الإسكندر الأكبر في مصر ليكون بجوار أبيه آمون رع في سيوة . وكان بطلميوس يريد أن يضفي مكانة عظيمة علي ولايته الجديدة بأعتبار أن وجود قبر الإسكندر الأكبر مؤسس الإمبراطورية بها يعطي مصر أهمية خاصة تكاد تجعل منها عاصمة للعالم . كما أنه كان من عادة الملوك المقدونيين أن يقوم الملك الجديد بالإشراف علي مواراة جثمان الملك الراحل التراب، كنوع من أنتقال السلطة من الملك الراحل إلي الملك الجديد ، فربما كان المقصود من ذلك أن يعلن بطلميوس عن عزمه أن يكون هو الأحق والأجدر بخلافة الإسكندر الأكبر علي العرش . ومن ناحية أخري أراد بطلميوس بهذا العمل أن يكسب ود كهنة آمون رع في مصر ، ويحقق الشعبية اللازمة لتوطيد نفوذه في ولايته الجديدة عن طريق دفن الإسكندر بها وهو الذي كان في نظر المصريين فرعون وأبن الإله آمون رع . وقد رفض برديكاس الموافقة علي هذا الطلب بعد أن أدرك أهداف بطلميوس ونواياه الحقيقية .

ثانياً :طالب بطلميوس بالحصول علي نصيبه من الأموال والثروات التي جمعها الإسكندر من الفتوحات . وكان بطلميوس يريد استغلال هذه الثروة في بناء الجيش والاسطول اللازمين لتحقيق إستقلاله الداخلي في

مصر والتوسع الخارجي وتكوين الإمبراطورية التي كان يحلم بها . بيد ان برديكاس رفض أيضا الموافقة علي هذا الطلب

الذي كان قبوله يعني ضمنا ترسيخ مبدأ تقسيم إمبراطورية الإسكندر بأعتبارها ميراثاً شرعياً بين قادته الذين كانوا ينتمون إلي أعرق الأسر النبيلة في مقدونيا ويعتزون أشد الإعتزاز بأصلهم ودورهم في تحقيق أنتصارت الإسكندر الباهرة .

ثالثاً : المطالبة بإعادة الآثار والكتب المصرية المقدسة التي كان الفرس قد نقلوها إلي عاصمتهم ابان احتلالهم مصر . وقد وافق برديكاس علي هذا الطلب علي مضض . ذلك ان بطلميوس الذي كان ينوي تأسيس أسرة جديدة في مصر كان يريد أن يلفت نظر المصريين إليه، ويتملق مشاعرهم الدينية بدليل أنه حرص علي أن يتقدم موكب قدومه إلي مصر التماثيل المقدسة للآلهة المصرية ، وبذلك كسب شعبية كبيرة بين الكهنة والشعب المصري .

التخلص من كليومنيس النقراطيسي

بيد ان برديكاس الذي أدرك نوايا بطلميوس قام بتعيين كليومنيس النقراطيسي نائبا عن بطلميوس في حكم مصر حتي يكون رقيباً عليه ويحد من نفوذه . ولما كان كليومنيس هو صاحب الأمر والنهي في مصر منذ أواخر أيام الإسكندر، فقد كان طبيعياً ألا يقنع بمنصبه وأن يصطدم مع بطلميوس. ومن ناحية أخري لما كان بطلميوس يريد أن يقيم في مصر أسرة مستقلة عن الإمبراطورية المقدونية، فأنه أنتهز فرصة كراهية الشعب المصري لكليومنيس بسبب تعنته في فرض الضرائب عليهم وأحتكاره لمحصول القمح الذي كان يشتريه من الفلاحين بأسعار بخسه ويعيد تصديره بأسعار مرتفعة ، وتفننه في اذلال الكهنة المصريين وابتزازهم . وعلي هذا

النحو التقت مصلحة بطلميوس مع مصلحة المصريين في التخلص من كليومنيس النقراطيسي، فأصغي منشرحاً إلي شكاوي المصريين من سوء تصرفات كليومنيس، وشكل محكمة عاجلة له في نهاية عام(٣٢٣ ق. م .) أصدرت عليه حكم الاعدام ومصادرة أمواله التي أبتزها من البلاد .

وعلي هذا النحو نجح بطلميوس في الانفراد بالسلطة في مصر ، وكسب شعبية كبيرة بين المصريين، كما استخدم الأموال المصادرة من كليومنيس في تجنيد أعداد كبيرة من الجنود المرتزقة الإغريق في جيشه . بيد ان اعدام كليومنيس كان سببا في غضب المفوض العام للإمبراطورية علي بطلميوس، وبدايةالصراع بين الرجلين .

دفن جثمان الإسكندر الأكبر في مصر

وكان العمل الثاني لبطلميوس في مصر هو دفن جثمان الإسكندر الأكبر بها، وكان " برديكاس " المفوض العام للإمبراطورية قد كلف أحد الضباط المقدونيين " أرهيدايوس " بأعداد موكب جنائزي لجثمان الإسكندر الأكبر يبدأ من بابل ويتجه نحو شمال الشام وآسيا الصغرى ثم يعبر مضيق البسفور والدردنيل إلي

مقدونيا ليدفن في المقبرة الملكية هناك بجوار أبيه " فيليب الثاني " لان دفن الإسكندر في مقدونيا كان يحقق رغبات الجيش المقدوني ويتمشى مع أطماع برديكاس الذي كان يتطلع إلي الفوز بالعرش في نهاية الأمر . غير أن بطلميوس قبل أن يغادر بابل إلي مصر تفاهم مع الضابط " أرهيدايوس " وقدم له رشوى مالية كبيرة حتى يغير طريق الموكب فيتجه به إلي جنوب الشام بدلا من شمالها ومنها إلي بيلزيوم حيث
كان بطلميوس في انتظار الموكب الجنائزي برفقة فرقة عسكرية من قواته . وقد فوجي الشعب المصـــري بموكب جنائزي كبير يدخل بلادهم ، يقوده الوالي الجديد بطلميوس ويتجه به إلي منف لكي يـــدفن جثمـــان الإسكندر ابن الإله " آمون رع" في منف التي كانت أقدم عواصم مصر الفرعونية وأول مدينة مصرية تنصب الإسكندر فرعوناً علي مصروكانت منف عندئذ هي عاصمة بطلميوس، لكنها كانـــت عاصـــمة مؤقتـــة لان الإسكندرية كانت أوفق عاصمة للعهد الجديد ، غير أن بطلميوس كان يري عندئذ أنه من الحكمـــة تأجيـــل اتخاذ هذه الخطوة إلي أن يؤمن مركزه في ولايته .

وقد ظل جثمان الإسكندر مدفونا في منف لمدة أربعين عاما إلي أن تم الأنتهاء من استكمال بناء مدينة الإسكندر الأكبر في مصر في عهد الملك بطلميوس الثاني الذي قام بنقـــل رفـــات الإســـكندر إلـــي مدينـــة الإسكندرية التي أصبحت العاصمة الجديدة للبلاد خلال حكم الملوك البطالمة . وعلي هذا النحو تبددت كـــل الشكوك التي ثارت حول نوايا بطلميوس الأول في دفن جثمان الإسكندر الأكبر بجوار أبيه " آمون رع " في سيوة .

وقد ترتب علي قيام بطلميوس الأول بهذا العمل كسب رضاء الكهنة في منف وسيوة كما كسب شعبية كبيرة بين أفراد الشعب المصري ، بيد أنه أثار عليه غضب برديكاس المفوض العام للإمبراطورية ، فقد كان هذا العمل الأخير يمثل تحدياً سافراً لسلطة المفوض العام للإمبراطورية وتبعا لذلك أصبحت الحرب وشيكة بين
برديكاس وبطلميوس ، بيد أن برديكاس في هذا الوقت كان منهمكاً في مشاكل الإمبراطورية، وقمع الثورات في بلاد اليونان .

الاستيلاء علي قوريني

وفي تلك الاثناء واتت بطلميوس الفرصة للسيطرة علي قورينى عندما نشبت فيها ثورة اجتماعيـــة [١] فأرسل بطلميوس صديقه " أوفيلاس " علي رأس جيش يصاحبه أسطول ، تمكن من هزيمة " ثيبرون " حاكم قوريني وأعدامه ، ولم تلبث أن سلمت المدينة وتوابعها للوالي بطلميوس الذي ذهب بنفسه إلي هناك للتغلب علي اي شكل من أشكال المقاومة .

---

[١] قوريني(برقة حاليا) هي مستوطنة إغريقية أسسها آهالي جزيرة " ثيرا" في القرن السابع قبل الميلاد في شمال افريقيا.وفي عهد حاكمها " ثيرون " اندلعت الثورة ضده فاستعان بجنود مرتزقة من بلاد اليونان ، وتمكن من احكام الحصار علي المدينة مما أدي إلي سوء أحوال السكان بسبب قلة الطعام فثار العامة علي أغنياء المدينة وطردوهم منها.وقد لجأ بعض هؤلاء الأغنياء المنفيين إلي مصر يستنجدون بحاكمها بطلميوس الأول الذي انتهز هذه الفرصة للسيطرة علي قوريني.

والواقع أن بطلميوس بضمه " قوريني " لم يناقض قرارات مؤتمر بابل الذي وضع تحت سلطانه بلاد " لوبيا " (قوريني) . وكل ما فعله بطلميوس أنه أظهر إرادته في تنفيذ هذا القرار بصورة عملية والمحافظة علي حقوقه كاملة .

وعلي هذا النحو تمكن بطلميوس من تأمين حدود مصر الغربية التي كثيراً ما كانت تتعــرض لهجـــوم القبائل الليبية منذ أيام الفراعنة . كما قام بنقل عدد كبير من المستوطنين الإغريق من قوريني إلي مصـــر لزيادة عدد الجالية الإغريقية التي كان يريد أن يعتمد عليها في تأسيس مملكته . وقــد أمـــدت قـــوريني البطالمة بطائفة من ألمع علماء العصر مثل " كاليماخوس " الشاعر العظيم ، و" أراتوسثينيس " الجغرافـــي الشهير ، بالإضافة إلي عدد من رجال الحرب البارزين ، وقد جاء ذكر عدد كبيـــر مـــن أســـماء الجنـــود القورينيين في الأوراق البردية وبصفة خاصة أولئك الجنود الذين أستوطنوا في منطقة الفيوم ، هذا فضـــلا عن توافد بعض أثرياء قوريني إلي مصر لاستثمار رؤوس أموالهم فيها . وعلي أثر ضم قـــوريني عـــين بطلميوس صديقه " أوفيلاس " نائباً عنه في حكمها.

التخلص من برديكاس

ولما كان بطلميوس قد أغضب برديكاس مرتين من قبل عندما أعدم كليومنيس، ودفن جثمان الإسكندر الأكبر في مصر وكان هذان العملان يدلان علي رغبة بطلميوس في الاستقلال بحكم مصر ويتمشيان مع ما ظهر من سلوكه وطلباته خلال انعقاد مؤتمر بابل . فمما لاشك فيه أن ضم قوريني واتساع نفوذ بطلميوس خارج حدود ولايته كان خطوة أخري في سبيل استقلاله وتثبيت مركزه في مصر وهو الذي كان حتى ذلـــك الحين مجرد ستراب (والي) فقط علي مصر يخضع للمفوض العام للإمبراطورية برديكاس الذي كان بدوره يسعي لتوحيد إمبراطورية الأسكندر الأكبر تحت زعامته ولذلك كله سعي برديكاس بعد أن فرغ من مشاكله للتخلص من بطلميوس وطرده من مصر .

وقد كانت خطة برديكاس تنطوي علي أن يهاجم بنفسه بطلميوس بقوات برية من الشرق وأســـطول بحري من الشمال . وعندما وصل برديكاس إلي حدود مصر أراد أن يجعل لحملته علي مصر صبغة قانونية لكي يوافق الجيش عليها ومن ثم دعا بطلميوس
لمثول أمام المجلس العسكري القضائي بتهمة الاستيلاءعلي مدينة إغريقية حرة واخضاع أهلها بالقوة، واذا تخلف عن الحضور أمام القضاء فأنه سيعلن عصيانه . ولكن بطلميوس كان أزكي من أن يحضر بنفســـه إلي هذه المحاكمة التي كانت ستدينه ، علي الأقل ، بتهمة الأستيلاء غصبا علي جثمان الإسكندر الأكبـــر ، وفي الوقت نفسه لم يرفض الحضور وانما برأ نفسه بواسطة مفوضين عنه وقد نجح فـــي ذلـــك، بيـــد أن برديكاس لم يقنع بهذه البرأة ومضي في تنفيذ عزمه للقضاء علي بطلميوس بالقوة العسكرية. وقـــد فشـــل برديكاس في المحاولتين اللتين قاما بهما للاستيلاء علي بيلزيوم وفقد عدد كبير من جنـــوده اثناءمحاولـــة عبور نهر النيل عند مكان يدعي جدار الجمل مما أدي إلي ثورة جنوده وضباطه عليه بعد أن أحسوا بأنه لم

تعد لهم فرصة في تحقيق النصر بسبب عدم كفأته وخاصة ان برديكاس كان غير محبوباً من قواته بسبب كبرياؤه وصلفه معهم ، هذا فضلا عن عن قيام بطلميوس بتأليب كبار ضباط الجيش برديكاس أمثال " سليوقس " و " بايثون " ضد قائدهم وعرض عليهم الهدايا والرشاوى مما أدي إلي قيام الجنود بقتل برديكاس . وفي اليوم التالي قام بطلميوس بتوزيع كميات كبيرة من القمح والمؤن والذخيرة علي قوات برديكاس ، مما جعله يحوز اعجابهم واحترامهم لدرجة أنهم عرضوا عليه أن يحتل مكانة برديكاس غير أن بطلميوس كان أفطن من أن يقبل ذلك المنصب الخطر الذي قد يثير غيرة رفاقه القدامى في الجيش ، هذا فضلا عن أن قبوله لهذا المنصب كان سيحرمه من ملك مصر الذي كان يحرص عليه أشد الحرص .

وقد ترتب علي ذلك تثبيت بطلميوس علي ملك مصر التي أصبح يعتبرها منذ أنتصاره علي برديكاس غنيمة حرب أكتسبها بحد السيف أي أنه أصبح يعتبرها ملكا حاصا له. كما ضم بطلميوس جزءً كبيراً من جيش برديكاس إلي قواته. وعندما أجتمع كبار القادة في " تري باراديس " سنة ٣٢١ ق. م . لاعادة تقسيم الإمبراطورية بعد مقتل برديكاس، أعترف هؤلاء القادة بأحقية بطلميوس في ضم قورينى إلي مصر رسمياً، وكان ذلك أول خطوة نحو تأسيس الإمبراطورية البطلمية .

الاستيلاء علي جوف سوريا

ومنذ ذلك الحين أخذ بطلميوس يعمل علي دعم استقلاله الفعلي وتوسيع نطاق ممتلكات ولايته. وفي عام (٣١٩-٣١٨ ق. م.) أنتهز فرصة موت " انتيباتر " خليفة برديكاس في منصب المفوض العام للإمبراطورية، للاستيلاءعلي منطقة جوف سوريا والساحل الفينيقي . وكانت هذه المنطقة خلال اتفاق " تري باراديوس" من نصيب والي إغريقي يدعي " لاؤميدون " كان تابعا للقائد العام للجيش المقدوني " أنتيجونوس جوناتاس " ، وقد حاول بطلميوس في بادىء الأمر أن يشتريها منه بالمال وعندما رفض لاؤميدون غزا بطلميوس جوف سوريا وأستولي عليها بعد أن فر"لاؤميدون" هاربا.

والواقع ان وحدة مصر وسوريا كان تقليداً مصرياً قديماً . ذلك أنه منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة كان كل الفراعنة الأقوياء لا يتوانون عن تحقيق هذه الوحدة لتأمين حدود مصر الشرقية من أخطار الدول الأسيوية المعادية . هذا فضلا عن الرغبة في التحكم في اقتصاد الشرق الأدنى وأقتصاد البحر الأبيض المتوسط ، فقد كانت تجارة الشرق الأقصى التي تحمل من الهند والصين إلي الخليج العربي تنقل براً عبر صحراء الشام حتى تصل شمالاً إلي ساحل البحر المتوسط ومنها تنقل البضائع إلي سائر أنحاء العالم الهللينيستي . كما ان الطريق التجاري القادم من عدن والذي كان يسيطر عليه العرب كان ينتهي في جنوب الشام ومنها إلي مؤانيء البحر المتوسط. هذا إلي ان البطالمة كانوا يجدون في الشام ما تفتقر إليه مصرولاسيما الأخشاب التي كانت تجلب من بلدة جبيل الفينيقية الواقعة علي الساحل وكانت من أفضل

الموانئ لتصدير الأخشاب اللازمة لصنع الأساطيل الحديثة التي كان يحتاج إليها البطالمة لتحقيق السيادة الكاملة علي البحر المتوسط اقتصادياوسياسيا وبناء الإمبراطورية البحرية التي كانوا يحلمون بتأسيسها .

الصراع بين أنتيجونوس جوناتاس وبطلميوس

غير ان " أنتيجونوس جوناتاس " الذي سعى إلي حكم الإمبراطورية المقدونية بمفرده بعد هلاك معظم أفراد أسرة الإسكندر الأكبر، تمكن من طرد القوات البطلمية من جوف سوريا والساحل الفينيقي سنة ٣١٥ ق. م . كما طرد في الوقت نفسه "سليوقس" من ولاية بابل ، غير أن بطلميوس تمكن من مساعدة " سليوقس " في استعادة بابل من " أنتيجونوس " . كما شن هجوما جديد علي جوف سوريا سنة ٣١٢ ق. م ونجح في تحقيق لنصرعلي قوات انتيجونوس في موقعة غزة وأستولي علي جوف سوريا والساحل الفينيقي مرة ثانية. غير أن حضور أنتيجونوس بنفسه إلي الشام ادي إلي انسحاب" بطلميوس " من جوف سوريا للمرة الثانية . ولم يكتفى "انتيجونوس" بذلك وأنما سعي لتضيق الخناق علي بطلميوس فقام بتحريض "أوفيلاس" والي قوريني البطلمى علي الاستقلال بها غير ان بطلميوس تمكن من ارسال حملة عسكرية بقيادة "ماجاس" ابن زوجته برينيكي تمكنت من استعادة قوريني سنة(٣٠٨ ق. م .) وأصبح ماجاس نائب بطلميوس هناك.

ومن ناحية أخرى فأن الأنتصارات التي حققها انتيجونوس في تلك الفترة أغرته علي أن يتخذ لنفسه لقب " ملك " Βασιλευς وخلع هذا اللقب علي أبنه بأعتبارهما مليكي كل الإمبراطورية المقدونية التي خلا عرشها بالقضاء علي أسرة الإسكندر الأكبر . وقد حذا بطلميوس حذو انتيجونوس وأتخذ لنفسه لقب *ملك مصر* اعتباراً من عام ٣٠٥ ق. م . ، وتبعه باقي قواد الإسكندر في اتخاذ هذه الخطوة التي أكدوا بها استقلال كل منهم بولايته .

وفي شتاء عام ٣٠٦ ق. م . تقدم انتيجونوس لطرد بطلميوس من مصر فقاد جيشاً برياً لغزو مصر من الشرق وكلف ابنه ديمتريوس بقيادة اسطولاً بحرياً للهجوم علي سواحل مصر من الشمال ، ولكن الخطأ الذي وقع فيه أنتيجونوس أنه أختار وقتاً كانت فيه مياه الفيضان لاتزال تغطي أراضي الدلتا ففشل في الاستيلاء علي بيلزيوم التي احسن بطلميوس تحصينها، كما فشل ديمتريوس
في أن يرسو بسفنه بسبب النوات البحرية الشديدة التي تصيب الشؤاطيء المصرية في هذا الوقت من كل عام . وفي الوقت نفسه أرسل بطلميوس جواسيسه إلي جنود انتيجونوس يعرضون عليهم الرشاوى المالية والوعود بمنحهم الاراضي الخصبة علي ضفاف نهر النيل ، ولذلك آثر انتيجونوس وابنه أن ينسحبا من مصر قبل أن يهلكا مثلما هلك برديكاس من قبل .

بعد ذلك لجأ انتيجونوس لمحاربة بطلميوس اقتصاديا فحاول أن يغري جزيرة رودس بقطع علاقتها التجارية مع مصر . وكانت رودس تتحكم في التجارة العالمية في البحر المتوسط وكان لها نشاط تجاري كبير مع مصر يدر عليها دخلا وفيراً ، ولهذا رفضت طلب أنتيجونوس الذي قرر إخضاعها بالقوة فارسل

أبنه ديمتريوس للسيطرة عليها فحاصرها لمدة خمسة عشر شهراً ، غير أنه عجز عن فتحها بسبب شدة مقاومتها فضلا عن المساعدات التي قدمها بطلميوس لجزيرة رودس في اثناء هذا الحصار وكان لها أكبر الأثر في انقاذها . ويذكر " ديودور الصقلي " ان آهالي رودس أقاموا هيكلاً لبطلميوس ورفعوه إلي مصاف الآلهة . كما يذكر المؤرخ " باوسانياس " أن رودس عبدت عندئذ بطلميوس وخلعت عليه لقب " سوتير " (الإله المنقذ) وهو اللقب الذي عرف به في التاريخ .

معركة الملوك وظهور مشكلة جوف سوريا

وفي خلال عامي (٣٠٤–٣٠٢) ق. م. تكون حلف جديد من " كاسندر " ملك مقدونيا و" لوسيماخوس " ملك تراقيا " و " سليوقس " ملك بابل و" بطلميوس " ملك مصر للتخلص من " أنتيجونوس جوناتاس " الذي كان يسعى لاعادة توحيد الإمبراطورية المقدونية تحت زعامته وأصبح يشكل تهديداً خطيراً علي جميع هؤلاء القادة . وقد أتفق المتحالفون علي شن الحرب علي انتيجونوس علي أساس أن يقوم كاسندر ولوسيماخوس بمهاجمة قوات انتيجونوس في آسيا الصغرى من الشمال بينما يتقدم سليوقس ، الذي كان في ذلك الوقت في شرق آسيا للحصول علي فيلة مثل التي كان يستخدمها أنتيجونوس في حروبه. وعلي أثر قيام التحالف تقدم سليوقس من الشرق إلي الغرب ليقدم لحلفائه المساعدات العسكرية ولاسيما من الفيلة المدربة علي القتال. وفي خلال ذلك كان يتعين علي بطلميوس أن يحتل سوريا. وبينما شغل سائر الحلفاء بالحرب الشرسة ضد انتيجونوس عند إبسوس اكتفي بطلميوس بالاستيلاء علي جوف سوريا ثم بادر باخلائها عندما سمع إشاعة كاذبة مؤداها أن أنتيجونوس قد أنتصر علي الحلفاء وأنه في طريقه إلي سوريا، اما الحقيقة فكانت انتصار حاسم للحلفاء علي انتيجونوس الذي سقط قتيلا في هذه المعركة التي عرفت باسم معركة الملوك. ولا يمكن تفسير هذا الدور غير المشرف الذي قام به بطلميوس الا بانانيته فقد كان في صالحه دائما ان يستنفد الآخرون قواهم في محاربة بعضهم بعضا بينما يحتفظ هو بقواه سليمة ليستطيع تنفيذ سياسته ، غير أن بطلميوس أغضب حلفاءه بأنسحابه من سوريا ، فقرروا أنه لم يقم نحوهم بخدمة يستحق عليها نصيبا من الأسلاب ، ولذلك أبوا عليه جوف سوريا الذي كان قد وعد به وقرروا ضم الشام بأكملها إلي سليوقس الذى أقتسم معظم الأسلاب مع لوسيماخوس . وفي الوقت نفسه ترتب علي هذا الموقف الأناني من جانب بطلميوس مشكلة كانت من أكبر المشاكل التي أدت فيما بعد إلي ضعف الدولة البطلمية ذلك أن بطلميوس عاد مرة أخري إلي جوف سوريا وأستولي عليها وعندما أتجه سليوقس لتنفيذ قرارالحلفاء وجد قوات بطلميوس متمركزة هناك فعاد دون أن يشتبك في قتال معها، وذلك لان سليوقس كان لايزال يشعر بالعرفان تجاه بطلميوس نظراً للمساعدة التي قدمها له عندما طرده انتيجونوس من بابل فلم يتمكن سليوقس من استعادة بابل مرة أخرى إلا بفضل المساعدات التي قدمها له بطلميوس . كما ان سليوقس لم يشاء أن يدخل في حرب دموية جديدة وخاصة ان قواته كانت منهكة بينما كانت قوات بطلميوس متحصنة في مواقعها في جوف سوريا وتبعا لذلك أنسحب سليوقس من جوف سوريا غير ان هذا

الأنسحاب لم يحل المشكلة بل علي العكس أصبحت ملكية جوف سوريا موضع خلاف طويل بين البطالمة الذين أعتبروا جوف سوريا ملكاً لهم بحق الفتح بحد السيف بينما كان السليوقيين يعتبرون أنهم أصحاب الحق الشرعي بها وفقاً لقرار الحلفاء، مما أفضي إلي سلسلة من الحروب الطويلة بين الدولتين عرفت في التاريخ باسم الحروب السورية وكان لها أسوأ الأثر في كيان دولة البطالمة .

الاستيلاء علي قبرص والتوسع في بحر إيجه

كان بحر إيجة مركز الثقل السياسي والحضاري في العالم الهلينيستي ، فقد كان القادة الذين أسسوا دولهم علي أنقاض إمبراطورية الإسكندر في أشد الحاجة إلي تدعيم علاقتهم ببلاد الإغريق للاستفادة من خبرات مواطنيهم في بناء دولهم علي أسس إغريقية، وكان علي رأس هؤلاء القادة بطلميوس الذي شرع في بناء دولته علي النمط الإغريقي ولذلك سعي لتدعيم نفوذه في البحر المتوسط وتأمين الطرق المؤدية إلي بحر إيجه وبلاد الإغريق .

ومن أهم المناطق التي تصارع عليها خلفاء الإسكندر جزيرة قبرص التي لم تكن من ضمن المناطق التي وزعت علي هؤلاء القادة إذ ظلت تحت حكم ملوكها الأربعة [1] الوطنيين.

وكان أهتمام بطلميوس الشديد بقبرص له ما يبرره نظراً لأهميتها الإستراتيجية في حماية سواحل مصر الشمالية ، وفي الوقت نفسه لتحقيق السيادة البحرية علي حوض البحر المتوسط ، فمن خلال سواحلها الجنوبية يمكن للبطالمة فرض سيطرتهم علي سواحل الشام ومن سواحلها الشرقية يمكن السيطرة علي سواحل آسيا الصغرى الغربية ومن سواحلها الشمالية والغربية يمكن التدخل في شئون جزر بحر إيجه وجنوب بلاد اليونان . هذا فضلا عن أن سواحل قبرص مهيئة لأن تكون موانئ طبيعية . بالأضافة إلي ذلك فقد اشتهرت قبرص بأخشاب الأرز التي كان بطلميوس في أمس الحاجة إليها لبناء أسطول بحري قوي . كما أشتهرت بمناجم الفضة وكان بطلميوس أيضا في حاجة ماسة لهذا المعدن من أجل سك عملة قوية في مصر، وقد أقام البطالمة فيما بعد دار سك العملة في جزيرة قبرص .

وفي عام ٣٢١ ق. م . نجح بطلميوس الأول في عقد تحالف مع ملوك جزيرة قبرص للوقوف ضد أطماع برديكاس . وعندما علم الأخير بأنباء هذا التحالف بادر بأرسال قوات عسكرية إلي مدينة " ماريوم " التي كانت موالية لبطلميوس ولكنه لقي مصرعه في مصر . ومع ذلك لم تهدأ الأمور في قبرص إذ سرعان ما ظهر أنتيجونوس جوناتاس الذي تصارع مع بطلميوس للإستئثار بجزيرة قبرص . وأسفر هذا التنافس الحربي عن إلحاق هزيمة بأنتيجونوس ونجاح بطلميوس الذي قام بتعين شقيقه مينلاؤس حاكماً عليها وأتخذ من قبرص قاعدة بحرية لشن هجماته علي شمال سوريا وسواحل آسيا الصغرى ونجح في السيطرة

---

[1] ملوك قبرص في تلك الفترة كانوا نيكوكريون في سلاميس ، ونيكوكليس في ببافوس، وباسيكراتيس في صولي ، ثم أندروكليس ملك أماثوس. cf.Diod,XVIII,26-28 .

علي كليكيا، كما نجح في السيطرة علي جزيرة كوس وميليتوس وجزيرة ثيرا وعصبة جـزر الكـوكلاديس ومن المحتمل أنه أسس لنفسه قاعدة بحرية علي الساحل الشمالي الشرقي لجزيرة كريت .

وفي سنة ٣٠٦ ق . م . نجح ديمتريوس بن انتيجونوس في الأنتصار علي مينلاؤس وطرد البطالمـة من جزيرة قبرص، غير بطلميوس نجح في عام ٢٩٤ ق. م . في استعادة الجزيرة للمرة الثانية وظلت هذه الجزيرة أهم القواعد البحرية للأسطول البطلمي ، حتي تنازل عنها بطلميوس الثاني عشر للرومان سنة ٥٨ ق. م . بيد أن كليوباترا السابعة بفضل نفوذها علي يوليوس قيصر ومن بعده مارك أنطونيوس نجحت في إستعادة الجزيرة ولكن بمصرع كليوباترا عادت قبرص بلا رجعة إلي الرومان.

وعلي هذا النحو نجح بطلميوس الأول في تأسيس مملكة (إمبراطورية) شملت كل من مصـر وقـوريني وجوف سوريا وقبرص ومجموعة جزر الكوكلاديس وجزيرة ثيرا وبعض الأقاليم الواقعة علي شواطئ آسيا الصغرى (الساحل الأيوني).

ولاية العهد

وعندما بلغ بطلميوس الأول الثانية والثمانين من عمره عزم علي النزول عن الملك لأبنه من زوجته الثانية " برينيكي " التي كان يفضلها علي زوجته الأولي " يورديكي " التي تجاهل ابنها البكـر المعـروف باسـم بطلميوس الصاعقة رغم أنه وفقا للعرف والقانون المقدوني كان الأحق بخلافته علي العرش . ولما كـان جل مراد بطلميوس أن يري وارثه الذي لم يكن شرعيا علي العرش ، وأن يأخذ مقاليد الأمور في يده دون أن يعارضه معارض فقد أشركه معه الحكم منذ عام ٢٨٥ ق. م . بأسم بطلميوس الثاني . ولتدعيم ملـك أبنه زوجه من أخته " أرسينوي الأولي " بحيث يصبح زواجا ملكيا خالصاعلي حسب الشعائر المصرية في الزواج بين الفراعنة الذين يحملون دماءً ملكية خالصة ، وبذلك يضمن ولاء الشعب المصري للملك الجديد .

الفصل الرابع

عصر قوة البطالمة

أولاً : بطلميوس الثاني (فيلادلفوس) :

شخصيته وصفات .

الحرب السورية الأولى .

حرب خريمونيديس في بلاد اليونان .

الحرب السورية الثانية .

سياسته في المحافظة علي قورينى .

التوسع في شبه الجزيرة العربية .

ثانياً : بطلميوس الثالث (يورجيتيس الأول)

شخصيته وصفاته .

الحرب السورية الثالثة .

الأعتماد علي الوسائل الدبلوماسية وأهمال الجيش .

عصر قوة البطالمة

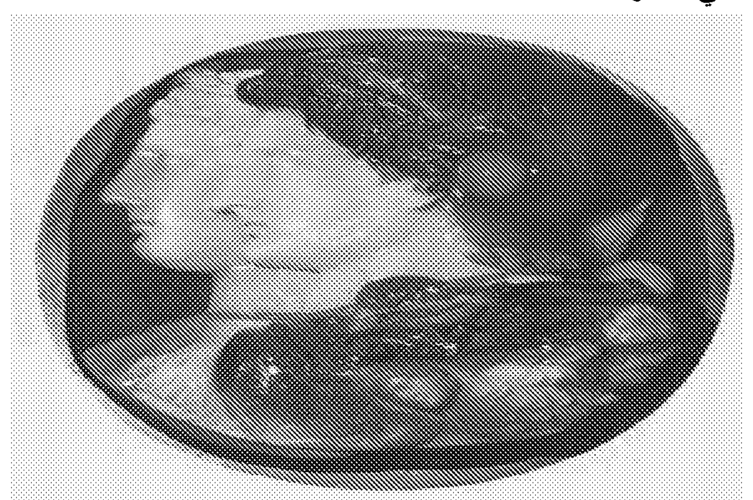
أولاً : بطلميوس الثاني(فيلادلفوس)

في عام ٢٨٤ ق. م . وافت بطلميوس الأول المنية وهو في الرابعة والثمانين من عمره بعد أن حكم مصر أكثر من أربعين عاما فأنفرد أبنه بطلميوس الثاني بالعرش .

شخصية وصفات بطلميوس الثاني

وكان الملك الجديد يختلف عن والده كل الاختلاف فبقدر ما كان بطلميوس الأول جنديا من الطراز الأول ، كان بطلميوس الثاني بعيداً كل البعد عن حياة الجندية ، يعشق حياة النعيم والبذخ ، فبرغم الحروب العديدة التي خاضها البطالمة في عهده الا أنه لم يقم بقيادة الجيش بنفسه في أي من هذه الحروب ، وكان يكتفي بأن يقودها عنه قواد .

ومن أهم الشخصيات التي لعبت دوراً رئيساً في سياسته الخارجية الملكة " أرسينوي الثانية "[1] شقيقته التي نجحت في تدبير مكيدة أوقعت بها بين بطلميوس الثاني وزوجته" أرسينوي الأولي " . لتحقق لنفسها آمالها في الحكم وكانت ذات شخصية طموحة فتزوجت من شقيقها بطلميوس الثاني لتحقق لنفسها آمالها في الحكم والسيطرة . ذلك أنه بعد ضياع آمالها في حكم تراقيا ومقدونيا وبلاد اليونان ، عادت إلي الإسكندرية حيث نجحت في أن يكون لها تأثير لا يقاوم علي بطلميوس الثاني في أثناء حياتها وبعد مماتها حتى أنها أصبحت أشهر وأقوى إمرأة في عصرها .



تمثال يبين الرباط الوثيق بين الأخوين والزوجين المحبين(فيلادلفوي) بطلميوس الثاني و أرسينوي الثانية

---

[1] تزوجت أرسينوي الثانية ثلاث مرات لأسباب سياسية في المرة الأولي من لوسيماخوس ملك تراقيا ومقدونيا وبلاد اليونان وبعد مقتله في معركة كوركيبيدون تولي بطلميوس الصاعقة حكم مقدونيا فتزوجت منه لكي تضمن ملك مقدونيا وبلاد اليونان غير أنها أضطرت إلي الهروب منه بعد قيامه بقتل أثنين من أبنائها من لوسيماخوس، فلجأت إلي شقيقها بطلميوس الثاني ملك مصر وسرعان ما دبرت مؤامرة لأبعاد زوجته أرسينوي الأولي بتهمة التآمر علي الملك سنة ٢٧٦-٢٧٥ ق.م. ثم تزوجت للمرة الثالثة من شقيقها ملك مصر.

وكانت أرسينوي الثانية هي أول ملكة بطلمية تؤله رسمياً هي وبطلميوس الثاني أثناء حياتها تحت لقب " فيلادلفوس"(أي المحبة لأخيها أو المحب لأخته) ، كما أُطلق أسمها علي منطقة الفيوم التي أصبحت تعرف بأسم منطقة أرسينوي وعاصمتها بأسم مدينة " الأرسينويين " تكريما لها بعد وفاتها .

سياسة بطلميوس الثاني الخارجية

وعندما تولي بطلميوس الثاني العرش سار علي نفس سياسة والده الخارجية وبصفة خاصة في التمسك بالسيطرة علي جوف سوريا والساحل الفينيقي لتأمين حدود مصر الشرقية ، والسيطرة علي قوريني لتأمين حدود مصر الغربية ، ومد نفوذه في بحر إيجه لتأمين الحدود الشمالية ، وكذلك السيطرة علي طرق التجارة بمد نفوذ البطالمة في شبه الجزيرة العربية .

وقد خدمت الظروف العالمية في ذلك الوقت" بطلميوس الثاني " في تحقيق أهدافه . ففي مستهل حكمه أنهارت إمبراطورية " لوسيماخوس " في بلاد اليونان ، ومات " سليوقس الأول " وتعرضت إمبراطوريته لغزو الغال الذين قاموا بنهب ممتلكاته في آسيا الصغرى ولم يفلح خليفته " أنطيوخوس الأول " في طردهم من بلاده .

الحرب السورية الأولي

وقد أغرى إنشغال " أنطيوخوس الأول " ملك الدولة السليوقية الجديد بالحرب ضد الغال في آسيا الصغرى ، الملك البطلمي علي خوض غمار حرب توسعية في الشام تعرف بالحرب السورية الأولي .

وقد أندلعت هذه الحرب عندما اجتاح الجيش البطلمي بلاد الشام وتمكن من الإستيلاء علي دمشق من السليوقيين . وقد برر بطلميوس الثاني هذا الهجوم بأنه إجراء وقائي من أجل الدفاع عن مصر ذاتها لأن " أنطيوخوس الأول " كان ينوي الهجوم عليها . ولكن يبدو أن الملك السليوقي أسرع إلي سوريا بمجرد أن أنتهي من هزيمة الغال في موقعة الفيلة الشهيرة سنة ٢٧٥ ق. م . ، ونجح في هزيمة البطالمة واسترداد دمشق منهم .

وهناك نقشان أحدهما مصري والآخر بابلي يتحدثان عن نتيجة هذه المعركة . وقد ورد في النقش المصري : " أن بطلميوس فرض الجزية علي مدن آسيا وطارد بدوها وأنه أحتفى بنصره، وأن تاج مصر تثبت فوق رأسه " .

وورد في النقش البابلي : " أن الجيش البابلي (السليوقي) دحر الجيش البطلمي في الشام " . وربما ذلك في إشارة إلي إستعادة " أنطيوخوس الأول " لمدينة دمشق من البطالمة . ومما لا شك فيه أن الأدلة المستمدة من بعض أوراق البردي التي يعود تاريخها إلي عام ٢٥٨-٢٥٧ ق. م . أثبتت أن بطلميوس الثاني ظل متحكما في منطقة الساحل الفينيقي بدليل أنه كان يقوم بتعين أتباعه حكاما علي المدن الفينيقية مثل " صيدا " و" طرابلس " .

ومن ناحية أخرى نجح الأسطول البطلمي في مهاجمة السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى التابعة للملك السليوقي ، والأستيلاء علي أجزاء من هذا الساحل مثل "كليكيا"و"بامفيليا"و"ليكيا" و" كاريا " . كما نجح فيلادلفوس في مد نفوذ مصر في بحر إيجه بالإستيلاء علي جزيرة" ساموس " و"ميليتوس" بالإضافة إلي الحفاظ علي عصبة الكوكلاديس . وكانت هذه المدن والجزر بمثابة نقط أرتكاز تمكن بطلميوس الثاني من التدخل في شئون العالم اليوناني بما يحقق مصالحه .

وفي مقابل ذلك نجح " أنطيوخوس الأول" في تحريض" ماجاس " والي قوريني علي الثورة والأنفصال بها عن البطالمة وتعين نفسه ملكا مستقلا علي هذه المدينة .

وأخيراً انتهت هذه الحرب في سنة ٢٧٢-٢٧١ ق. م . بتوقيع هدنة بين بطلميوس الثاني وأنطيوخوس الأول . ويظهر تأثير " أرسينوي الثانية " في هذه السياسة من خلال النقوش التكريمية التي أقيمت لها في عدة جزر ومناطق من بحر إيجة وبلاد اليونان وآسيا الصغرى ، ومن خلال ألقاب التشريف التي أنهالت عليها وعلي زوجها .

حرب خريمونيديس

وبتوجيه من أرسينوي الثانية دخل بطلميوس الثاني في تحالف مع بعض المدن الإغريقية التي كان يقودها " أثينا " و" أسبرطة " من أجل التحرر من سيطرة مقدونيا بزعامة " انتيجونوس بن ديمتريوس "، ويظهر هذا التوجيه بوضوح في نهاية القرار الذي أصدرته المدن الإغريقية وجاء فيه : " أن الملك بطلميوس(الثاني) جريا علي سنة والديه واتباعا لنوايا أخته(أرسينوي الثانية) قد أعلن مناصرته لحرية الإغريق جميعاً". ومن هذا النص يتبين أن الإغريق كانوا معتقدين أن هذه السياسة كانت من وضع أرسينوي الثانية أصلاً وليس فيلادلفوس. ويبدو أن أرسينوي الثانية كانت تدرك أنه لم يكن في صالح مصر أن تكون مقدونيا قوية ولذا سعت إلي انشاء تحالف يضم تسع مدن إغريقية بجانب مصرمن أجل تحرير المدن الإغريقية من سيطرة مقدونيا .

ولكن بطلميوس في هذه الحرب التي دارت بين مقدونيا والمدن الإغريقية والتي عرفت بأسم القائد الأثيني"خريمونيديس" ، خيب ظن الجميع عندما أكتفي بتقديم المساعدات المالية والتموينية والقيام بمظاهرات بحرية بواسطة أسطوله في بحر إيجة دون أن يتدخل عسكرياً لصالح المدن الإغريقية مما أدي إلي هزيمتها. وأستطاع الملك المقدوني أن يحرز السيادة البحرية في المنطقة وأضطر بطلميوس الثاني إلي عقد معاهدة مع أنتيجونوس عام ٢٥٦ ق. م . تنازل بمقتضاها عن عصبة جزر الكوكلاديس إلا أنه أحتفظ بجزيرة "ثيرا " . بيد أن فيلادلفوس تمكن من أستعادة السيادة البحرية علي جزر الكوكلاديس وبحر إيجه بدليل عودة الأحتفالات بأعياد البطوليمايا في جزيرة ديلوس سنة ٢٤٩ ق. م. وهي التي كانت قد توقفت بعد انتصار انتيجونوس في حرب خريمونيديس .

الحرب السورية الثانية

وفيما بين أكتوبر ٢٦٢ وأبريل ٢٦١ ق. م . توفي "أنطيوخوس الأول " وخلفه أبنه " أنطيوخوس الثاني " الذي سعي للأنتقام من بطلميوس الثاني لقيامه بمساعدة دولة برجامون في حربها ضد والده وفي الوقت نفسه لاستعادة جوف سوريا من البطالمة . ولذلك شن حرباً أصُطلح علي تسميتها بالحرب السورية الثانية رغم أن غرب آسيا كان ميدانها. وذلك بأعتبارها حلقة من حلقات الحروب بين الدولة البطلمية والدولة السليوقية .

ويروي المؤرخين أن " أنطيوخوس الثاني " من أجل ضمان تحقيق النصر جمع كافة قواته في بابل وآسيا الصغرى ، كما تحالف مع كل من مقدونيا ورودوس . وفي الوقت نفسه ثار كل من والي إفيسوس وميليتوس التابعتين للبطالمة ضد فيلادلفوس . وقد تمكن ملك مقونيا من تحقيق انتصار حاسم علي الأسطول البطلمي في جزيرة كوس سنة ٢٥٨ أو ٢٥٦ ق. م . كما تمكن أسطول رودس من تحقيق انتصار علي الأسطول البطلمي عند إفيسوس سنة(٢٥٥ ق. م.) بينما تمكن أنطيوخوس الثاني من طرد الجيوش البطلمية من آسيا الصغرى فيما عدا إقليم كاريا كما فقدت مصر ممتلكاتها في جزر الكوكلاديس فيما عدا جزيرة ثيرا غير أن بطلميوس الثاني تمكن من الحفاظ علي جوف سوريا .

وقد أدرك فيلادلفوس أن التحالف بين أنطيوخوس الثاني وجوناتاس ملك مقدونيا هو الذي جر عليه كل هذه النكبات ، ولما كان هذين الملكين قد سعيا إلي تقوية أواصر الصداقة بينهما بالمصاهرة التي عقدت بينهما في عام ٢٥٣ ق. م . فقد خشي فيلادلفوس أن يؤدي هذا التحالف إلي ضياع جوف سوريا منه ، ولذلك سعي للتوصل إلي عقد الصلح مع أنطيوخوس الثاني ودعمه بزواج سياسي بحيث يتزوج أنطيوخوس الثاني من " برينيكي " إبنة فيلادلفوس من زوجته أرسينوي الأولي . وحسب تقاليد العصر كانت المرأة أو والدها هو الذي يقدم المهر. ويبدو أن مهر برينيكي كان من الضخامة بحيث لقبت بلقب حاملة المهر phernephoros . ويقال ان ممتلكات مصر في جوف سوريا ذهبت كمهر لأنطيوخوس الثاني ، ولكن يبدو أن هذه المنطقة ظلت من الناحية السياسية تابعة للبطالمة ولكن من الناحية الاقتصادية كان دخلها يحصل عليه أنطيوخوس الثاني ، بشرط أن يكون عرش أنطيوخوس لأبناء الزوجة الجديدة . وكان الملك السليوقي متزوجا من ابنة عمه لاؤديكي وهي التي أنجبت له ابنين وابنتين ولكن أنطيوخوس أبعدها إلي إفيسوس . وعلي هذا النحو أنتهت الحرب السورية الثانية بهذا الزواج السياسي ولعل ان بطلميوس الثاني كان يعول علي هذه الزيجة لربط الدولة السليوقية بمصر نتيجة لنفوذ ابنته لدي زوجها ثم تربعها هي وحفيده علي عرش هذه الدولة .

سياسة فيلادلفوس في قوريني

ومن ناحية أخرى كان نائب الملك البطلمي في قوريني منذ عهد بطلميوس الأول هو " ماجاس " الأخ غير الشقيق للملك فيلادلفوس. ولكن بمجرد أن تولى فيلادلفوس العرش حتي أعلن " ماجاس " استقلاله بقوريني وأقام نفسه ملكاً عليها. وتحالف مع أنطيوخوس الأول الذي زوجه أبنته " أباما " سنة ٢٧٤ ق. م

. وهو ماشجعه علي الزحف علي مصر وكاد أن يصل إلي الإسكندرية لولا نجاح " الملكة أرسينوي الثانية " في إثارة قبائل "المرماريد"الواقعة علي حدود مصر الغربية ضد ماجاس .

ولكن العلاقات بين فيلادلفوس وأخيه ماجاس تحسنت في نهاية عهده حتى أن الملكان أتفقا علـــي أن تتزوج " برينيكي " أبنة " ماجاس " من أبن الملك فيلادلفوس وولي عهده . وكانت هذه هي خير الحلـــول لعودة الوحدة بين مصر وقوريني . ولكن بعد وفاة ماجاس سنة ٢٥٩ ق. م . لم تنفذ زوجته السليوقية هذا الأتفاق وخطبت لأبنتها ديمتريوس أخو ملك مقدونيا وكان معروفا بشدة جماله ويبدو أن الملكـــة " أبامـــا " نفسها وقعت في حبه ، وهو الأمر الذي لم ترض عنه أبنتها فدبرت له مكيدة وقتلته وهو في فراش والدتها سنة ٢٥٥ ق. م . وقبضت علي زمام الحكم في قوريني ونفذت إتفاق والدها بالزواج من ولي عهد مصر. وهكذا عادت الوحدة من جديد بين مصر وقوريني .

سياسة بطلميوس الثاني في شبه الجزيرة العربية

وقد أهتم فيلادلفوس بالسيطرة علي شبه الجزيرة العربية بصفة عامة وعلي سواحلها الغربية بصـــفة خاصة ، فقد كانت صحراء مصر الشرقية امتداداً طبيعيا لصحراء الجزيرة العربية ، وكان ذلك هو مفهـــوم الإغريق قديما حتى أن هيرودوت عندما زار مصر في القرن الخامس قبل الميلاد أطلق علي صحراء مصر الشرقية اسم "بلاد العرب"، كما ان الإسكندر عندما وضع تنظيماته في مصر عين كليومنيس حاكمـــا علـــي منطقة حدود مصر الشرقية التي أطلق عليها اسم المديرية العربية .

وكان أهتمام البطالمة بشبه الجزيرة العربية أمتداداً لأهتمام الفراعنة منذ عصر الدولة القديمة بالتجارة مع بلاد العرب التي كانوا يستوردون منها العطور والبخور والمر والقرفة والبهـــار وأنوعـــا نـــادرة مـــن الأخشاب والنباتات الطبية وكذلك القطن والحرير والعاج والأصداف واللآلئ. وكانت شبه الجزيرة العربيـــة تلعب دور الوسيط التجاري لنقل تجارة الشرق الأقصى وشرق افريقيا عبر طريق البخور الشهير الذي كان يتجه من عدن إلي سبأ ومعين ثم شمالاً إلي مكة ويثرب ومنها إلي مدائن صالح ويستمر الطريـــق شـــمالاً حتي يصل إلي أيلة (العقبة) و مدينة البتراء (الأردن) حيث كان النبطيون يسيطرون علي المحطة الأخيـــر لهذا الطريق ويستطيعون توجيه السلع أما إلي مصر وأما إلي أي مكان آخر بعيداً عن قبضة البطالمة.

وتنشيطا للتجارة الشرقية القادمة بطريق البحر الأحمر قام بطلميوس الثاني بالعناية بالطرق التي تربط وادي النيل بالموانئ المصرية علي هذا البحر فقام باعادة حفر القناة التي تصل بين النيل والبحر الأحمـــر التي شقها الملك " نخاو " خلال العصر الصاوي من النيل إلي هيرونوبوليس الواقعة علي خليج الســـويس والبحيرات المرة ، وذلك تمهيداً لقيامه بنشاط تجاري واسع في البحر الأحمر.

كما أسس سلسلة من المدن علي شاطئ البحر الأحمر مثـــل مدينـــة "أرســـينوي"الواقعـــة علـــي خلـــيج " هيرونوبوليس " (السويس) وميناء " ميوس هورموس " (أبو شعر قبلي) .

و أرسل المستكشفين لاستكشاف سواحل البحر الأحمر للتعرف علي طبيعة هـذه الشـواطئ وشـعوبها ومواردها الأقتصادية ، فأرسل أولاً " ساتيروس " لأستكشاف الساحل الأفريقي للبحر الأحمر . وفي سـنة ٢٨٠ ق. م . أرسل " أريستون " للتعرف علي بلاد العرب من شبه جزيرة سيناء حتي مضيق باب المندب ، فزار شؤاطئ سيناء حتى أيلة النبطية عند رأس خليج أيلة (العقبة) ، ثم توجه جنوباً إلي بلاد الحجاز حيث تعرف علي قبيلة " ثمود " الكبيرة ، وزار في جنوب بلاد العرب مملكة معين وسبأ وقتبـان وحضـرموت ، وانتهت مهمته بوصوله إلي مضيق باب المندب .

ومن المحتمل أن يكون بطلميوس الثاني قد أرسل، عقب رحلة " أريستون " حملة ضد الأنبـاط الـذين نجحوا في مد نفوذهم علي طول الساحل الشرقي للبحر الميت وكانوا يتحكمون في المحطة الأخيرة لطريق البخور الشهير ، وفي الوقت نفسه كان الأنباط يشعرون بالخطر من التوسع البطلمي ولاسـيما وأن هـذا التوسع كان يهدد سيطرتهم علي التجارة في المنطقة فقاموا بالقرصنة علي بعض السفن البطلمية ونهبهـا وقطع الطريق علي القوافل التجارية القادمة من الخليج العربي إلي ساحل الشام ومهاجمة المدن المصرية الواقعة علي الحدود الشرقية . ونتيجة لذلك وجه بطلميوس الثاني حملة عسكرية سنة (٢٧٨-٧٧ ق.م.) لمعاقبتهم علي سوء أعمالهم .

وقد نجحت هذه الحملة في اخضاع قبائل أدوميا وشرق الأردن وطرد الأنباط من منطقة البحر الميت لحماية التجارة الشرقية وليضمن وصول جانب كبير من التجارة الشرقية إلي مصر دون وساطتهم، فيجني من وراء ذلك فائدة كبيرة ويلحق في الوقت نفسه أضراراً فادحة بأعدائه النبطيين . ولكـن ظـل الأنبـاط يشكلون تهديداً مستمراً علي المدن المصرية الشرقية مثل " هيرونوبوليس " التي أضطر بطلميوس الثـاني إلي تحصينها سنة ٢٧٣ ق. م . لحمايتها من هجمات وإغارات الأنباط المستمرة عليها . كما تحالف الأنباط مع أي عدو للبطالمة مثلما أنضموا إلي السليوقيين أعداء البطالمة في معركة" رفح " سـنة(٢١٧ق. م .) وكما حدث عندما ساعدوا يوليوس قيصر في أثناء حصاره في الإسكندرية .

ويري البعض ان الحملة التي انفذها بطلميوس علي بلاد العرب وصلت إلي مكان يقع علـي الخلـيج العربي بيد أن هذا الرأي يصعب قبوله لأن منطقة الخليج العربي كانـت بالكامـل تحـت سـيطرة الدولـة السليوقية. والراجح أن قوات بطلميوس وصلت إلي مدينة " معان مصران " (العلا) وهي احدي المستعمرات التي اسستها دولة معين في منتصف طريق البخور بالقرب من " يثرب " (المدينة المنورة). وبرغم سـقوط دولة معين علي أيدي ملوك سبأ إلا أن هذه المستوطنة ظلت مستقلة. وقد سعى البطالمـة للتحـالف مـع مستوطنة معان مصران من أجل تحويل تجارة البخور إلي مصر مباشرةً قبل أن يصل شمالاً إلي المنطقـة التي كان يسيطر عليها الأنباط من قبل، وبذلك يحرمهم من الأستفادة من هذه التجارة، وفي الوقت نفسه قدم

البطالمة الحماية اللازمة للمعينيين في شمال الجزيرة العربية للأستقلال عن مملكة سبأ اليمنية التي كانـــت تسعى لوراثة مستعمرات الدولة المعينية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية بعد أن أسقطت تلك الدولة في اليمن . وقد ترتب علي هذا التحالف بين البطالمة ومستوطنة مصران أزدهار تجارة المعينيين في المنطقة ، وقد هاجر بعض التجار المعينيين إلي مصر وكونوا جالية تجارية أحتكرت تجارة البخور واللبان في مصر . ومن الأمثلة علي ذلك تاجر معيني يدعى " زيد ايل " كان يشغل وظيفة كاهن في معبد منـــف وكـــان يـــزود المعبد بالبخور والمر ، وقد مات هذا التاجر في مصر وعثر علي تابوته هناك . ومن الأدلة علي أزدهـــار تجارة المعينيين في ظل التحالف مع البطالمة العثور علي أدلة أثرية تثبت أن تجارهم لم يكتفوا بالتجارة مع مصر فقط وإنما وصلت متاجرهم إلي الجزر اليونانية التي كانت تحت سيطرة البطالمة. كما شجع بطلميوس الثاني إغريق ميليتوس ، الذين كانوا تحت سيادة البطالمة، علي إقامة مستوطنة أمبيلوني (مدينة الكـــروم) علي ساحل شبه الجزيرة العربية الغربي المواجه لميناء " ميوس هورموس " المصري حيـــث ربـــط بـــين الميناءين خط ملاحي أدي إلي تحويل طريق البخور مباشرة إلي مصر قبل وصوله إلي البتراء فـــي شـــمال غرب شبه الجزيرة العربية.

خريطة بأبرز المدن والمؤانئ البطلمية الواقعة علي ساحل البحرالأحمر والخط الملاحي بين مصر و شبه الجزيرة العربية

بطلميوس الثالث (يورجتيس الأول)

شخصيته وصفاته

في عام ٢٤٧ ق. م . أشرك بطلميوس الثاني أكبر أبنائه من زوجته أرسينوي الأولي،وهو الذي أُطلــق عليــه أسم بطلميوس الثالث وعندما توفي فيلادلفوس في سنة (٢٤٦ ق. م .) أنفرد بطلميوس الثالث بالحكم. وقد أمتــاز هذا الملك بصفات طيبة وذكرت له من الصفات ما جعلته في نظر رعاياه جديراً بلقب " يورجيتيس " أي الخير وذلك بسبب ما قدمه لشعبه من أعمال جليلة منها أهتمامه بالتخفيف من أعباء الآهالي حين تعرضــت الــبلاد للمجاعــة بسبب إنخفاض فيضان النيل ، فتنازل عن قدر من الضرائب وأستورد كميات كبيرة من القمح من ســوريا وفينيقيــا أنقاذاً للموقف . فضلاً عن أعماله الدينية العظيمة وأهتمامه ببناء المعابد للآلهة المصرية ، ولعل أهمها هو معبــد إدفو الذي تم بنائه علي غرار معبد الكرنك أعظم معابد مصر و كان مخصصاً للرب المصري" حورس الإدفوي " وقد بلغ من ضخامة هذا المعبد أن أستمر العمل فيه بأنتظام في عهد خلفاؤه لمدة مائة وثمانين عاماً فلم يكتمل إلا فــي عهد بطلميوس الثاني عشر.

وكان بطلميوس الثالث ميالاً للعلم والثقافة فأرتبط بصداقة حميمة مع الجغرافــي الشــهير " إراتوســثينس " . وينسب إليه محاولة إصلاح التقويم المصري باضافة يوم سادس إلي أيام النسئ الخمسة كل أربعة أعوام ليتطــابق مع السنة الشمسية الحقيقية ، كما حاول تحديد بداية معينة للتاريخ البطلمي حيث أقترح أن تكون هذه البداية هــي السنة التي مات فيها الإسكندر الرابع أبن الإسكندر الأكبر . وتمتع بطلميوس الثالث عن والده بأخلاقه الرفيعة فلــم يتخذ محظيات وأكتفى بزوجة واحدة هي الملكة برينيكي .



صورة للملك بطلميوس الثالث وشعار الدولة علي قطعة من العملة البطلمية



صورة الملكة برينيكي الثانية زوجة بطلميوس الثالث

الحرب السورية الثالثة

وعندما تولي بطلميوس الثالث العرش واجهته مشكلة خطيرة. ذلك أن الملكة السليوقية " لاؤديكي " التي كان زوجها " أنطيوخوس الثاني " قد هجرها بسبب زواجه من أبنة فيلادلفوس ، قد كسبت " أنطيوخوس " مرة أخرى وأفلحت في في إغراءه علي زيارتها في إفيسوس في عام ٢٤٦ ق. م . حيث مرض فجأة وتوفي ونُودي بأبن لاؤديكي الكبير " سليوقس الثاني" ملكأ علي الدولة السليوقية . ويشير المؤرخ بلينيوس الكبير إلي أن لاوديكي دست السم إلي زوجها وأحضرت بعد وفاته شبيهاً له مثل دور الملك وهو يحتضر وأوصى أتباعه بالولاء لأبنه سليوقس . وقد أختلفت الآراء حول هذه الحادثة ، فهناك من يرى أن أنطيوخوس رفض تعين أبنه الأكبر من لاؤديكي وعزم علي تعين ولده من الأميرة البطلمة برينيكي ولياً للعهد مما أغضب لاؤديكي فدبرت أمر أغتيال زوجها قبل أن يعلن ذلك رسمياً وحتي تؤمن العرش لأبنها سليوقس .

بينما لا يستبعد آخرون أن يكون أنطيوخوس،عندما أتاه نبأ وفاة فيلادلفوس،قرر مصالحة لاؤديكي بقصد إعادة ولاية العرش لأكبر أبنائها الذي كان يبلغ التاسعة عشرة من عمره بعد أن قدر المخاطر التي تتهدد دولته من وصاية طويلة الامد اذا خلفه علي العرش ابنه من برينيكي وكان لايزال طفلاً صغيراً . ولا يبعد أن تكون لاؤديكي بعد فوزها بأمنيتها دبرت مؤامرة قتل زوجها خوفاً من أن يقع تحت تأثير برينيكي ويغير رأيه مرة أخرى .

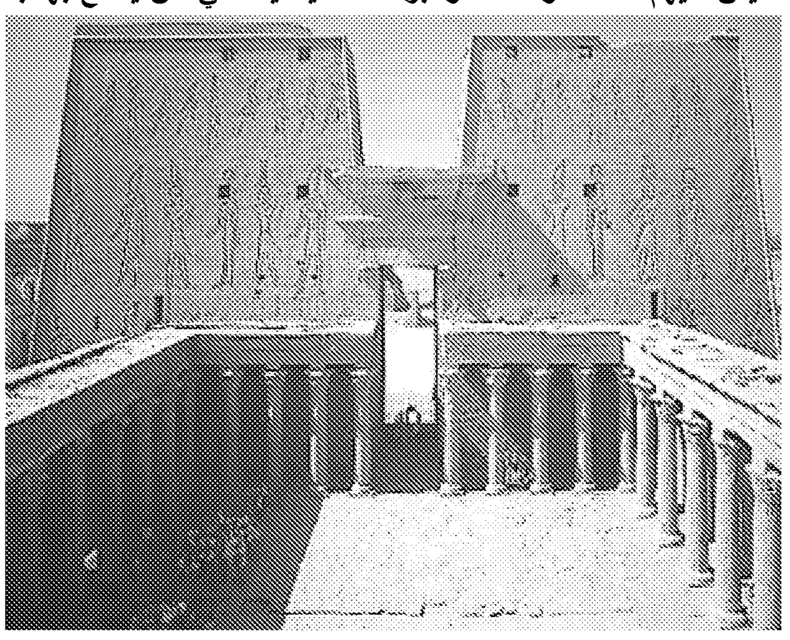
وقد بادرت برينيكي بأتهام لاؤديكي بدس السم لزوجها وتزييف إعترافه بسليوقس خليفة له ، وقد أيدتها أنطاكية وباقي المدن السورية ، كما ناشدت برينيكي مساعدة أخيها ملك مصر الذي وجد في هذه الأحداث فرصة جيدة لإستعادة نفوذ البطالمة في الشام مما أدي إلي اشتعال نيران الحرب السورية الثالثة .

فأصدر بطلميوس الثالث أوامره إلي شقيقه حاكم قبرص بأن يتجه بأسطوله من قبرص إلي أنطاكية عاصمة الدولة السليوقية لأحتلالها، وخاصة بعد أن علم أن أنصار لاؤديكي قاموا بخطف طفل أخته وقتله ثم قبضوا علي برينيكي نفسها وأعدموها، وقد تمكن الأسطول البطلمي من السيطرة علي كليكيا والأستيلاء علي الأموال التي كانت في طريقها إلي لاؤديكي . أما بطلميوس الثالث فأتجه بقواته إلي الشام معلناً أن ذلك الجيش الذي يقوده جاء للأنتقام من مقتل برينيكي وأبنها . وبالفعل نجح بطلميوس في السيطرة علي سوريا حتى وصل إلي جبال طوروس في أقصى الشمال ثم أتجه شرقاً حتي وصل إلي مدينة " سليوقية بيرية " علي نهر دجلة ، ثم أنفذ الرسل إلي حكام الولايات الشرقية يطلب منهم الطاعة فأذعنوا، وبعد ذلك عين حاكما عاما علي هذه الولايات . ويقال أن بطلميوس الثالث كان يريد الوصول إلي الخليج العربي شريان الحياة الاقتصادية للدولة السليوقية ، وكان بامكانه القضاء النهائي علي الدولة السليوقية، ولكنه فجأة ضحى بكل هذه الأنتصارات بعد أن وصلت إليه أخبار سيئة من مصر تفيد بنقص فيضان نهر النيل مما أدي إلي حدوث قحط ومجاعة هددت بقيام المصريين بالثورة ، فقرر بطلميوس الثالث العودة إلي مصر بعد

أن ترك حاميات في كليكيا وسوريا. وقد أنتهز الملك السليوقي فرصة انسحاب الملك البطلمــي وأنشــغاله بالأزمة الداخلية وتمكن بالطرق الدبلوماسية والعسكرية من استعادة معظم ممتلكاته في شمال الشام وكليكيا والشرق ، ولم يتبقى للبطالمة في الشام سوى جوف سوريا والساحل الفينيقي . وفي الوقت نفسه لم يتمكن سليوقس من مواصلة الحرب ضد البطالمة بسبب الصراع الذي نشب بينه وبين شقيقه الأصغر "أنطيوخوس هيراكس" وهوالصراع الذي سمي بحرب الأخوين.وأخيراً أنتهت الحرب السورية الثالثة بتوقيع الصلح بين الطرفين وأقر سليوقس الثاني بأحقية البطالمة في الأحتفاظ بجوف سوريا والساحل الفينيقي.

أهمال الجيش في نهاية عهد الثالث

ولم يخرج بطلميوس الثالث للحرب مرة ثانية طوال حياته بعد ذلك معتمداً علي مجده الحربــي الأول ، وأكتفى بأستخدام الطرق الدبلوماسية مع منافسيه . ففيما يتعلق بعلاقته بالدولة السليوقية أستغل الحــرب الأهلية في تحريض طرف علي الآخر عن طريق أمداده بالمال . وهكذا ظلت الدولة السليوقية منشقة علي نفسها فترة طويلة لم تتمكن خلالها من مناوئة البطالمة في جوف سوريا . وفي بلاد اليونان كــان يســاند المدن اليونانية في ثوراتها وحروبها ضد مقدونيا . وعلي هذا النحو حافظ علي إمبراطورية البطالمة فــي برقة وجوف سوريا والساحل الفينيقي وآسيا الصغرى. ولكنه في الفترة الأخيرة من حكمه أهمــل الجــيش مفضلا الأعتماد علي الطرق الدبلوماسية لتحقيق أهدافه . وعلي هذا النحوعندما توفي بطلميــوس الثالــث سنة(٢٢١ ق.م.) لم تعد لمصر قوة حربية يخشى بأسها،مما كان له نتائج وخيمة علي البطالمة عندما تولي عرش مصر ملوك ليس لديهم النشاط والحنكة والبراعة السياسية التي كان يتمتع بها بطلميوس الثالث .



معبد حورس الإدفوي الذي بدأ أنشائه في عهد بطلميوس الثالث

الفصل الخامس

عصر ضعف دولة البطالمة

١ – بطلميوس الرابع .

٢ – بطلميوس الخامس وضياع جوف سوريا .

٣ – الصراع الأسري في عهد بطلميوس السادس والغزو السليوقي لمصر .

٤ – بطلميوس الثامن وأزدياد التخل الروماني في شئون مصر .

٥ – تجدد الصراع الأسري في عهد بطلميوس التاسع والعاشر وضياع قوريني .

٦ – بطلميوس الحادي عشر يوصي بمصر للرومان .

بطلميوس الرابع (فيلوباتور)

شخصيته وصفاته

تولي بطلميوس الرابع العرش سنة ٢٢١ ق. م . وكان في الثانية والعشرين من عمــره ، وأراد أن يتقرب إلي رعاياه فأتخذ لنفسه لقب " فيلوباتور " أي المحب لأبيه لمعرفته بمدى حب الناس لأبيه . غير أن فيلوباتور كان علي النقيض من والده فقد كان مستهتراً يميل إلي اللهو والمجون والتراخي وأهمال شــئون الحرب والسياسة التي تركها في يد حاشية فاسدة أطلق عليها الأسكندريون أسم " أخوان الأنس " كان علي رأسها نديمه " أجاثوكليس " ووزيره " سوسيبيوس " الذي حرضه علي أرتكاب جرائم بشــعة ضــد أفــراد عائلته، فقتل والدته " برينيكي " وأخويه وعمه وعدد من أصدقائه ، وذلك حتي يخلو له الجو ويسيطر علي الملك ويدير الدولة دون مضايقة من أحد .

ومن ناحية أخرى أقتفي " فيلوباتور" أثر جده " فيلادلفوس " وتزوج هو أيضا من أختــه " أرســينوي الثالثة " وعرفا معا بأسم " الآلهين فيلوباتور " أي المحبين لأبيهما .

ويعتبر عهد هذا الملك نقطة التحول في التاريخ البطلمي من عصر القوة إلي عصر الضــعف فقــد أنحــدر بالدولة التي ورثها عن أبيه وهي في قمة القوة والأتساع إلي حال من الضعف لم يقدر لها أن تنهض منها .



صورة بطلميوس الرابع علي إحدى قطع العملة البطلمية

الحرب السورية الرابعة

وفي الوقت الذي تولي فيه عرش مصر ملك ضعيف تولي عرش الدولة السليوقية ملك طموح هو" أنطيوخوس الثالث" الذي انتهز فرصة سوء الأوضاع الداخلية في مصر خلال عهد " فيلوباتور" لأستعادة منطقة جوف سوريا وساحل فينيقيا من البطالمة . وفي عام (٢٢١ ق.م.) زحف " أنطيوخوس الثالث " علي الساحل الفينيقي غير أن " ثيودوتوس " القائد العام للجيش البطلمي هناك تمكن من أحكام الدفاع عن المدن الفينيقية وحصونها فأضطر أنطيوخوس للأنسحاب لبلاده ولاسيما بعد سمع بقيام ثورات ضده هناك . ومن الغريب أن ولاة الأمور في مصر بدلاً من اعرابهم لهذا القائد عن تقديرهم لنجاحه في رد هجوم " أنطيوخوس " أساءوا معاملته ، ولذلك لا عجب أنه عندما عاود " أنطيوخوس " الهجوم علي الشام أستحثه " ثيودوتوس " علي القدوم إلي جوف سوريا وأعرب له عن أستعداده لتسليم هذا الأقليم إليه . فلم يكن من " أنطيوخوس " إلا أن أسرع للسيطرة علي الساحل الفينيقي وجوف سوريا حتي وصل إلي غزة ، وكان ينوي مواصلة زحفه نحو مصر للسيطرة عليها مستغلأ سوء أحوالها وضعف ملكها .

والحقيقة أن هذه الظروف أظهرت مقدرة الوزير البطلمي " سوسيبيوس " علي المناورة والأستفادة من جميع الفرص المتاحة ، فقد قام هذا الوزير بتحريك القلاقل و الأضطرابات في المملكة السليوقية، وفي الوقت نفسه نجح في خداع الملك السليوقي بالترويج لدعاية تقول أن الجيش البطلمي بكامل قوته كان متجمعاً عند بيلزيوم،وفي حقيقة الأمر لم يكن هناك أي جيش مستعداً للقائه. ومن ناحية أخرى أوهم الوزير البطلمي الملك " أنطيوخوس " بأنه يستطيع الحصول علي جوف سوريا بمفاوضات سلمية لو أنه عقد هدنة لمدة أربعة شهور ، وقد قبل الملك السليوقي بهذه الهدنة لأنه كان يخشى التغيب طويلاً عن دولته فعاد لبلاده في أنتظار المفاوضات المزعومة لتسليم جوف سوريا .

معركة رفح ٢١٧ ق. م.

وقد أستمرت هذه المفاوضات لمدة عامين تمكن خلالهما الوزير " سوسيبيوس " من إعادة تنظيم الجيش البطلمي حيث أحضر عدداً كبيراً من الضباط والجنود المرتزقة من بلاد اليونان ، ودعى للخدمة العسكرية أربعة آلاف من الجنود الذين أستقروا في مصر وحصلوا علي إقطاعات عسكرية، كما أضطر إلي تجنيد نحو عشرين ألف من الفلاحين المصريين حيث تولى تدريبهم علي الأساليب الحربية المقدونية ، وكانت هذه الخطوة بالذات وما ترتب عليها من نتائج بالغة الأهمية .

وعندما أدرك " أنطيوخوس " أخيراً عبث الأستمرار في المفاوضات قطعها سنة ٢١٨ ق. م . وبدأ حملة جديدة لأستكمال إخضاع جوف سوريا ، وبالفعل نجح في الأستيلاء علي المدينة تلو الأخرى حتى وصل غزة ومنها عبر الحدود المصرية إلي رفح حيث التقى هناك بالجيش البطلمي الجديد،وكان قوام جيش " أنطيوخوس " (٦٢) ألف من المشاة و(٦) آلاف من الفرسان و(١٠٢) من الفيلة الهندية الأضخم والأقوى

من الفيلة الإفريقية،بينما كان الجيش البطلمي يتألف من (٥٠) ألف من المشاة و(٥) آلاف فارس ، و(٧٣) فيلاً إفريقياً . وقد أنضم الأنباط والسبئيين إلي جانب السليوقيين . وربما حاولت سبأ أنتهاز الفرصة لاستعادة سيطرتها علي مستوطناتها في شمال غرب الحجاز، وتحرير طريق البخور من السيطرة البطلمية، وأنضم الأنباط إلي جانب السليوقيين بهدف إستعادة نفوذهم علي الساحل الشرقي للبحر الميت واستعادة سيطرتهم علي التجارة في هذه المنطقة، بينما أنضم عرب الحجاز من مستوطني معان مصران إلي جانب حلفائهم البطالمة .

وعندما بدأت المعركة نجح الجناح الأيمن البطلمي في هزيمة الجناح الأيسر السليوقي في حين أن فيلة الجناح البطلمي الأيسر عجزت عن مقاومة الفيلة الهندية،التي أنقضت علي فرق حملة الدروع البطلمية وحطمتها ثم أطبق أنطيوخوس بفرسانه علي باقي الجناح الأيسر البطلمي الذي كان يقوده بطلميوس الرابع غير أن أنطيوخوس أخذته الحمية إلي مطاردة الهاربين من قوات البطالمة المنهزمة،في حين تمكن بطلميوس من العودة لقيادة قلب جيشه الذي كان يتكون من الفلاحين المصريين الذين لم يكن قد مضى علي تجنيدهم وتدريبهم إلا وقت قليل بيد أنهم نجحوا في تحقيق أنتصار حاسم علي قلب جيش العدو الذي كان يتألف من خيرة جنود العصر، وعندما عاد أنطيوخوس من مطاردة الجناح الأيسر البطلمي وجد جيشه قد تمزق ، فلم يتمكن إلا من الفرار مع ما تبقى من جنوده الفارين وأنسحب عائداً إلي بلاده .

نتائج موقعة رفح

وعلي أثر هذه الهزيمة أضطر الملك " أنطيوخوس الثالث " إلي طلب الصلح مع " فيلوباتور " الذي لم يستثمر أنتصاره وأكتفى فقط باستعادة جوف سوريا والساحل الفينيقي دون أن يصر علي أسترداد " سلوقية بيرية " أيضا التي كانت في قبضة البطالمة منذ الحرب السورية الثالثة وكان أنطيوخوس الثالث قد أستعادها في عام ٢١٩ ق. م . مع بداية الحرب السورية الرابعة .

وقد شهد المؤرخ بولبيوس بأن أنتصار البطالمة في هذه المعركة يرجع إلي شجاعة الفيلق المصري. وكانت هذه أول معركة يشترك فيها المصريين للدفاع عن بلادهم منذ نهاية العصر الفرعوني مما أدى إلي إرتفاع روحهم المعنوية وإلي عودة الثقة لأنفسهم ، وراحوا يحنون لأيام مجدهم في عصر ملوكهم الفراعنة العظام أمثال أحمس الأول وتحوتمس الثالث ورمسيس الثاني، مما أدي إلي أنتشار روح التحدي للوجود الأجنبي علي أرض مصر ويحدثنا بولبيوس " بأن المصريين ، وقد أزدهوا أعجابا بأنتصارهم في موقعة رفح ،أصبحوا لا يحتملون الخضوع لسادتهم " وذلك لأن الجنود المصريون بعد أن عادوا من موقعة رفح إلي قراهم وأخذوا يباشرون حياتهم العادية، أزداد أحساسهم بالظلم والألم من مركزهم الوضيع بالنسبة إلي الإغريق الذين كانوا يتمتعون بوضع سياسي وأقتصادي وأجتماعي ممتاز، في الوقت الذي كان البطالمة يعاملون المصريين معاملة المقهورين المغلوبين علي أمرهم ويفرضون عليهم الأعباء المتزايدة مما أدي إلي أشتعال لهيب الثورة بين المصريين . وليس من قبيل المصادفة أن تندلع ثورة عارمة سنة (٢١٦

ق.م.) بدأت في الدلتا ثم أمتدت إلي مصر العليا ولم يتمكن البطالمة من اخمادها إلا في عـــام ١٨٤ ق. م. مما كان له أكبر الأثر في تدهور الأقتصاد في الداخل وضعف مكانة البطالمة في الخارج . ولم يجد البطالمة بدا من تملق المصريين والتودد إلي الكهنة والأغداق عليهم بالأمتيازات وعلي المعابد بالأراضي ، وأصـــبح تقليدا أن يسعى البطلميوس عند تتويجه إلي شراء مبايعة الكهنة. ومنذ ذلك الحين انحسر المد الإغريقـــي وبدأ الطابع المصري يطغى علي الطابع الإغريقي .

ومنذ معركة رفح بدأ الملوك البطالمة يتقربون إلي روما في محاولة للتحالف معها في مواجهة أعدائهم ولاسيما السليوقيين والمقدونيين. ففي أثناء الحرب البونية الثانية بين روما وقرطاجة عندما كان " هانيبال " يشن علي روما حربا إقتصادية بتدمير الحقول والمحاصيل في إيطاليا، خفف بطلميوس الرابع من حدة هذا الحصار الاقتصادي عندما قدم القمح المصري للشعب الروماني .

ومن ناحية أخرى عبرت النقوش العربية في الحجاز عن فرحة تجار مستوطنة معان مصـــران بهـــذا النصر الذي أعتبروه أنتصاراً علي عرب الجنوب، وقدموا القرابين للآلهة إعترافاً بفضلها في تحقيق هـــذا النصر ولنجاة قوافلهم التجارية من الخطر .

وبعد أنتهاء الحرب السورية الرابعة عاد " فيلوباتور " إلي ميله الطبيعي لحياة الدعة وأطلق لنفسه العنان في حياة المجون التي لا نستبعد أن تكون وراء وفاته في نهاية عام ٢٠٣ ق. م . قبل أن يتجـــاوز عمـــره الأربعين عاما، تاركا عرشا غير وطيد لطفل في السادسة من عمره تعبث به أهواء حاشية فاسدة .

بطلميوس الخامس (إبيفانيس)

خلف بطلميوس الرابع علي العرش صبي لم يتجاوز السادسة من عمره وتبعا لذلك كان لابد من وصي عليه ، و كانت أمه الملكة أرسينوي الثالثة هي الوصي الطبيعي عليه . ولما كان "سوسيبيوس"و"أجاثوكليس" يعلمان أنهما قد لا يبقيان طويلا إذا تمكنت الملكة أرسينوي الثالثة من السيطرة علي مقاليد الأمور عن طريق الوصاية علي أبنها ، فأنهما لم يعلنا خبر وفاة الملك وأنتظروا ريثما دبرا مؤامرة أدت إلي قتل الملكة داخل القصر ثم زيفا وصية للملك بتعينهما وصيين علي الملك الطفل وأعلنا بعد ذلك وفاة الملك والملكة ثم قرئت الوصية المزورة معلنة تعيينهما وصيين علي الملك الطفل "بطلميوس الخامس" الذي حمل بعد ذلك لقب "إبيفانيس" (الإله المتجلي) . وبطبيعة الحال لم تنطلي هذه التمثيلية علي الحاضرين مما أدي لقيام ثورة ضد الوصيين مات في أثنائها "سوسيبيوس" كما قام الثائرين بالقبض علي "أجاثوكليس" وقتله .

وكان من الطبيعي أن يستغل أعداء البطالمة سوء الأحوال الداخلية في مصر وضعف الحكومة البطلمية للأنقضاض عليها .



صورة بطلميوس الخامس وشعار دولة البطالمة علي قطعة عملة

ويحدثنا المؤرخ " بوليبيوس " أن كل من الملك" أنطيوخوس الثالث " و الملك " فيليب الخامس " ملك مقدونيا قد أتفقا علي أقتسام ممتلكات

مصر الخارجية، بحيث يطلق كل منهما يد الآخر في الممتلكات البطلمية القريبة منه، فيأخذ " فيليب " ممتلكات مصر في تراقيا والدردنيل وجزر الكوكلاديس ، أما " أنطيوخوس " فأنه يأخذ إقليم جوف سوريا وساحل فينيقيا وما تبقى للبطالمة من ممتلكات في آسيا الصغرى .

الحرب السورية الخامسة وضياع جوف سوريا

وفي ظل هذه الظروف المواتية شن " أنطيوخوس الثالث " حرب جديدة علي مصـــر عرفـــت بـــالحرب السورية الخامسة ، حيث تقدم في ربيع عام ٢٠١ ق. م . وأستولى علي الساحل الفينيقي وجوف سوريا بعد مقاومة عنيفة في غزة ولكنه تمكن من هزيمة الجيش البطلمي هزيمة ساحقة في عام (٢٠٠ ق.م.) في موقعة " بانيون " ، وعلي هذا النحو فقد البطالمة إلي الأبد الساحل الفينيقـــي وجـــوف ســـوريا . وكـــان " أنطيوخوس " في مركز يسمح له بغزو مصر نفسها، لكنه أتجه لاستعادة ممتلكاته الوراثية في آسيا الصغرى منتهزاً فرصة هزيمة فيليب الخامس أمام روما في الحرب المقدونية الثانية .

أما فيليب فقد أنقض علي ما تبقي للبطالمة من ممتلكات عند مضيق البسفور ، في جزر الكـــوكلاديس وتراقيا دون أن يتمكن البطالمة من عمل أي شئ لحماية ممتلكاتهم وألتزم البطالمة موقفا سلبياً حتى فـــي أثناء أشتباك روما مع مقدونيا ثم مع الدولة السليوقية وهو ما أطلق عليه سياسة الحياد . وعلي هذا النحو لم يبق للبطالمة من ممتلكات خارجية سوى " قوريني " و" قبرص " .

أزدياد النفوذ الروماني في شرق البحر المتوسط

وفي تلك الأثناء رأى مجلس السناتو الروماني ضرورة التدخل لوقف هذا العدوان وذلك بســـبب حنـــق الرومان علي فيليب الخامس منذ تحالفه مع هانيبال عندما الأخير كان لايزال يحقق أنتصارته علي القـــوات الرومانية داخل ايطاليا،كما أن فيليب خرق أكثر من مرة الصلح الذي وقعه مع الرومان في أعقاب الحـــرب المقدونية الأولي

عام ٢٠٥ ق. م. ، ومن ناحية أخرى رأت روما أن تحالف فيليب مع أنطيوخوس علي حســـاب ممتلكـــات البطالمة يخل بمبدأ توازن القوى، ويخلق دولتين قويتين في شرق البحر المتوسط علي النحو الذي قد يعوق تحقيق أهداف الرومان في بسط هيمنتهم الكاملة علي هذا البحر .

ومن ناحية أخري لجأ بطلميوس الخامس إلي التحالف مع الرومان للحصول علي حمايتهم من أطماع فيليب الخامس وأنطيوخوس الثالث وعلي أمل أن يساعدوه علي إسترداد ممتلكاته التي سلبها هذين الملكين . وفي عام (٢٠٠ق.م.) وصلت إلي مصر سفارة رومانية لشكر البطالمة علي وقوفهم بجانب روما خـــلال الحرب البونية الثانية ضد هانيبال ، وكانت هذه السفارة بمثابة أنذار لكل من فيليـــب وأنطيوخـــوس بعـــدم التدخل في شئون مصر . وفي هذه الأثناء كانت روما تستعد لخوض حروب جديدة ضـــد فيليـــب الخـــامس وأنطيوخوس الثالث فطلبت السفارة من بطلميوس الخامس الوقوف علي الحياد في هذا الصراع وأن يظـــل علي ولائه لروما . وقد رد بطلميوس بأرسال سفارة إلي مجلس السناتو الروماني ليخطرهم أنه تلقى دعوة من الأثينيين والإغريق للتدخل إلي جانبهم عسكريا ضد فيليب الخامس المقدوني ، وأنه آثـــر أن يســـتأذن السناتو الروماني قبل قبول هذه الدعوة إما أن يتدخل الرومان لحماية الأثينيين أو يعلن السناتو أنه لـــيس

علي أستعداد للتدخل وفي هذه الحالة يقوم بطلميوس بأرسال قوات عسكرية لحماية أثينا من فيليب . وقد رد الرومان عليه بأنهم ينوون مساعدة حلفائهم ، وأنهم إذا إحتاجوا لمعونة مصر الاقتصادية (القمح) فلن يترددوا في طلبها . وعلي هذا النحو كانت روما تريد تجميد الدولة البطلمية عند الحد الذي هي عليه ولا تسمح لها بمد نفوذها خارج حدودها حتي لا تصبح قوة كبيرة في شرق البحر المتوسط .

وتبعا لذلك ما أن فرغت روما من الحرب البونية الثانية حتى بادرت في عام ٢٠٠ ق. م . إلي إعلان الحرب علي فيليب الخامس ، وفي عام ١٩٧ ق. م . أنزلت به هزيمة قاسية في موقعة "كينوس كيفالاي" في شمال بلاد اليونان وحررت من قبضته جميع المدن الإغريقية وأستولت علي أسطوله وفرضت عليه تعويضات حربية .

وفي تلك الأثناء أنتهز الملك السليوقي فرصة أنشغال روما بحربها ضد مقدونيا وهزيمة فيليب الخامس وقام بالزحف علي المدن الإغريقية التي كانت تابعة لمقدونيا في آسيا الصغرى وتراقيا عام (١٩٧ ق.م.) وعندئذ أرسلت إليه روما سفارة طالبته بالأنسحاب من المدن الإغريقية في آسيا الصغرى وعدم التعرض للمدن الإغريقية في أوربا إحتراماً لمبدأ حرية الإغريق وقد رد أنطيوخوس علي هذا التحذير بأنه لا حق لأحد أن يتدخل في شئون رعاياه في آسيا الصغرى تماما كحق روما في عدم تدخل أحد في شئون رعاياها في صقلية وجنوب ايطاليا.

وإزاء السياسة الرومانية تجاه البطالمة ، وتنامي قوة أنطيوخوس الثالث رأي الوصي علي الملك البطلمي أنه لم يعد هناك أمل لأنقاذ مصر نفسها من أطماع الملك السليوقي إلا بحسن التفاهم معه، فأخذ يسعى إلي عقد الصلح معه علي أساس زواج بطلميوس
الخامس ملك مصر من " كليوباترا "(ذات الأب المجيد) أبنة أنطيوخوس الثالث ملك الدولة السليوقية . وفي شتاء عام (١٩٤-١٩٣ق.م.) عندما بلغ بطلميوس الخامس سن الرشد تزوج من " كليوباتر الأولي " لعله يأمن بهذا الزواج شر الملك السليوقي فلا يهاجم مصر ، وفي الوقت نفسه كان أنطيوخوس الثالث يأمل في أن تساعده مصر في محاربة الرومان ، كما كان يتطلع لأن يكون حفيده هو وريث عرش مصر . ويحدثنا المؤرخ " أبيانوس أن هدية (مهر) العروس لزوجها كانت جوف سوريا " بيد أننا نرجح أن المهر لم يكن أكثر من دخل جوف سوريا وفينيقيا وذلك لأن هذا الإقليم منذ موقعة " بانيون " سنة (٢٠٠ق.م.) ظل خاضعاً علي الدوام للدولة السليوقية .

وما لبثت أن حولت روما أنظارها إلي "أنطيوخوس الثالث" وأعلنت عليه الحرب سنة (١٩٢ق.م.)،ووفقا لما يرويه المؤرخ " تيتوس ليفيوس " فأنه عندما غزا أنطيوخوس بلاد الإغريق في خريف سنة (١٩٢ق.م.) عرضت بعثة بطلمية علي روما مساعدة مالية كبيرة من أجل متابعة هذه الحرب ، لكن روما رفضت هذه المساعدة . وفي العام التالي عندما عندما طرد الرومان أنطيوخوس من بلاد

الإغريق سارعت بعثة بطلمية أخري إلي تقديم فروض التهاني إلي السناتو الروماني وحثه علي تعقب أنطيوخوس في آسيا ، ووضع موارد مصر تحت تصرف روما لتحقيق هذا الغرض ، ولكن روما رفضت للمرة الثانية قبول مساعدة مصر .

وفي أواخر عام ١٩٠ق. م . أنهت روما عملياتها العسكرية ضد أنطيوخوس الثالث علي نحو حاسم بهزيمته في موقعة " ماجنسيا الكبرى " في آسيا الصغرى ، وفي معاهدة " اباميا " التي أبرمتها معه سنة (١٨٨ ق.م.) جردته من جميع ممتلكاته في آسيا الصغرى ووزعتها بين حليفتيها " برجامون " و" رودوس " ، وأكتفت روما بالحصول علي أفياله الحربية وألزمته بأن يدفع لها تعويضات حربية هائلة . بينما أحتفظ أنطيوخوس بأقليم " كليكيا " و" جوف سوريا " اللتين أنتزعهما من البطالمة ورفضت روما أن تعيدهما إلي الملك البطلمي بسبب تحالفه مع الملك السليوقي وزواجه من أبنته ، وأيضا لأن روما كانت لا تريد أن تستعيد مملكة البطالمة قوتها في شرق البحر المتوسط الذي كانت تمهد للسيطرة عليه مثلما نجحت من قبل في السيطرة علي غربه . ولاشك في أن نجاح السياسة الرومانية في الشرق الأدنى يرجع إلي أعتمادها علي مبدأ التوازن بين القوى المختلفة في تلك المنطقة في التنافس فيما بينها وفي خضوع هذه القوى لها، وهو ما مهد لروما أحتلالها فيما بعد .

وفي عام (١٨٠ق.م.) توفي بطلميوس الخامس فجأة تاركا وراءه ثلاثة أبناء كان أكبرهم في السابعة من العمر (بطلميوس السادس) في السابعة من عمره والأصغر (بطلميوس الثامن) وبنتا هي كليوباترا الثانية .

بطلميوس السادس (فيلوميتور)

وقد تولي بطلميوس السادس الحكم تحت وصاية أمه الملكة " كليوباترا الأولى " حتى عام ١٧٦ ق. م . عندما ماتت الملكة الأم فأنفرد بطلميوس السادس بالحكم وتولى أمر السياسة أثنان من عبيد القصر المحررين هما " يولايوس " و " لينايوس " وما أن بلغ الملك سن الخامسة عشرة حتى زُوج من أخته " كليوباترا الثانية " وتوج نفسه ملكاً سنة ١٧٢ ق. م . وحمل لقب " فيلوميتور " أي المحب لأمه .



صورة بطلميوس السادس وشعار دولة البطالمةعلي العملة

سياسة بطلميوس السادس الخارجية

وبتولي " بطلميوس السادس " العرش تغيرت سياسة مصر الخارجية فقد كانت كليوباترا الأولى تدعو لحياد مصر ومهادنة السليوقيين ولكن بعد موتها أتجه بطلميوس السادس لمحاباة الرومان ومعاداة اخواله السليوقيين من أجل إستعادة جوف سوريا، وذلك لأنه بعد وفاة "كليوباترا الأولى " بدد أخوها " أنطيوخوس الرابع " ملك الدولة السليوقية كل فرص السلام برفضه الأستمرار في دفع دخل اقليم جوف سوريا للبطالمة وفقا لما كان متفقأ عليه في صداق أخته عند زواجها من بطلميوس الخامس ونفى تماماً وجود أية معاهدة تعطي البطالمة ملكية هذا الاقليم ، ومن ناحية أخرى كان " أنطيوخوس الرابع " يطمع في الاستيلاء علي مصر أو فرض وصايته عليها علي الأقل .

وفي تلك الأثناء كانت روما تستعد لخوض غمار حرب جديدة ضد الدولة المقدونية فقامت بأرسال سفارة إلي كل من " فيلوميتور " و" أنطيوخوس الرابع " للاطمئنان علي موقفهما في أثناء هذه الحرب ،وقد أكد الملكان للسفراء الرومان أنهما سيبقيان علي وفائهما لروما . وعندما كانت الحرب بين البطالمة والسليوقيين علي وشك الوقوع أرسل كل من الطرفين المتنازعين بعثة دبلوماسية إلي روما ،وقد تحدث مبعوثو أنطيوخوس إلي السناتو عن تحدي البطالمة ومبادئتهم بالعدوان . أما مبعوثوا البطالمة فقد كلفوا بتجديد علاقات الصداقة بين مصر وروما . وتدل هاتان السفارتان علي مدى ما بلغته روما من نفوذ في شرق البحر المتوسط ، ولابد من أن تكون روما قد استخدمت كل دهائها السياسي في تغذية الحرب بين البطالمة والسليوقيين لتضمن إضعافهما معا وعدم تدخلهما في حربها ضد مقدونيا .

غزو أنطيوخوس الرابع لمصر

وبمجرد فراغ أنطيوخوس الرابع من القضاء علي القلاقل الداخلية في دولته بادر بغزو مصر في ربيع عام ١٧٠ ق. م. بعد أن أحس بتغير سياستها تجاه دولته . وشجعه علي ذلك علمه بسوء أحوال مصر الداخلية . وأستطاع أن يهزم القوات البطلمية التي لقيته عند الحدود الشرقية وأستولي علي بيلزيوم ، وتقدم حتى وصل إلي منف وهناك توج بها فرعونا مثلما فعل الإسكندر الأكبر من قبل .

ويحدثنا المؤرخ " بوليبيوس " أن بطلميوس السادس عندما علم بنباء هزيمة جيشه في بيلزيوم هرب بكنوزه إلي" ساموتراقيا " ،وقد استدعاه خاله " أنطيوخوس الرابع " إلي منف لعقد صلحاً معه ، وتم الأتفاق بينهما علي شروط الصلح التي كانت تتضمن إعتراف بطلميوس السادس بحماية خاله أنطيوخوس الرابع . وما أن بلغت هذه الأنباء مسامع أهل الإسكندرية حتى نادوا ببطلميوس الأصغر شقيق فيلوميتور ملكأ علي مصر . وتبعا لذلك واصل الملك السليوقي زحفه من منف في طريقه إلي الإسكندرية بحجة إعادة الملك الشرعي فيلوميتور إلي العرش لكي يظهر في ثوب من لا أطماع له في مصر .

وفي فترة وجيزة تمكن الجيش السليوقي من محاصرة الإسكندرية،ولكن إزاء صعوبات الحصار،وقيام اليهود في بيت المقدس بزعامة الحبر الأكبر " ياسون " بثورة كبيرة ضد أنطيوخوس الرابع ، أضطر الملك السليوقي إلي الانسحاب من مصر بعد أن ترك حامية في بيلزيوم . ولعل أن الملك السليوقي وهو ينسحب من مصر كان يعول علي أن الصراع المحتوم بين الأخوين " فيلوميتور " الذي تركه في منف وأخيه الأضغر الذي وضعه الشعب علي العرش في الإسكندرية سوف يمهد له السبيل إلي غزو مصر مرة أخرى بعد أن يقضي علي الثورة التي أشتعلت في مملكته [1].

وإزاء الخطر السليوقي المحتمل أتفق الأخوان " فيلوميتور " وشقيقه الأصغر علي الصلح وأن يحكما مصر سويا بالاشتراك مع شقيقتهما " كليوباترا الثانية " زوجة " فيلوميتور " حتي لا يعطوا الفرصة للملك السليوقي للعودة إلي مصر بحجة إعادة فيلوميتور للعرش .

وبالفعل عندما أنتهى " أنطيوخوس الرابع " من قمع ثورة اليهود زحف مرة أخرى علي مصر في ربيع (١٦٨ق.م.) وأرسل أسطولاً نجح في للاستيلاء علي قبرص . وحين كان " أنطيوخوس " في طريقه إلي " بيلزيوم " أوفد إليه فيلوميتور سفارة لشكره علي استعادته عرشه بفضله والاستفسار عما يطلبه لقاء خدماته بدلا من فرض ذلك بالقوة . فأجاب " أنطيوخوس " بأنه لن ينسحب إلا اذا حصل علي " قبرص " و" بيلزيوم " والاقليم المجاور لفرع النيل البلوزي بحجة تأمين حدود مملكته الجنوبية . وعندما رفض البطالمة هذه المطالب تقدم " أنطيوخوس الرابع " للمرة الثانية صوب

---

[1] يذكر العالم الألماني " أوتو " أن روما هي التي حركت فتنة اليهود في فلسطين أثناء غزو أنطيوخوس الرابع لمصر لكي تجبره علي الأنسحاب منها .

منف ، ومنها تقدم لمحاصرة الإسكندرية. ولم يعد هناك أدنى شك في أن الملك السليوقي لم يكن يبغي الدفاع عن حقوق فيلوميتور في العرش كما كان يدعي ، بل كان يطمع في الاستيلاء علي مصر واسقاط الملكين ليتربع هو علي عرشها .

وإزاء هذا الموقف الخطير لجأ الملوك البطالمة إلي روما لكي تنقذهم من الملك السليوقي. ومن ناحية أخرى لم يكن من المتوقع أن تقف روما مكتوفة الأيدي إزاء إختلال سياسة توازن القوى التي أتبعتها في منطقة الشرق الأدنى، ولم يكن في وسعها السماح بقيام إمبراطورية سليوقية علي النحو الذي يهدد المخططات الرومانية في السيطرة علي شرق البحر المتوسط ، وكانت روما قد خرجت للتو منتصرة من الحرب المقدونية الثالثة ، وهي الحرب التي ظن " أنطيوخوس الرابع " أنها سوف تشغل روما لسنوات طويلة يستطيع خلالها ابتلاع مصر، ولكن انتهاء هذه الحرب بسرعة غير متوقعة بدد مخططات أنطيوخوس الرابع .

حادثة دائرة بوبليوس

قامت روما بأرسال سفارة برئاسة " جايوس بوبليوس " تحمل أنذاراً نهائياً للملك السليوقي بالأنسحاب الفوري من مصر وقبرص أو مواجهة الحرب مع روما . وعندما سارعت هذه السفارة بمقابلة الملك السليوقي في معسكره خارج أسوار الإسكندرية حياهم " أنطيوخوس الرابع " ومد يده لمصافحة " بوبليوس " ، لكن السفير الروماني لم يبادله التحية وبدلا من ذلك وضع في يد الملك الممدودة إليه رسالة السناتو وأمره بجفاء أن يقرأها . وبعد أن قرأ الملك أنذار السناتو طلب من السفير الروماني أن يمهله بعض الوقت حتى يتشاور مع مساعديه في الأمر . غير أن السفير سلك مسلكا فظا يتسم بالغطرسة ، أصبح بعد ذلك مضرب الأمثال عن جبروت روما ورجالها ،اذ رسم بعصاه علي الأرض دائرة حول الملك وأمره بأن لا يخطو خارجها قبل أن يحدد موقفه بوضوح من أنذار السناتو . فأستولى علي أنطيوخوس الذهول لهذا الإجراء المتسلط وبعد لحظات من التردد تمكن من ابتلاع كرامته واخفاء احساسه بالمهانة وقال أنه سوف ينفذ ما أمرت به روما . وعندئذ فقط صافحه السفير الروماني وحياه بحرارة .

وعلي هذا النحو أنقذت عصا السفير الروماني مملكة البطالمة التي كانت قاب قوسين أو أدنى من الزوال، وتحررت مصر للأبد من الغزو السليوقي ، فأرسل الملك البطلمي سفارة إلي روما لتقديم الشكر علي رعايتها لمملكة البطالمة . ومنذ ذلك الوقت أصبحت روما تقوم بالفعل بدور الوصي علي مملكة البطالمة، وأصبحت مصر في واقع الأمر محمية رومانية .

ومن ناحية أخرى نجحت روما في أذلال المملكة السليوقية بعد أن أجبرتها علي الأنسحاب من مصر وقبرص علي هذا النحو المهين وقد بدأ أنطيوخوس من فوره تنفيذ قرار السناتو بل أن الملك السليوقي أهدر ما تبقى له من كرامة حين أرسل سفارة إلي روما لابلاغها بأنه " أطاع أوامر سفرائها كما لو كانت صادرة من الآلهة (يقصد بذلك السناتو) " .

النزاع داخل أسرة البطالمة وأزدياد التدخل الروماني في شئون مصر

ما كاد أنطيوخوس الرابع ينسحب من مصر حتى قامت ثورة في الإسكندرية تزعمها مصرياً يُدعى " بيتوسرابيس "حاول أن يستغل الأنقسام الأسري وأن يضرب أحد الملكين بالآخر ثم يطيح بهما معا . فأثار ثورة في الإسكندرية ضد الملك الأكبر بطلميوس السادس ، مدعيا مناصرة الملك الأصغر ولكن أنكشفت حيلته ، وأتفق الملكان ضد حركته والقضاء عليها . بيد أن لهيب الثورة سرعان ما أمتد إلي الصعيد،وعندئذ توجه بطلميوس السادس إلي هناك للقضاء عليها . ولما عاد إلي الإسكندرية وجد شقيقه الأصغر قد دبرمؤامرة لأبعاده عن الحكم والأنفراد بالسلطة فأضطر بطلميوس السادس للهروب إلي روما شاكيا آخاه ومطالبا السناتو بمساعدته علي استرداد حقه في العرش . وقد وجدت روما في منازعات أفراد أسرة البطالمة فرصة طيبة لتنفيذ سياستها لتمزيق أوصال دولتهم المملكة البطلمية ، ذلك أن السناتو نصحه بالذهاب إلي قبرص وانتظار ما تسفر عنه جهود السفارة التي قرروا أرسالها إلي الإسكندرية لحل المشكلة . ولم يطل أنتظار فيلوميتور في قبرص اذ لم يلبث الإسكندريون أن ضاقوا بحكم بطلميوس الصغير بسبب طغيانه وأرسلوا إلي فيلوميتور يطلبون إليه العودة إلي الإسكندرية واستعادة عرشه . وكان من المفروض أن تنهي السفارة الرومانية مهمتها عند هذا الحد ولكنها طلبت من فيلوميتور التنازل لأخيه عن قوريني . وقد وافق فيلوميتور علي هذا الطلب وتم توقيع أتفاق بين الملكين البطلميين تحت رعاية روما سنة(١٦٣ق.م.) نص علي تقسيم مملكة البطالمة بين الأخوين بحيث تكون مصر وقبرص من نصيب فيلوميتور وتكون قوريني من نصيب بطلميوس الصغير. وعلي هذا النحو نجحت روما في تفكيك مملكة البطالمة تحت ستار التوفيق بين الأخوين . ولم ينهي هذا الأتفاق الصراع الأخوين وذلك لأن بطلميوس الصغير لم يقنع بقوريني فأتجه إلي روما في عام (١٦٢ق.م.) يلتمس منها ضم قبرص إلي ممتلكاته،وقد أستجاب الرومان لهذا الطلب غير أن فيلوميتور تمسك بأتفاق سنة(٦٣ ق.م) ونجح في الابقاء علي قبرص ولكنه فقد عطف الرومان . ولو أن روما ألزمت نفسها بأحترام هذا الأتفاق الذي كانت هي نفسها الآمرة به لما تجرأ بطلميوس الصغير علي المطالبة بقبرص،والواقع أن الرومان لم يقصدوا بتلك الاتفاقية إلا إستمرار النزاع بين الأخوين فتسنح الفرصة لهم بالتدخل المستمر في مصر وقيامهم بدور الحكم بين البطالمة . وقد بلغ من حقد بطلميوس الصغير علي شقيقه فيلوميتور وتزلفه إلي سادته الرومان أنه أوصى في سنة (١٥٥ق.م.) لهم بمملكته إذا مات دون وريث،حتى لا تئول إلي أخيه وفيما يلي نص هذه الوثيقة :

" السنة الخامسة عشرة . شهر لويوس (يونيوتقريبا) . بالتوفيق. فيما يلي وصية الملك بطلميوس،الأبن الأصغر للملك بطلميوس والملكة كليوباترا،الآلهين الظاهرين،والتي أرسلت منها أيضا صورة إلي روما .

لتمنحني الآلهة بفضلها القدرة علي أن أقتص قصاصا عادلاً من أولئك الذين دبروا ضدي مؤامرة دنسة وأخذوا علي عاتقهم أن يسلبوني لا مملكتي فحسب بل حياتي كذلك . لكن اذا حدث لي شئ قبل أن أترك ورثة لعرشي،فأني أوصي بالمملكة التي في حوزتي (قوريني) للرومان الذين حافظت بأخلاص منذ البداية علي صداقتي وتحالفي معهم ، وإليهم أعهد كذلك بحماية مصالحي ، مناشدا أياهم باسم جميع الآلهة وبشرفهم أن يقدموا المساعدة بكل قواهم اذا أعتدى أحد علي مدن مملكتي أو أراضيها،وطبقا لما تقتضيه العدالة ومعاهدة الصداقة والتحالف القائمة بيننا . وقد أقمت شهوداً علي هذا الإجراء جوبيتر الكابيتوليني والآلهة الكبار، وهليوس وأبوللون مؤسس (قوريني) الذين أودعت في حراستهم أيضا أصل هذه الوثيقة . وليكن التوفيق رائداً لها " .

وفي العام التالي لكتابة هذه الوصية قام بطلميوس الصغير بزيارة إلي روما مردداً طلبه بضم قبرص إليه ومتهما شقيقه بطلميوس الصغير بتدبير مؤامرة للتخلص منه، وكان من الطبيعي، بعد هذه الوصية الأخيرة،أن يصغى السناتو جيدا لمزاعم بطلميوس الصغير وأن يرفض حتي مجرد الاستماع إلي دفاع السفيران اللذين أرسلهما بطلميوس السادس لتفنيد هذه التهم وقد عهد السناتو إلي لجنة خماسية من أعضائه بمرافقة بطلميوس الصغير وإقامته ملكاً علي قبرص، وأذن لحلفاء روما في شرق البحر المتوسط بمساعدة ملك قوريني علي فتح قبرص . غير أن بطلميوس السادس تمكن من الدفاع عن قبرص وهزم شقيقه الصغير الذي وقع أسيراً في يده ولكنه كان كريما معه وعفا عنه وسمح له بالعودة إلي قوريني . ولعل أن هذا الموقف يوضح الفارق بين هاتين الشخصيتين ويؤكد علي عدم صدق إدعائات بطلميوس الصغير واتهاماته لأخيه بتدبير مؤامرة أغتياله،ويؤكد علي صدق وصف المؤرخ بوليبيوس للملك بطلميوس السادس الذي يتميز بالرقة والطيبة . وقد هدأت الأمور بعد هذه الحرب بسبب أنشغال روما في شئون أسبانيا وشمال إفريقيا وبلاد اليونان .

محاولة استعادة جوف سوريا

وفي السنوات الأخيرة من حكم بطلميوس السادس حاول هذا الملك إستعادة جوف سوريا منتهزا فرصة وفاة أنطيوخوس الرابع وحدوث صراع علي العرش السليوقي فتحالف مع مملكة برجامون وأيدهم الرومان للقضاء علي "ديمتريوس" الملك السليوقي الجديد الذي كان يسعى لأحياء الإمبراطورية السليوقية . وقد زحف بطلميوس السادس بجيش وأسطول علي سوريا ، حيث أستقبلته المدن الفلسطينية والفينيقية أستقبالاً رائعاً ، وعرض عليه أهل أنطاكية عرش الدولة السليوقية غير أن فيلوميتور رفض أن يضم الدولة السليوقية إلي مصر خشية الأشتباك مع روما وأقنع الآهالي بقبول "ديمتريوس" ملكاً عليهم . وفي تلك الأثناء أشتبك بطلميوس السادس في معركة في شمال سوريا ضد " بالاس " منافس ديمتريوس علي العرش السليوقي ، ولسوء الحظ أصيب بطلميوس بسهم مميت في صيف (١٤٥ق.م.) تاركا أرملته كليوباترا الثانية وولي عهده الطفل الصغير بطلميوس السابع تحت وصاية أمه .

بطلميوس الثامن (يورجيتيس الثاني)

كانت وفاة بطلميوس السادس ايذانا بتجدد النزاع الأسري حول عرش مصر ومعاودة روما تدخلها في شئون مملكة البطالمة . ذلك أن ملك قوريني عندما علم بوفاة شقيقه الأكبر زحف علي الإسكندرية لكي يستولي علي العرش ويعزل كليوباترا الثانية وأبنها . وكادت أن تنشب حرب أهلية بين الفريقين لولا تدخل الرومان . وقد أقترح الرومان حلا وسطا لحل هذا النزاع وهو أن تتزوج كليوباترا الثانية أخاها ملك قوريني وأن يحكما معا بالاشتراك مع أبنها من " فيلوميتور " . وكانت مصلحة الرومان عندئذ هي أن يكون المتربع علي عرش مصر صديقهم ملك قوريني الذي كان يدين لروما بالكثير والذي سوف يدين لها أكثر وأكثر عندما تقره علي عرش ليس من حقه و تعينه علي حكم شعب لا يؤيده .

وعندما أرتقى ملك قوريني عرش مصر في شهر سبتمبر سنة (١٤٥ ق.م.) أتخذ لقب الملك المحبوب بطلميوس الثالث فأصبح يعرف باسم" يورجتيس الثاني " . وقد بدأ عهده بأنتزاع أبن أخوه الطفل الصغير من أحضان أمه في ليلة زفافه عليها وأمر بأعدامه، وتمادي في تصرفاته الطائشة عندما تزوج من كليوباترا الثالثة ابنة زوجته كليوباترا الثانية من شقيقه الراحل بطلميوس السادس



صورة الملكة كليوباترا الثانية وشعار البطالمة علي قطعة عملة



صورة بطلميوس الثامن علي العملة

وبولاية بطلميوس الثامن العرش بدأت فترة جديدة في حياة مصر أمتلأت بالمنازعات بين أفراد أســرة البطالمة ، وازدياد التدخل الروماني في شئون مصر. ففي عام(١٣٦ ق.م.) زارت مصر سفارة رومانية كان علي رأسها شخصية رومانية كبيرة هو " سكيبيو ايميليانوس " الذي قام بتدمير قرطاجة في الحرب البونية الثالثة ، وقد قام بجولة نيلية من الإسكندرية إلي منف وشاهد في طريقه الحقول الخصبة والقرى المتناثرة الآهلة بالسكان . ولعل ان هذه الزيارة كانت جزءأ من جولة تفتيشية في الشرق . ودراسة أحوال مصــر الاقتصادية ذلك أن حديث المؤرخ " ديودور الصقلي " عن تلك السفارة يوحي بأنها قصدت دراســة أحــوال مصر والوقوف علي مصادر ثروتها . اذ يذكر أن هذه السفارة درست موقع الإسكندرية وعاينــت فنارهــا المشهور وأنها تابعت جولتها في مصر في رحلة نيلية وصلت حتى مدينة منف حيث وقعت عيون أعضائها علي حقول مصر الخصبة وقراها الآهلة بالسكان ، وأدركوا مدى قوة مركز مصر وغناها وأستخلصوا مــن ذلك كله أنه من الممكن أن تصبح مصر دولة عظمى لو تولي حكمها حاكم جدير بها، وليس من شك في أن اسكيبيو عاد إلي روما بعد جولته في الشرق بتقرير واف عن مصر وأنه كان لهذا التقرير أثره في توجيــه سياسة روما تجاه مصر في المستقبل .

ومن ناحية أخرى أشعرت السفارة الرومانية مواطني الإسكندرية بالذل والمهانة وهم يــرون ملكهــم البدين يلهث خلف ضيوفه الرومان وهو يحاول اللحاق بهم في أثناء مصاحبته لهم من
الميناء إلي القصر الملكي حتى بدا وكأنه وال علي مصر من قبل الإمبراطورية الرومانية يستقبل عاهلها . ونتيجة لذلك أشتعلت الثورة في الإسكندرية سنة (١٣٦ق.م.) ضد بطلميوس الثامن، وأجبره الثوار علــي الهروب من مصر إلي قبرص ، ونادوا بكليوباترا الثانية ملكة عليهم وأنفردت بالحكم لمدة عامين . ذلك أن بطلميوس الثاني نجح في العودة مرة أخرى إلي مصر ، وعندئذ أراد القضاء علي الاضطرابات ونشر الهدؤ في البلاد فتصالح مع أخته وحكما البلاد سويا وقاما بأصدار قرار العفو الشهير سنة (١١٨ق.م.) من أجل نشر الأمن والسلام في مصر .

سقوط قوريني في يد الرومان

وقد ختم هذا الملك حياته بخطأين سياسيين فادحين *الخطأ الأول* عندما أوصى بأن يؤول حكم قوريني إلي أبنه غير الشرعي "بطلميوس أبيون" وبهذا أنقسمت المملكة البطلمية مرة أخرى إلي قسمين . وما لبث هذا الأبن أن كتب وصية قبيل وفاته يوصي فيها بمملكته (قوريني) إلي الشعب الروماني في حالــة وفاتــه دون وريث مقتديا في ذلك بالمثل السئ الذي ضربه والده بطلميوس الثامن في عام (١٥٥ق.م.)،وعنــدما مات " أبيون " في عام (٩٦ق.م.) دون وريث أعلن السناتو قبول وصيته ولكنه لــم يضــع يــده إلا علــي ممتلكات " أبيون " الخاصة والأراضي الملكية وتحصيل الضرائب السنوية، بينما منح المدن الخمسة التــي

كانت تتألف منها قوريني أستقلالها . ولما أدى ذلك إلي أنتشار الفوضى في قوريني قام السناتو في عام (٧٤ق.م.) بتنظيمها علي شكل ولاية رومانية (provincia) . وعلي هذا النحو كانت قوريني أول ممتلكات البطالمة التي تسقط في يد الرومان .

والخطأ الثاني الذي أرتكبه بطلميوس الثامن قبيل وفاته، عندما ترك عرش مصر لزوجته الطموحة " كليوباترا الثالثة " و ترك لها الحرية في أختيار من تشركه معها في الحكم من أبنيه الشرعيين منه،وهو ما أدي إلي تجدد الصراعات داخل أسرة البطالمة .

تجدد الصراع الأسري في عهد بطلميوس التاسع و بطلميوس العاشر

عندما مات بطلميوس الثامن تولى أبنه بطلميوس التاسع الحكم ولم تكن كليوباترا الثالثة راضية عن سلوكه فأثارت عليه شعب الإسكندرية ، مما أضطره إلي الهروب إلي قبرص، وقامت كليوباترا الثالثة بأستدعاء شقيقه الأصغر بطلميوس العاشر الذي أرتقى العرش بالأشتراك مع أمه منذ عام (١٠٧ ق.م.) وحتى عام (١٠١ق.م.) وعندما ماتت الملكة الأم أنفرد بطلميوس العاشر بالعرش ولكنه كان ضعيفاً غير صالح للحكم فلم يفعل أي شئ وهو يرى قوريني تؤول للرومان . ومنذ أنفراد هذا الملك بالحكم ثارت الشكوك حول دوره في وفاة أمه الملكة كليوباترا الثالثة،مما أدي إلي كراهية الإسكندريين له والثورة عليه في عام (٨٨ ق.م.)،وبخاصةً عندما سطا علي مقبرة الإسكندر الأكبر وأستولى علي التابوت الذهبي الذي دفن فيه لكي يتمكن من دفع أجور جيشه الجديد . وإزاء هذه الثورة أضطر إلي الهروب إلي قبرص حيث لقى حتفه وهو يحاول الوصول إليها .

وقد أستدعى الإسكندريون بطلميوس التاسع مرة أخرى من منفاه في قبرص لتولي العرش في مصر، فتولاه حتى وفاته عام (٨٠ ق.م.) تاركا أبنة شرعية واحدة هي " برينيكي الثالثة " التي آل إليها العرش بمفردها، وولدين غير شرعيين كانا أسيرين عند " ميثيرداتيس " ملك بنطوس . ولم يعترض الإسكندريون علي تولي برينيكي العرش، لأنهم كانوا يحبونها، وفي الوقت نفسه كانوا يخشون من تجدد الخلافات الأسرية أذا أثاروا ضدها مشكلة عدم أحقيتها كأمرأة لا زوج ولا وريث لها في التربع علي العرش بمفردها .

بطلميوس الحادي عشر

وفي تلك الأثناء كان " سولا " قد أصبح ديكتاتوراً في روما ، وكان يعيش في كنفه أبن غيــر شــرعي للملك بطلميوس العاشر، قام " سولا " بتربيته في قصره واعداده ليكون ملكاً علي عرش مصــر وعمــيلاً للرومان يأتمر بأمره ويمده بما يشاء من الأموال . وبعد وفاة بطلميوس التاسع ببضعة شهور ذهب هــذا الأمير إلي مصر مزوداً بأمر من الديكتاتور الروماني" سلا " بتولي الحكم في مصر . ووفقا لأحكام القانون الإغريقي كان يجب علي وارثة العرش أن تتزوج أقرب أقاربها حفاظا علي الأرث في الأسرة . ومن ناحية أخرى لم يكن في مقدور الإسكندريون معارضة أمر صادر من سيد العالم الروماني،فنادوا بهذا الأمير ملكــاً علي مصر في سنة(٨٠ ق.م) بأسم " بطلميوس الحادي عشر " وتزوج من أبنة عمه وشريكته في الحكــم الملكة " برينيكي الثالثة " .

ولم يمض علي هذا الزواج سوى تسعة عشر يوما حتى قام بطلميوس الحادي عشر بقتل زوجته لكي ينفرد بالسلطة مما أدي إلي ثورة الإسكندريين علي هذا الملك عميل الرومان وقاتل ملكــتهم المحبوبــة . فأندفعت جموعهم إلي القصر الملكي وقبضوا علي الملك القاتل وجروه إلي الجيمنازيوم حيث فتكوا به هناك . وعندئذ وجد الإسكندريين أنفسهم في موقف حرج لأنه لم تعد لأســرة البطالمــة ســلالة شــرعية إلا " كليوباترا سليني " التي فقدت قوميتها المصرية في نظر الإسكندريين بعد أن أعتلت عرش سوريا ، وأبنــا بطلميوس التاسع اللذان كانا أسيران في قبضة " ميثرداتيس" ملك " بنطوس " منذ عــام (٨٨ ق.م.) ومــن ناحية أخرى فان قتل بطلميوس الحادي عشر صنيعة " سولا " كان من شأنه أن يثير غضب هذا الديكتاتور الروماني علي الإسكندريين الذين كان يتعين عليهم شغل العرش الشاغر قبل أن يتدخل الرومان فــي هــذا الأمر .

الفصل السادس

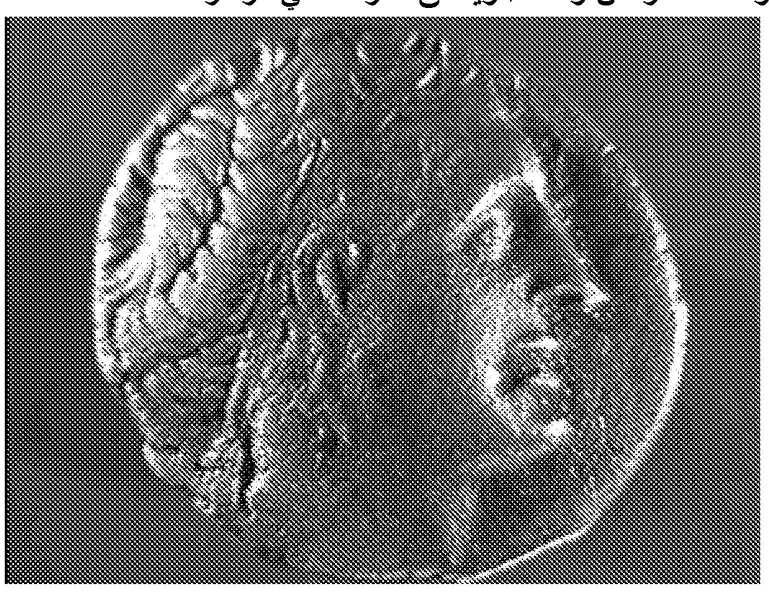
مرحلة التدخل الروماني العسكري في مصر :

١- بطلميوس الثاني عشر وضياع قبرص .

٢ - كليوباترا السابعة وسقوط مملكة البطالمة .

بطلميوس الثاني عشر (الزمار)

وفي خلال هذه الأزمة الخطيرة أتجهت أفكار الإسكندريين إلـي أبنـي بطلميـوس التاسـع وبـادروا بأستدعائهما إلي الإسكندرية واقامة أكبرهما ملكأ علي مصر، وأصغرهما حاكمأ علي قبرص. وقد أتخذ ملك مصر الجديد اسم بطلميوس الثاني عشر ثم أضاف إلي أسمه لقب فيلادلفوس الثاني ليذكر الناس بعهد سلفه العظيم بطلميوس الثاني، ولكنه أشتهر بلقب " الزمار " الذي أطلقه الشعب الإسكندري تهكما عليه لانه كان محبا للهو والعبث وحفلات الرقص والغناء ويعشق العزف علي مزماره .



صورة بطلميوس الثاني عشر (الزمار) علي العملة

وما أن أرتقي الزمار العرش حتى كشفت روما عن نواياها الاستعمارية فتعمدت اخـتلاق مشـكلة أو ذريعة واهية للتحكم في ملك مصر وفرض مطالبها عليه . والذي حدث أن " سولا " رفض أن يعترف بـه ملكأ شرعيأ علي مصر، وأعلن مجلس السناتو الروماني أن لديه وصية حررها بطلميوس الحادي عشـر، قبل وفاته معلنا فيها : أنه يورث مصر للرومان اذا مات دون وريث، وتبعا لتلك الوصية لا يكون للزمار حق شرعي في عرش مصر. وأذا صح أن هذا الملك ترك مثل هذه الوصية – مقتفيا فـي ذلـك أثـر وصـية بطلميوس الثامن سنة (١٥٥) ووصية بطلميوس أبيون سنة (٩٦) – فأنه من المستبعد أن يكون قد وجـد فرصة عمل هذه الوصية وأرسالها إلي روما في خلال مدة حكمه القصيرة التي لم تتجاوز تسـعة عشـرة يوما . والراجح أن يكون سولا هو الذي أرغمه علي ذلك قبل أن يسـمح لـه بمغـادرة رومـا ، ويـأمر الإسكندريين بتوليه العرش .

وقد كثر الحديث عن هذه الوصية دون أن يرى أحد نصها مما يوحي بأن بطلميوس الحادي عشر لم يكتب مثل هذه الوصية، وبأن الأمر لم يتعد أخذ وعد قاطع منه بأعداد مثل هذه الوصية بعد أرتقائه العرش وأستقرار الأمر له،وذلك لتكون الوصية صحيحة من الوجهة القانونية لكن الظروف لم تمهله لتنفيذ ما وعد به . ونحن نستبعد أن يكون " سولا " هو الذي حمل بطلميوس الحادي عشر علي تحرير هذه الوصية عندما كان مقيما في كنفه في روما وذلك ثمنا لمساعدته علي أرتقاء عرش مصر . وذلك لأن " سولا " لم يتخذ أي خطوة لتنفيذ هذه الوصية التي يفترض أنه أملاها . وقد كان " سولا " يستطيع ذلك لو أراد حيث كان مسيطرأ باحكام علي زمام الأمور في روما . كذلك فأن سياسة " سولا " علي وجه العموم كانت أبعد ما تكون عن الرغبة في التوسع الامبريالي وضم مزيد من الأراضي إلي روما ، وتبعا لذلك فأن " سولا " لم يكن يريد ضم مصر إلي روما وأنما كان يريد صنيعة له علي عرشها ليكون طوع بنانه .

واذا كانت روما لم تُقدم علي تنفيذ وصية بطلميوس الحادي عشر فأنها برفضها الأعتراف رسميا بملك مصر الجديد، قد تركته قلقا علي عرشه أشد القلق . ولعلها كانت سياسة رومانية ماكرة أستهدفت أن يستشعر الزمار دائما تهديد روما فيبذل قصارى جهده لأرضائها بأظهار الولاء والطاعة وتقديم الهدايا والرشاوى لكبار الساسة الرومان . ولم تلبث الأحداث أن زادت من مخاوف الزمار عندما أقدمت روما في عام (٧٤ق.م.) علي ضم قوريني تنفيذاً لوصية بطلميوس أبيون وحولوها إلي ولاية رومانية بعد أنقضاء أكثر من عشرين عاما عليها ، وربما شعر الزمار أن ذلك كان مقدمة لتنفيذ وصية بطلميوس الحادي عشر ولاسيما وأن ملك " بيثينيا " كان قد أوصى في ذلك العام بمملكته للشعب الروماني فتم تحويلها علي الفور إلي ولاية رومانية .

الصراع الحزبي في روما والمسألة المصرية

وقد كان من جراء هذه المخاوف التي ترتبت علي تعمد ساسة روما ترك مسألة عرش مصر معلقة ، أن قضى الزمار حياته مدافعا عن حقه، مريقا ماء وجهه للرومان ومبددا ثروات بلاده عليهم في سبيل الحصول علي إعتراف الرومان به ملكا شرعيا علي مصر .

وظهرت تبعا لذلك علي مسرح السياسة الرومانية ما عرف باسم " المسألة المصرية " وهي المسألة التي أستغلتها الأحزاب المتطاحنة في روما لتحقيق أهدافها وتدعيم مركز زعمائها . وعلي هذا النحو أصبح مصير مصر في حقيقة الأمر متوقفا علي مصير الصراع بين الحزب الشعبي الذي كان يتزعمه " يوليوس قيصر " و " كراسوس " والحزب الأرستقراطي بزعامة " بومبي " . وقد أتفق كراسوس وقيصر علي خطة عمل تكسبهما التأييد الشعبي . وفي عام (٦٥ ق.م.) تولى كراسوس منصب الكنسورية [١] . وكان من أهم

[١] كانت المهمة الأصلية للكنسور هي الأشراف علي عملية التعداد التي كانت تجرى في روما كل خمس سنوات بجانب الرقابة علي المؤسسات الحكومية والموظفين أخلاق الناس ومعاقبة الذين يخرجون عن التقاليد الرومانية وهي من أخطر السلطات التي تمتع بها الكنسور لأنها كانت تعطيه الحق في طرد أعضاء السناتو اذا ما أرتكبوا أي عمل مشين .

مشروعات كراسوس مشروع " ضم مصر إلي أملاك الشعب الروماني وتكليف قيصر بالقيام بهذه المهمة " . وكانت حجة كراسوس لتبرير هذا المشروع هو أن بطلميوس الثاني عشر لم يكن ملكا شـرعيا لأن سـلفه بطلميوس الحادي عشر كان قد أوصى بمصر للشعب الروماني . ومن ناحية أخرى أشار كراسـوس إلـي الفائدة العظيمة من وراء ضم مصر لما يستتبع ذلك من تدفق قمحها الوفير علـي رومـا وأنتقـال كنـوز البطالمة ، أغنى ملوك البحر المتوسط إلي ملكية الشعب الروماني . غير أن مشروع كراسوس رفض بفضل المعارضة شديدة من جانب أنصار الحزب الأرستقراطي وهو ما نتبينه من الشذرات المتبقية من الخطـاب الذي ألقاه الخطيب السياسي " شيشرون " صديق ونصير الزعيم بومبي، للأعتراض علي مشروع كراسوس وعرقلته،لا حبا في مصر ولا أنتصارا للحرية ، وأنما حرصا علي المصلحة الحزبية والمحافظة علي نفـوذ بومبي،وحرمان خصومهم الشعبيين من الفوز بخيرات مصر . وهكذا فشلت محاولة الشعبيين لضم مصـر ونجا عرش الزمار بفضل النزاع الحزبي في روما .

لكن الزمار لم ينج بعرشه من هذه الأزمة إلا ليواجه أزمة جديدة عام (٦٤ق.م.) عندما أوعز كراسوس وقيصر إلي أحد نقباء العامة [1]بتقديم مشروع قانون زراعي يقضي " بأنشاء مستعمرات لعامة الرومان في الأراضي التي تملكها الدولة في ايطاليا وشراء أراضي أخرى اذا لم تكف هذه الأراضي لسد حاجة العامة ، علي أن يؤخذ المال اللازم لهذا الغرض من بيع جانب من أملاك الدولة التي اكتسبت في الولايات منذ عـام (٨٨ق.م.) ، ويعهد إلي لجنة مكونة من عشرة أفراد بتنفيذ هذا المشروع " . وقد كان هذا المشروع يرمي في ظاهره إلي تخفيف حدة الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها عامة روما ولكنه في حقيقة الأمر كان يرمي إلي تقوية الحزب الشعبي أستعداداً لمناوءة بومبي عندما يعود من حملته علي الشرق. وتبعا لذلك مـا أن تولي شيشرون صديق بومبي منصب القنصلية سنة (٦٣ق.م.) حتى هالته السلطة التي كانت ستوضع فـي يد أعضاء لجنة العشرة بحيث يصبح هؤلاء العشرة هم المتصرفين في كل أملاك الجمهورية الرومانيـة . وتبعا لذلك هاجم هذا المشروع بشدة. وقد قال شيشرون في الخطبة التي ألقاها في مجلس السناتو : " أن ما كانوا يستهدفونه صراحة يسعون إليه خفية وسيقول أعضاء لجنة العشرة ما قاله ومايزال يـردده النـاس كثيراً، أنه بمقتضى وصية الملك بطلميوس الحادي عشر قد أصبحت مصر ملكا للشعب الروماني . وهكـذا ستسلمون الإسكندرية إلي أولئك الرجال الذين يطمحون إليها بدهاء " . وبعد بضعة أيام من هذه الخطبة ذكر شيشرون أمام مجلس الشعب الأقاليم التي كان يمكن أن تدخل في نطاق نصوص هذا المشروع الفضفاض، وذكر أن من بين هذه الأقاليم " الإسكندرية ومصر بأجمعها التي يخفونها ليسلمونها لأعضاء لجنة العشـرة دون أن يظهر ذلك ". وقد جاء هجوم شيشرون علي هذا المشروع عنيفا لدرجة أن صاحبه أضـطر إلـي سحبه وبالتالي تخلص الزمار من هذه الأزمة أيضا بفضل معارضة الحزب الأرستقراطي .

---

[1] كان نقيب العامة يتمتع بسلطات كثيرة أهمها حماية ممتلكات وأرواح العامة من أستبداد الأشراف وأقتراح القوانين التي تصبح سارية المفعول في حالة موافقة الجمعية العامة عليها.

وعندما كان " بومبي " يقوم بعملياته العسكرية في سوريا سنة (٦٣ق.م.) أرسل إليه الزمار فرقة مؤلفة من ثمانية آلاف فارس لتساعده علي فتح جوف سوريا ،ذلك الأقليم الذي كان البطالمة يطالبون به ، ومن أجله خاضوا ستة حروب طاحنة مع السليوقيين ، مما أوغر صدر الإسكندريين ضد الزمار ، بعد أن قام الرومان بالأستيلاء علي جوف سوريا ، فأستبد به الخوف من جراء ذلك مما حدا به إلي طلب المساعدة من بومبي وأمطره بوابل من الهدايا ودعاه إلي زيارة مصر. لكن بومبي الذي قبل هدايا الزمار رفض دعوته لزيارة مصر لأنه كان يخشي مغبة ما تثيره مثل هذه الزيارة عليه من جانب خصومه السياسين في روما . ومع ذلك فأن خوف الإسكندريين من تدخل الرومان كان كافيا لتهدئة ثورتهم .

وفي عام (٦٠ق.م.) نجح قيصر في التوفيق بين الزعيمين الكبيرين " بومبي " و " كراسوس " وألف معهما جبهة لمناوأة السناتو، وهي ماعرفت في التاريخ باسم" الأئتلاف الثلاثي الأول " ، الذي كان أول نتائجه فوز قيصر بالقنصلية سنة (٥٩ ق.م.) . ولما كان قيصر في حاجة ماسة إلي المال ، وكان متحققا من أن ملك مصر لن يتوانى عن أفتداء عرشه بأي مبلغ من المال، فقد عقدت صفقة بين أعضاء الأئتلاف الثلاثي وبين الزمار علي أساس تسوية المسألة المصرية والأعتراف به ملكا شرعيا علي مصر . وفي فبراير عام (٥٩ق.م.) صدر قانون خاص بملك الإسكندرية وحصل الزمار بمقتضاه علي اعتراف رسمي من روما بحقه الشرعي في عرش مصر ، كما نال لقب " صديق الشعب الروماني وحليفه " نظير الخدمات التي قدمها للجيش الروماني في سوريا سنة(٦٣ ق.م.) والحقيقة أن ثمن هذا القانون كان عبارة عن رشوة ضخمة قدمها الزمار لأعضاء الحكومة الأئتلافية الأولى [1] .

تحويل قبرص إلي ولاية رومانية

غير أن ذلك لم ينه المسألة المصرية ، التي أحتدمت من جديد فلم يكن من المنتظر أن تضع هذه الرشوة حدا لنهم الساسة الرومان وأطماعهم في مصر، ولذا لا نستغرب من صدور قانون جديد أقترحه" كلوديوس " أحد نقباء العامة في سنة (٥٨ق.م.)، بايعاز من قيصر ،علي الأرجح ، ويقضي بضم " قبرص " إلي روما ومصادرة

أملاك التاج هناك لصالح الخزانة الرومانية *لكي تعوض ثروة قبرص ما فقدته روما بتنازلها عن مصر للزمار*؟! وتغطي نفقات قانون خاص بتوزيع منح القمح بالمجان علي الشعب الروماني . وقد عهد إلي " كاتو "، بوصفه أكثر رجال روما نزاهة، بالذهاب إلي قبرص وأقناع ملكها شقيق بطلميوس الزمار بالتنازل عنها لروما . وأحتجاجا علي هذه التصرفات الرومانية الجائرة وعلي موقف الزمار المتخاذل ، أنتحر شقيقه ملك قبرص . أما كاتو فقد أعلن ضم قبرص إلي ممتلكات الشعب الروماني وأستولى علي ما فيها من كنوز

[1] بلغت هذه الرشوة ستة آلاف تالنت روماني (حوالي مليون ونصف المليون جنيه استرليني أي ما يعادل حاليا (١٦,٥٠٠,٠٠٠) جنيها مصريا). ويبدو أنها شملت أيضا تنازل الزمار عن قبرص بموجب أتفاق سري مع الرومان اذ أن القانون الذي أعترف بالزمار ملكا علي مصر لم يذكر شيئا عن قبرص.

ملكية . ولم يكن أستيلاء روما علي قبرص إلا عملاً من أعمال القرصنة علي تلك الجزيرة الغنية . ومن العجيب أن يبرر الرومان هذه الجريمة بعداء ملك قبرص لهم وتحالفه مع القراصنة ضدهم . وعلي هذا النحو تمكن الرومان من الأستيلاء علي قبرص بعد قوريني ولم يتبق من إمبراطورية البطالمة سوى مصر .

التدخل العسكري الروماني في مصر

وإزاء ضياع قبرص ، وأنتحار حاكمها ، وتخاذل الزمار في الدفاع عن ممتلكات الدولة وتفننه في جمع الأموال من شعبه لسد جشع سادته الرومان ، ثار الشعب الإسكندري علي الزمار وأجبروه علي الهروب من الإسكندرية سنة (٥٨ ق.م.) ولجأ إلي روما حيث أتهم شعبه بطرده وطلب من سادته الرومان أن يساعدوه في أسترداد عرشه. وظل الزمار في روما حتي نهاية عام (٥٧ ق.م.) في ضيافة بومبي الذي أنزله في أحد قصوره ، وفي خلال تلك الفترة
أستدان الزمار مبالغ مالية كبيرة من المرابي الروماني رابيريوس من أجل شراء ذمم رجال السناتو بالرشاوى لتحقيق بغيته .

وعندما علم الإسكندريون بأن الزمار في روما أرسلوا وفد كبير ليشكوه إلي السناتو ويناشدوه ألا يعيده إليهم . غير أن بطلميوس دبر مؤامرة للتخلص من أغلب أعضاء الوفد الإسكندري وشراء ذمم البعض الآخر .

وقد حدث صراع خفي بين " بومبي " و " كراسوس " للفوز بمهمة أعادة الزمار إلي عرشه مما أدي إلي توتر العلاقة بينهما وهو ما عجل بتصدع الأئتلاف الثلاثي الأول . ويرينا هذا الصرع صورة واضحة للمطامع الشخصية للزعماء الرومان وحقيقة نظرتهم إلي مصر . وقد طالت المناقشات في السناتو حول مسألة إعادة الزمار إلي مصر، والشخص الذي يتولى هذه المهمة . وأخيراً أصدر السناتو قراراً في عام (٥٦ق.م.) بمساعدة الزمار ولكن دون أستخدام القوة بناء علي النبوءة السيبولية [١] التي حذرت من أستخدام الجيش لمساعدة بطلميوس .

ولما لم يعد لدي الزمار أملا في أسترداد عرشه عن طريق السناتو، لجأ إلي " *جابينوس* " الوالي الروماني في سوريا ووعده بمبلغ خمسة آلاف تالنت اذا ساعده بالقوة المسلحة علي أستعادة عرش مصر،وقد وافق جابينوس علي القيام بهذه المهمة بالرغم من أن هذا كان ينطوي علي مخالفتين وهما خروجه من ولايته دون تصريح من السناتو،وأشتباكه من تلقاء نفسه في حرب حظرت النبوءة السيبولية

---

[١] ظهرت النبؤات السيبولية منذ عهد الملك تاركوينيوس المتغطرس آخر الملوك الرومان عندما وفدت إلي روما عرافة تدعى سيبيلي وعرضت علي هذا الملك شراء تسعة كتب للعرافة ،وطلبت منه ثمنا باهظاً ،فرفض الملك شراءها ،فقامت العرافة بأحراق ثلاثة من هذه الكتب وعادت إلي الملك وطلبت منه نفس الثمن فرفض مرة ثانية،فقامت بحرق ثلاثة كتب أخرى ،وعادت للملك وطلبت نفس الثمن الباهظ في الكتب الثلاثة المتبقية فما كان من الملك بعد أن عرف قيمة هذه الكتب إلا أن رضخ وأشترى الكتب الثلاثة الباقية . وقد وضعت هذه الكتب في صندوق متين وحُفظت في خزانة في الكابيتول وعُين عليها حراس ،وكان الرومان يرجعون إليها ويستشيرونها في الأزمات والكوارث والحروب وغيرها من الأمور الهامة .

من خوض غمارها . بيد أن جابينوس أستهان بالأخطار التي ستترتب علي أرتكاب هاتين المخالفتين بسبب الفوائد المادية التي سيجنيها من اعادة الزمار، فضلا عن كسب تأييد بومبي أقوى الشخصيات داخل روما في ذلك الحين . وقد أنتحل جابينوس عذرا ساذجا لقيامه بتلك المهمة وهو أن أخيلاوس الملك الــذي ولاه الإسكندريون عليهم كان يتأهب لغزو ولاية سوريا .

وفي ربيع عام (٥٥ ق.م.) غزا جابينوس مصر وأستولى علي بيلزيوم بعد أن سلمت حاميتها اليهودية المدينة للرومان دون مقاومة ، ثم سار إلي الإسكندرية وتمكن من الأستيلاء عليهــا بعــد تغلبــه علـــي " *أرخيلاوس* " . وعلي هذا النحو تمكن الزمار من استعادة عرشه الذي أفتقده عدة سنوات . وسرعان ما عاد جابينوس إلي ولايته في سوريا التي أختل فيها الأمن تاركاً وراءه في مصر حامية من بضع كتائب مؤلفــة من جنود رومان وجرمان وغال لتشد من أزر الزمار في مصر . وكان من الجائز أن تصبح مصر ولايـــة رومانية منذ هذا التاريخ لولا الحرب الأهلية التي نشبت بين بومبي وقيصر وأرجأت ذلك إلي حين .

وخلال السنوات الأخيرة من حكم الزمار بلغت سلطة البطالمة في مصر أدنى مراحلها عندما قام هــذا الملك بأعدام أبنته " *برينيكي الرابعة* " زوجة أرخيلاوس . كما عين المرابي الروماني "رابيريوس " وزيـــراً للمالية ليقوم بنفسه بتحصيل القروض التي كان قد منحها للزمار في أثناء فترة وجوده في رومـــا وكـــذلك ليوافي جابينوس بالمكافأة التي وعده بها الزمار . وقد أستغل رابيريوس مركزه ووجود الحامية الرومانية بالإسكندرية في اعتصار دافعي الضرائب مما مما أدى إلي ثورة الإسكندريين عليه فأضطر للهرب عائدا إلي روما . وأخيراً مات الزمار في ربيع عام ٥١ ق. م . مكروهاً من شعبه ومحتقراً من الرومان .

الملكة كليوباترة السابعة

وقد ترك بطلميوس الزمار أبنتين هما " كليوباترا " التي كانت تبلغ الثامنة عشرة و" أرسينوي " وكانت تصغرها بفترة تتراوح ما بين سنة وأربع سنين وولدين هما بطلميوس الثالث وكان يبلغ العاشرة والآخر الثامنة . وقد أوصى بطلميوس الزمار بأن يخلفه علي العرش أكبر ولديه (بطلميوس الثالث عشر) ، علي أن يتزوج كبرى أختيه (كليوباترا السابعة) ويشتركا في الحكم سويا . ولما كان الزمار يعرف مقدار كراهية الإسكندريين له ويخشى عدم أحترامهم وصيته فأنه عهد إلي الشعب الروماني في الاشراف علي تنفيذ الوصية التي أودع نسخة منها في روما كما أودع نسخة أخرى في الإسكندرية حتي لا يتصرف الرومان في تنفيذ الوصية كما يشاءون .

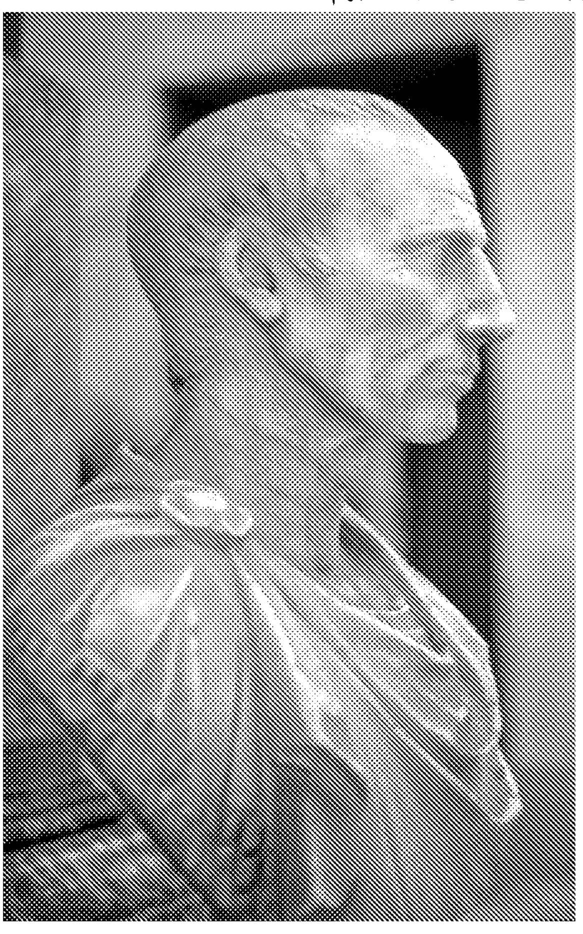
و بعد تنفيذ هذه الوصية نشب نزاع شديد بين الأخوين علي السلطة عندما ضاقت الملكة الشابة الطموحة ذرعا من تسلط رجال القصر الذين كانوا يفرضون الوصاية علي الملك الصغير،وأرادت أن تمارس السلطة بشكل مستقل،مما أدي إلي تأزم العلاقة بينها وبين رجال القصر الذين أتهموا كليوباترا بالتآمر علي حياة شقيقها لكي تنفرد بالحكم ونجحوا في اثارة شكوك أخيها وأثارة الجماهير الإسكندرية عليها،مما دفعها إلي الفرار من مدينة الإسكندرية ، ولجأت إلي الحدود الشرقية حيث أستطاعت أن تجمع جيشأ من البدو وتأهبت للزحف علي الإسكندرية . في حين أعد الأوصياء علي الملك الصغير جيشأ رابط علي مقربة من بيلزيوم لصد قوات كليوباترا.



تمثال رأس كليوباترا السابعة

وفي تلك الأثناء كان مصير العالم الروماني بل ومصير العالم القديم كله معلقأ علي نتيجة الحرب الأهلية بين *بومبي* زعيم الحزب الأرستقراطي و *قيصر* زعيم الحزب الشعبي،وقد نجح قيصر في هزيمة بومبي في موقعة فارسالوس،ففر بومبي إلي مصر بلد صديقه القديم الزمار،آملا في أن يحصل علي العون والمساعدة

من الملك البطلمي ولما وصل بومبي، فوجئ بأن الزمار قد مات،وأن الملك الجديد يحارب أخته قرب بيلزيوم فتوجه بومبي إلي معسكر الملك البطلمي.ولم يكد يدنو من الساحل المصري حتى أغتاله أحد ضباط الحامية الرومانية التي تركها جابينوس، وذلك بأمر من قائد الجيش البطلمي وقام القتلة بقطع رأس بـــومبي حتـــي يثبتوا لقيصر أنهم قطعوا علاقتهم بعدوه، ولكن قيصر حين قدم إلي مصر في أثر عدوه،وسارع رجال البلاط البطلمي بعرض رأس بومبي وخاتمه علي قيصر، ظنا منهم أن هذا التصرف كفيل بأرضائه ، ولكن قيصـــر أظهر حزناً وتأثراً شديدين،عندما رأي رأس بومبي ، ولكنه لم يبرح المياه المصرية كما كان رجال القصـــر يأملون وأنما دخل إلي الإسكندرية وسار في طرقاتها تحفه شارات الحكم الرومانية بوصفه قنصـــلا،وأتخذ قصر البطالمة مسكناً له.ولم يكن هذا التصرف حكيما اذ أنه كان بمثابة أعتبـــار مصـــر ولايـــة رومانيـــة والإسكندرية مدينة مقهورة،ولاسيما أن آهالي تلك المدينة الفخورة لم ينسوا أن قيصر كثيرا ما طالب بضم مصر إلي الإمبراطورية الرومانية،كما أعتقد الإسكندريون أن قيصر جاء يطالب بديون روما علي بطلميوس الزمار مما يعني فرض المزيد من الضرائب عليهم .



تمثال نصفي للزعيم الروماني يوليوس قيصر

قيصر يفصل في النزاع الأسري البطلمي

ومن ناحية أخرى كان قيصر يردد أنه جاء إلي مصر لكي ينفذ وصية الزمار التي تقضي بوضع أبناء الزمار تحت وصاية الرومان وشرع بوصفه ديكتاتوراً[1] متمتعاً بكامل السلطة وممثلاً للشعب الروماني، في التدخل لحل النزاع بين كليوباترا وأخيها، فأصدر أمره للملك والملكة بتسريح جيوشهما والأمتثال أمامه في القصر الملكي بالإسكندرية للتحكيم بينهما، فجاء بطلميوس إلي الإسكندرية، ولكنه لم يسرح جيشه ، بل تركه في بيلزيوم تحت قيادة أحد أوصيائه .

وأما " كليوباترا " فقد أعربت عن رغبتها في أطاعة أوامر قيصر لأن التحكيم كان أيسر الطرق لأسترداد الحقوق لمن كان في مثل حالتها، ولاسيما أن الوسطاء الذين كانت تتفاهم عن طريقهم مع قيصر أكدوا لها أنه في قلب الديكتاتور مكانا رحيبا للجنس اللطيف ، وأنها لن تجد مدافعا عن حقوقها لدي قيصر خيرا من شخصيتها الفاتنة . ولما كان يتعذر عليها أن تتخطي الحدود جهرا فأنها ركبت البحر خفية ومعها كاتم أسرارها" أبوللودوروس " الذي أخفاها في بساط وثير، وحملها إلي مقر إقامة قيصر بأعتبارها هدية يريد تقديمها للديكتاتور الروماني، ولما دخل أبوللودوروس القصر حل البساط ، فبرزت منه كليوباترا وكأنها أفروديت ربة الجمال تخرج من قوقعة البحر،وسرعان ما سحرت أعين قيصر، الذي كان ذواقاً للنساء،وأستولت عليه منذ اللحظة الأولى .

دوافع العلاقة بين كليوباترا ويوليوس قيصر

وقد كانت كليوباترا تعرف أنه لم يعد لمصر قوة تقارن بقوة روما، التي تسيدت أغلب أجزاء العالم آنذاك، ومن ثم فأنه كان ينبغي لها أن تصطنع سلاحا آخر غير سلاح القوة العسكرية ، وهو أن تسخر سحر أنوثتها وجاذبيتها وثقافتها وذكائها لخدمة سياستها التي كانت ترمي إلي أن تهيمن علي قلب وعقل الديكتاتور " يوليوس قيصر" سيد العالم الروماني في ذلك الوقت . ولم تمانع كليوباترا من أن يقوم بينهما علاقة الرجل والمرأة مادامت تهدف إلي السيطرة علي روما عن طريق السيطرة علي سيدها العجوز، علي أمل أن تربطه بالزواج منها، وتنجب منه أبنا يحكم مصر وروما معا، وبذلك تتخلص من الكابوس الروماني الجاسم علي قلب الملوك البطالمة منذ أمد بعيد والذي كان علي وشك التحول إلي واقع أليم ينهي حكم هؤلاء الملوك نهاية مأسوية بتجريدهم من " مصر" أخر وأغلى ما كانوا يملكون . ويبدو أن كليوباترا كانت تتقن تماما أستهواء من تريد أكتسابهم، فقد كانت تتمتع بقدرة فائقة من اللباقة و مجاراة سلوكهم والأندماج في طبائعهم . هذا فضلا عن ثقافتها الواسعة، ويزعم " بلوتارخ " أن كليوباترا كانت تجيد عدة لغات بجانب اللغة

---

[1] نشأ منصب الديكتاتور في روما حوالي بداية القرن الخامس قبل الميلاد ، وهو منصب استثنائي حتمته ظروف ضرورة توحيد السلطة في روما لمواجهة الأخطار الداخلية أو الخارجية التي تهدد كيان الدولة. وكان شاغله يتمتع بسلطة الإمبريوم الأعلي **imperium maius** سواء في داخل روما أو في خارجها وهي أعلي سلطة في الدولة ولا يجوز لأحد الأعتراض علي أي قرار يتخذه. وكانت مدة حكمه في الأصل ستة أشهر بيد أن بعض القادة الرومان في نهاية العصر الجمهوري أستغلوا القوات العسكرية التابعة لهم لتحقيق أهدافهم السياسية ومطامعهم الشخصية وتعين أنفسهم بقوة السلاح في هذا المنصب الخطير لمدد غير محددة علي النحو الذي كان يتنافى مع الدستور الروماني .

اليونانية وأنها تعلمت اللغة المصرية لغة رعاياها كما كانت تتحدث الأرامية والعبرية والعربية والفارسية والأثيوبية . وكانت مولعة بالدراسات الأدبية . وعلي الرغم من أنها كانت مقدونية الا أنها تأثرت بالبيئة المصرية فغالبا ما كانت ترتدي ثياب " إيزيس " وتحمل شارتها، وتضم حاشيتها عرافين وسحرة مصريين ربما لأنها أدركت أهمية كسب عطف وتأييد الشعب المصري في مواجهة الظروف الصعبة التي كانت تمر بها مملكتها . بيد أن دوافع سياستها لم تكن ترمي إلي سعادة الشعب المصري بقدر ما كانت ترمي للحفاظ علي عرشها ومجدها الشخصي .

حرب الإسكندرية

وعلي هذا النحو أستطاعت " كليوباترا " أن تقنع" قيصر " ، منذ الوهلة الأولي، بوجهة نظرها والأنحياز إليها . ففي اليوم التالي للمقابلة بين قيصر وكليوباترا أستدعى قيصر بطلميوس الثالث عشر للتوفيق بينه وبين أخته، لكن الملك البطلمي الصغير غضب غضبا شديداً عندما رأى أخته وجرى في شوارع الإسكندرية يصرخ بكلمة الخيانة . ورغم أن جنود قيصر أعادوا هذا الصبي ألا أن صرخاته أثارت أضطراباً كبيراً بين الجماهير فحاصروا أسوار القصر ، فأضطر قيصر للخروج لتهدائة الجماهير ودعى لأجتماع شعبي في الجيمنازيوم قرأ فيه وصية بطلميوس الزمار التي كانت تقضي بأن تحكم مصر كليوباترا وأكبر أخويها، وبأن ترعي روما تنفيذ هذه الوصية ، وعلي هذا النحو أوضح قيصر حقه في التدخل في هذا النزاع وأنطباق قراره علي رغبات الملك الراحل . ولكي يخلد الإسكندريون إلي الهدوء والسكينة وعدهم قيصر بأعادة قبرص إلي مصر . وهكذا نجح قيصر في التوفيق بين كليوباترا وأخيها، وأقيم حفل كبير بهذه المناسبة .

غير أن هذا الصلح لم يكن في مصلحة *بوثينوس* كبير الأوصياء علي الملك الصغير الذي كان يريد السيطرة عليه فأحس بالخطر من عودة كليوباترا إلي العرش بمساعدة قيصر بعد أن أيقن أنها سوف تصبح الحاكم الفعلي وأن بطلميوس لم يشرك معها إلا اشراكا مؤقتا ، وسرعان ما تنفرد بالسلطة وتحاسبه حساباً عسيراً وتنكل به ، فأستبد به القلق ليس علي سلطته فحسب بل علي حياته أيضا . فسعى إلي دس السم لقيصر، ومضايقة الجنود الرومان بعدم أعطائهم سوى القمح القديم الفاسد . وأثارة الملك والرأي العام ضد قيصر ، بأستخدام صحاف من الخشب والفخار في المآدب العامة بحجة أن قيصر أستولى علي كل الصحاف المصنوعة من الذهب والفضة وفاء لدين الرومان للملك الراحل . كما سعى أوصياء الملك الصغير لتأليب الكهنة وأثارة عواطف المصريين الدينية ضد الرومان عندما قاموا بنهب المعابد المصرية بحجة الوفاء بمطالب قيصر التي لا تنتهي بعد أن أصبحت الخزانة العامة خاوية .

وعندئذ أتصل كبير أوصياء الملك سرأ *باخيلاس* قائد الجيش البطلمي في بيلزيوم ودعاه للزحف إلي الإسكندرية ليقضي علي قيصر وقواته القليلة . وقد بلغ عدد القوات البطلمية عشرون الف من المشاة والفان من الفرسان . وسرعان ما وجد قيصر وجنوده القليلون أنفسهم محاصرين في عاصمة كبيرة معادية

لهم ، فطلب قيصر من الملك البطلمي أن يأمر بوقف تقدم جيشه ولكن أخيلاس لم يذعن لأمر الملك الصغير . وعلي هذا النحو بدأت *حرب الإسكندرية* الشهيرة في خريف سنة (٤٨ ق.م.) ، وفي هذه الحـــرب واجـــه قيصر مواقف حرجة،بدأت بنشوب معركة عنيفة عند الميناء الكبير عندما حاول الإســـكندريون أن يبلغـــوا سفنهم الراسية فيه ليدمروا بها أسطول قيصر ويستولوا علي الميناء والشريط الساحلي المتاخم له ويمنعوا عنه المؤونة والامدادات . مما أضطر قيصر إلي إحراق جميع السفن البطلمية الراسية في الميناء الشرقي حتى يحرم أعدائه من الأنتفاع بها ويحمي أسطوله الصغير ويؤمن طريق أمداداته . وقد أمتدت ألسنة اللهب إلي المخازن القائمة علي رصيف الميناء ودمرت حوالي أربعون الف كتاب،ويقال أن جانبـــا مـــن مكتبـــة الإسكندرية الكبرى قد أمتدت إليه النيران مما تسبب في أحتراقها . وقد أزداد مركز قيصر حرجا عندما عمد الإسكندريون إلي قطع مياه النيل عن القنوات التي تغذي الحي الذي أحتله الرومان، فقام الجنود الرومـــان بحفر آبار أمدتهم بحاجتهم من الماء . وعندما أنتصر قيصر علي الأسطول الإسكندري في الميناء الغربـــي وأستولى علي جزيرة فاروس(حي رأس التين) والجسر الذي يربطها بالمدينة نشب قتال عنيف بينه وبـــين الإسكندريين انتهي بقتل أربعمائة جندي روماني وعدد أكبر من البحارة ، وكاد قيصر نفسه أن يُقتل . ولـــم ينقذ قيصر الا وصول أمدادات له من ميثراداتيس البرجاموني انضم إليها قوات من اليهود والأنباط قـــادهم قيصر في تحقيق أنتصار حاسم علي الإسكندريين أنتهى بأستسلامهم وموت بطلميوس الثالث عشر غريقاً .

كليوباترا تعتبر نفسها زوجة قيصر

وفي أعقاب أنتصار قيصر في حرب الإسكندرية أعلن كليوباترا ملكة علي البلاد وتزويجها من أخيهـــا الأصغر بطلميوس الرابع عشر. ولم يسرع قيصر بمغادرة مصر ليتصدى للمهام السياســـية والعســـكرية العاجلة التي كانت تنتظره في روما، وأنما قضى الشتاء مستمتعا بصحبة كليوباترا في رحلة نيلية دافئة من الإسكندرية إلي صعيد مصر . ويحتمل أن يكون قيصر قد تنازل للملكة كليوباترا عن قبرص ، كما يحتمل أن يكون في معاشرته لملكة مصر معاشرة الأزواج قد أتفق معها علي أعلان زواجهما بعد عودته إلي رومـــا حين تلحق هي به . وفي صيف عام (٤٧ ق.م.) أثمرت علاقة قيصر بكليوباترا حين أنجبت كليوباترا أبنـــا أسمته بطلميوس قيصر، إلا أن الإسكندريون سخروا منها وأطلقوا علي طفلها أسم قيصـــرون أي قيصـــر الصغير . وكان زواج قيصر بالملكة البطلمية زواجا غير شرعيا من وجهة نظر القانون الروماني، الذي لا يبيح تعدد الزوجات، لأن قيصر كان لايزال متزوجا في روما من سيدة رومانية هي " كالبورونيا " أما مـــن وجهة نظر قوانين مصر البطلمية، فقد كانت تبيح تعدد الزوجات . ويبـــدو أن كليوبـــاترا كانـــت تســـعى للأعتراف الرسمي بزواجها فقد حرصت علي أعلان شرعية علاقتها بقيصر عندما سجلت علي جدران معبد أرمنت أنها أنجبت أبنها من آمون رع الذي خالطها في صورة قيصر ومعني ذلك أن كليوباترا أذاعت علي الملأ أن قيصر هو زوجها الشرعي . وفي سنة (٤٦ق.م.) عندما عاد قيصر إلي روما لحقت به كليوبـــاترا حيث أنزلها في قصر علي نهر التيبر وسط مظاهر الرعاية والتكريم ، وقد حرصت كليوباترا علي أن تحيط

نفسها بمظاهر الأبهة الشرقية مما أثار أمتعاض الرومان الذين كانوا يوجسون خيفة منها ولم يروا فيها الا عشيقة لقيصر حتى أن شيشرون يقول صراحة في إحدى رسائله إلي أحد أصدقائه " أنني أكره الملكـــة " . وزادت كراهية الرومان لها عندما أعترف قيصر ببنوة أبنه من كليوباترا . ومع أن قيصر أعترف بهذا الأبن إلا أن كليوباترا لم تكن في نظر الرومان سوى عشيقته لأن زوجته الرومانية كانت لاتزال علي قيد الحياة . وأنتشرت شائعات بأن قيصر كان موشك علي تحويل نظام الحكم في روما من الجمهورية إلي ملكية يتربع هو وكليوباترا علي عرشها . والحقيقة أن تصرفات قيصر وبعض أتباعه كانت توحي بأنه يعمل علي قلـــب نظام الحكم الجمهوري ففي ابريل من عام (٤٦ ق.م.) تم أختيار قيصر ديكتاتوراً لمدة عشر سنوات وقبـــل وفاته بشهر واحد عُين ديكتاتوراً مدى الحياة وفي الوقت نفسه جمع بين هذا المنصب وبعــض المناصـــب الأخري مثل القنصل والتربيون والكنسور وكبير الكهنة، كما منح الكثير من الألقاب الرفيعة مثل لقب" أبـــو الوطن " وأقاموا تمثالاً له في معبد " جوبيتر الكابيتوليني " تظهر فيه صورة الأرض تحت قدميه . وليس من المستبعد أن يكون السناتو قد أمر بوضع تماثيله في جميع معابد روما والمدن الايطالية . وكان قيصر هـــو أول روماني تسك في أثناء حياته عملة رسمية حاملة صورته. وفي عام (٤٤ ق.م.) عندما كان الرومـــان يستعدون لحرب البارثيين، ظهرت نبؤة تقول أن الرومان لن يهزموا البارثيين ، إلا إذا كانوا تحت قيادة ملك . لذا فقد تقدم أنصار قيصر بأقتراح يقضي بمنح قيصر لقب ملك علي الولايات ، حتى يتسنى له هزيمة البارثيين . وتقرر عقد جلسة لمجلس السناتو لمناقشـــة هـــذا الأقتـــراح فـــي يـــوم ١٥ مـــارس ســـنة (٤٤ق.م.)،وقد أخذت كليوباترا تعقد الآمال علي المستقبل ، فتصورت نفسها ملكة تتربع إلي جانب قيصر لا علي عرش مصر وحدها بل علي عرش العالم الروماني كله . ولاح في الأفق أن ملكة مصر قد بلغت قمـــة نجاحها ، غير أن أنصار النظام الجمهوري الذين نفذ صبرهم من تصرفات قيصر ، الذي كان يرمـــي فـــي أعتقادهم إلي تقويض النظام الجمهوري ، قاموا بأغتياله وهو يهم بدخول قاعة السناتو قبل الجلسة التـــي كان من المقرر أن يمنح فيه لقب ملك . فقضوا بذلك علي آمال كليوباترا التي أستيقظت من حلمها العذب علي الحقيقة المرة فوجدت نفسها من غير نصير وتحرج مركزها في روما فأسرعت بمغادرتها سراً والعودة إلي مصر .

كليوباترا تعيد تنظيم مملكتها في مصر

بعد عودة كليوباترا من روما بقليل قامت بالتخلص من أخيها وشريكها في الحكم بطلميـــوس الرابـــع عشر الذي مات مسموماً ، وأشركت معها في الحكم أبنها من قيصر وعملـــت علـــي أن يعتـــرف بـــه الرومان أو علي الأقل أنصار قيصر ملكاً شرعياً . ويرينا معبد دندرة كليوباترا في صورة الإلهة المصـــرية حتحور،ومعها أبنها قيصرون في شكل فرعون . وبدأت تتقرب إلي المصريين فراحت تتكلم لغتهم وترتـــدي زيهم وبصفة خاصة في تقليد إيزيس في مظهرها ، وأعلنت أنها سليلة أنوبيس وسائر الآلهـــة المصـــرية ،وذلك أملاً في توحيد المصريين الوطنيين والأستعانة بهم في مواجهة الأخطار المحيطة بمملكتها .



كليوباترا في الزي الملكي الفرعوني

كما سعت للنهوض بالاقتصاد وبصفة خاصة بالزراعة مما أدي إلي تدفق الثـروات علـي خزائنهـا ،وعادت إلي مصر أهميتها الدولية كأكبر دولة في أنتاج وتصدير القمح في العالم .

ومن مصر أخذت كليوباترا ترقب الصراع الهائل الذي وقع في روما بين أعضـاء حكومـة الأئـتلاف الثلاثي الثاني التي تشكلت من أنصار يوليوس قيصر بزعامة أبنه أوكتافيوس أبن قيصر بالتبني وماركوس أنطونيوس قائد فرسانه ولبيدوس من ناحية وبين بروتوس وكاسيوس وغيرهمـا مـن أقطـاب الحـزب الأرستقراطي الذين شاركوا في أعتيال قيصر من ناحية أخرى .

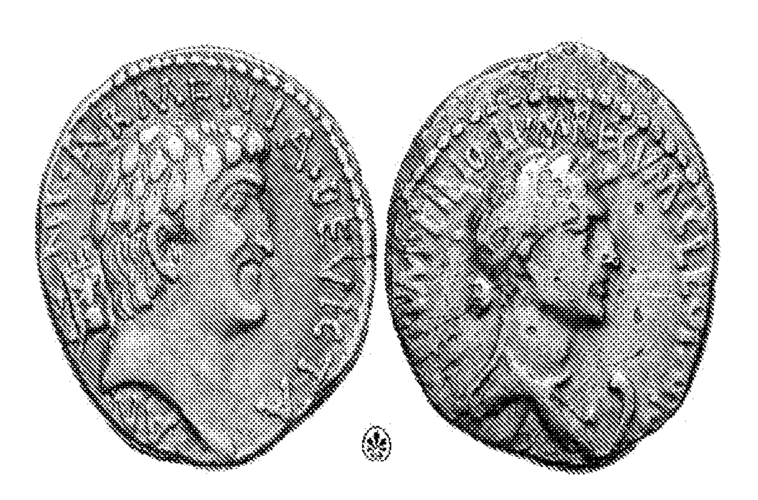
وخلال هذا الصراع فضلت كليوباتر أن تقف علي الحياد فلم تقدم أية مساعدات عسكرية أو أقتصـادية إلي أنصار قيصر لأنها لم تشأ أن تبدد قواتها ومواردها وتقامر بنفسها ومملكتها في حرب لم يكن في وسع أحد التنبؤ بنتيجتها .

العلاقة بين كليوباترا وأنطونيوس

عندما أنتهت الحرب الأهلية بأنتصار حزب قيصر تم تقسيم الإمبراطورية الرومانية بين أوكتافيوس الـذي حصل علي الولايات الغربية وبين ماركوس أنطونيوس الي تولى مهمة الأشراف علي الولايات الشـرقية . وعندما وصل أنطونيوس إلي طرسوس لتنظيم الولايات الرومانية الشرقية أرسل يستدعي الحكـام الـذين حامت حولهم الشبهات في خلال الحرب الأهلية الأخيرة . وكانت كليوباترا من بين هؤلاء الحكام ، فأرسـل يستدعيها لكي يحاسبها علي موقفها السلبي وعدم معاونتها لأنصار قيصر كما كان متوقعاً ،وفي ذلك ما يدل علي أن الرومان كانوا يعتبرون مصر دولة تابعة لهم من حيث الواقع .

وهكذا وجدت كليوباترا نفسها مرة ثانية في موقف يضطرها إلي الأختيار بين أمرين أمـا أن تـرفض الذهاب إلي أنطونيوس مما كان يستتبع حتما ضياع عرشها وربما حياتها ،وأما أن تحاول أستخدام مؤهلاتها الشخصية وأستغلال نقاط الضعف في شخصية أنطونيوس الماجن . وعندئذ وجدت كليوباترا الفرصة سانحة لأنقاذ عرشها بل وفرض نفوذها علي روما عن طريق السيطرة العاطفية علي أحد قطبي الزعامة في روما

. وعندئذ أسرعت كليوباترا إلي الذهاب إليه في موكب ملكي فاخر يخلب الألباب مقدمها من الذهب ،وقلاعها من القماش الأرجواني ،ومجاديفها من الفضة ،وأرتدت كليوباترا زي إفروديت وسط العطور العبقة والموسيقى الشجية وحولها مجموعة من النساء يشبهن آلهات الحب وعرائس البحر،وسرعان ما سحرت أنطونيوس مثلما سحرت قيصر من قبل ،فأصبح طوع بنانها،وبدأت بينهما علاقة دافئة في شتاء عام(٤٠ ق.م.) ،ولم تدخر كليوباترا وسعا في جعل أنطونيوس لا يستطيع الأستغناء عنها .



صورتان للملكة كليوباترا و أنطونيوس علي قطعة عملة

وفي تلك الأثناء كان الشرق الهلينيستي يتطلع للتخلص من السيطرة الرومانية ،ولعله وجد في كليوباترا زعيمته المرتقبة لتخليصه من نير الأحتلال الروماني . وليس من المستبعد أن تكون كليوباترا نفسها قد فطنت لهذا الشعور فأستغلته لترفع من الروح المعنوية بين سكان الشرق بأختلاق نبوءة تنذر بسقوط روما علي يد ملكة يبدأ بحكمها عصر ذهبي .

وفي عام (٣٧ ق.م.) نجحت كليوباترا في الزواج من أنطونيوس في الوقت الذي كان لايزال متزوجا من أوكتافيا شقيقة أوكتافيوس مما أدى إلي تأزم وتوتر العلاقة بينهما ، لدرجة أن أنطونيوس أعلن في تحد طلاقه من زوجته أوكتافيا شقيقة أوكتافيوس عام (٣٥ ق.م.) ،وقام بتقسيم الأجزاء الشرقية من الإمبراطورية الرومانية علي كليوباترا وأبنها قيصرون وأبنائه منها . كما دفعته كليوباترا للأعترف بأبنها قيصرون بأعتباره الأبن والوريث الشرعي الوحيد للزعيم الراحل يوليوس قيصر وليس أوكتافيوس الأبن المتبني ،وذلك لأضعاف مركز أوكتافيوس بين جنوده وصرفهم عن الولاء له . ويبدو أن أنطونيوس كان يخطط لجعل الإسكندرية عاصمة للجزء الشرقي للإمبراطورية الرومانية لأنه عندما عاد منتصراً من حملته علي أرمينيا في عام (٣٤ق.م.) شجعته كليوباترا علي الأحتفال بأنتصاره في الإسكندرية خلافا للعرف الروماني الذي جرى علي أن يقام موكب أنتصار القواد في روما، وقيل أنه أوصى بأن يدفن في

الإسكندرية.وعلي هذا النحو أصبحت كليوباترا ملكة علي النصف الشرقي للإمبراطورية الرومانية ،وهو أمر لم يستطع أحد من أسلافها أن يحققه .

الصراع بين أنطونيوس وأوكتافيوس

وقد أستغل أوكتافيوس بعض أخطاء أنطونيوس في الشرق لشن حملة سياسية شعواء ضده والتنديد بعلاقته بالملكة المصرية وبحكم وجود أوكتافيوس في العاصمة أستطاع أن يثير الرأي العام الروماني ضد أنطونيوس والملكة المصرية ، حيث صور موقفه علي أنه قد حول الولايات الشرقية كلها إلي مملكة من الطراز الشرقي يجلس هو وكليوباترا علي عرشها ويرثها ابنائهم وهو ما يعني في الواقع خيانة الشعب الروماني .

وعندما تأكد أوكتافيوس من أن شعور الرومان العدائي ضد كليوباترا وشعورهم بالأستياء من مسلك أنطونيوس قد بلغ ذروته حث أعضاء السناتو وسكان الولايات الغربية علي أن يقسموا له يمين الولاء من أجل أنقاذ ممتلكات الشعب الروماني،كما أستصدر قراراً بألغاء سلطة أنطونيوس العليا . ولما كان أوكتافيوس يدرك أن لأنطونيوس أنصاراً بين الرومان ،فأنه لم يعلن الحرب عليه حتي لا تبدو حرباً أهلية بين زعيمي روما من أجل التنافس علي السلطة وأنما أعلنها علي كليوباترا بأعتبارها عدوة للشعب الروماني وذلك حتي يضفي عليها صفة الحرب القومية ضد الخطر الأجنبي القادم من الشرق ،ويضمن بذلك وحدة الصف الروماني ،ويُظهر أنطونيوس بمظهر الخائن لبلاده ،وبالتالي يضعف مركزه الأدبي أمام جنوده الرومان .

معركة أكتيوم البحرية

وهكذا لم يعد هناك أي مجال لتجنب وقوع الحرب بين حلفاء الأمس . وقد شجعت كليوباترا زوجها أنطونيوس علي خوضها فأمدته بالمال والمؤنة اللازمين وأصرت علي مرافقته إلي ميان القتال . وكانت القوات البرية التي جمعها أنطونيوس وكليوباترا تتألف من أثنين وثمانين ألف مقاتل وأسطول مكون من خمسمائة سفينة . وقد وزع أنطونيوس وكليوباترا قواتهما البرية والبحرية علي خط قتال يمتد مسافة طويلة عند أكتيوم علي الساحل الغربي لبلاد اليونان لتسهيل الأتصال بمصر والأحتفاظ بخط الرجعة في حالة الهزيمة . اما أوكتافيوس فقد رابط بقواته في مواجهة خليج أكتيوم بجيش قوامه خمسة وثمانون ألف مقاتل وأسطول قوامه أربعمائة سفينة .

ولاشك أن أنطونيوس قد أرتكب عدة أخطاء أستراتيجية كان أهمها سوء توزيع قواته علي هذا الخط الطويل الضعيف مما يسهل أختراقه ، و كان هذا الخط مكشوفاً من ناحية إيطاليا . كما أن وجود كليوباترا في ميدان القتال أدي إلي أضعاف مركز أنطونيوس في نظر جنوده الذين ظهروا كما لو كانوا يقاتلون من أجل الملكة المصرية وليس من أجل الزعيم الروماني . ولذلك رأى فريق من ضباط أنطونيوس ضرورة

عودة كليوباترا إلي مصر ،ولكن الملكة أصرت في عناد علي البقاء مما أدي إلي أنخفاض الروح المعنوية لجنود أنطونيوس وأنسحاب بعض كبار ضباطه من جيشه والأنضمام إلي أوكتافيوس .

وفي خريف سنة (٣١ ق.م.) جرت المعركة البحرية الفاصلة في أكتيوم حيث حلت الهزيمة بــأنطونيوس وكليوباترا التي أسرعت بالأنسحاب بأسطولها إلي مصر وأنسحب كذلك أنطونيوس بعد أن تحطمت معظــم سفنه أو أستسلمت لخصمه . وسرعان ما أستسلمت لأوكتافيوس قوات أنطونيوس البرية التي تركها وراءه علي ساحل بلاد اليونان . وقد عقد أنطونيوس أمله علي حشد جنود الحاميات التي تركهــا فــي الشــرق وأستئناف القتال من جديد بعد أن يستجمع قواه ،وعندما حاول أنطونيوس أن يستعين بالحامية الرومانيــة في برقة رفض قائدها فأضطر أنطونيوس إلي العودة لإسكندرية خائبا . أما كليوبــاترا فلــم يحطــم هــذا الأنسحاب روحها المعنوية فدخلت الإسكندرية مرفوعة الرأس وقد زينت مقدمة سفينتها بشارات النصر حتى توهم الشعب أنها عادت منتصرة لكي لا تحرك ضدها ثائرة الإسكندريين .

أوكتافيوس يغزو مصر

وعلي هذا النحو أصبح الطريق أمام أوكتافيوس سهلا للوصول إلي مصر ، التي قرر غزوها بجيشين أحدهما بقيادة جايوس كورنيليوس جالوس ،أحد كبار قادة أوكتافيوس،و زحف علي مصر من جهة الغرب حيث نجح في أستمالة فرق أنطونيوس في قوريني وأستولى علي برايتونيوم (مرسى مطـــروح) ،وعنـــدما حاول أنطونيوس القيام ضده بهجوم مضاد فشل في إستعادة برايتونيـــوم وأُجبـــر علـــي الأنســـحاب إلـــي الإسكندرية . وفي الوقت نفسه تقدم أوكتافيوس بالجيش الآخر من الشرق وأستولى علي بيلزيوم وتقدم



تمثال بالحجم الطبيعي للإمبراطور أوكتافيوس بملابسه العسكرية

نحو الإسكندرية وخرج أنطونيوس لملاقاته ولكنه أنهزم عند مشارف الإسكندرية الشرقية ،وعندئذ عـرض عليه أنطونيوس أعتزال الحياة السياسية وأنزواءه كمواطن عادي ،ولكن أوكتافيوس رفض أي تفاهم معه . وفي هذه الأثناء التي أستبد فيها اليأس بأنطونيوس أشاعت كليوباترا أنها ماتت فأنتحر أنطونيوس بعد أن أُوصدت جميع الأبواب في وجهه .

وأما كليوباترا فقد حاولت التفاوض مع أوكتافيوس وعرضت عليه التنازل عن عرشها لأبنائها ولكن أوكتافيوس النتصر صم أُنيه عن رجائها ،ولما أستيأست هي الأخرى من كل شئ وأيقنت أنه لم يبق إلا أن تحمل ذليلة إلي روما لتعرض عبر شوارعها في مهرجان نصر **trimphus** أوكتافيوس وهي التي عاشت فيها قبل سنوات ملكة تحيط بها كل مظاهر العظمة والأبهة وكانت علي وشك أن تتوج ملكـة علـي هـذه المدينة ،ولذا فقد أختارت الأنتحار بواسطة حية الكوبرا ، رمز الخلود عند المصريين ،وهي ميتة ترفعها إلي مصاف الإلهات .

تحول مصر إلي ولاية رومانية

وفي نهاية شهر أغسطس سنة (٣٠ ق.م.) دخل أوكتافيوس الإسكندرية حيث قتل قيصرون وأسر باقي أبناء كليوباترا . ثم أعلن ضم مصر إلي ممتلكات الشعب الروماني ،وسك عملة تذكارية كتب عليها عبارة **AEGYPtO CAPTA** (فتحت مصر) وكأنه يتنفس الصعداء بعد طـول عنـاء . والواقـع أن الرومان الذين كانوا ، في مجدهم ، يزدرون خوف أي شعب أو أُمة لم يتملكهم الخوف إلا من شخصين كان أحدهما رجلا وهو هانيبال القرطاجي ،وكان الآخر امرأة ،وهي كليوباترا . ولا أدل علي ما أثارته كليوباترا من هلع وخوف في نفوس الرومان مما ورد في السجل الرسمي للإمبراطور أوكتافيوس من أنه " يوم دخل (أوكتافيوس) الإسكندرية أنقذ روما من أشد المخاطر هولاً "،ومن أن السناتو قرر أعتبار ذلك اليـوم عيـداً وطنياً . كما يتردد أصداء هذا الخوف في كتابات كبار الشعراء الرومان الذين عبروا عن فرحهم لخلاصهم من الفزع والقلق بفضل أنتصار أوكتافيوس .





وجهي العملة التي سكها أوكتافيوس بمناسبة فتح مصر وقد سجل علي أحد وجهيها عبارة " فُتحت مصر " وعلي الوجه الآخر صورة الإمبراطور أوكتافيوس الذي حمل أسم أبوه بالتبني " قيصر " **CAESAR** .

وعلي هذا النحو أنتهى حكم الملوك البطالمة لمصر بعد أن دام زهاء ثلاثة قرون ،وكانت مصر هي آخر الممالك الهلينيستية التي
تسقط في يد الرومان ،وبسقوطها يبدأ فصل جديد من فصول التاريخ المصري القديم ،تحولت فيه مصر من دولة مستقلة تحت حكم البطالمة إلي مجرد ولاية رومانية وصار جميع سكان مصر رعايا خاضعين لروما .
وأستمرت علي هذا النحو حتى الفتح العربي لمصر علي يد عمرو بن العاص سنة ٦٤٠ ميلادية .

الفصل السابع

معالم النظم والحضارة المصرية في عصر البطالمة :

أولاً : النظام الإداري .

ثانياً : النظام الاقتصادي .

ثالثاً : النظام الاجتماعي .

رابعاً : الحياة الثقافية .

أولاً - السلطة المركزية في عصر البطالمة

وقد تميز النظام الإداري البطلمي بوجود سلطة مركزية عليا تقبض علي زمام الأمور،فقد كان هـدف البطالمة استغلال ثروة البلاد إلي أقصى درجة ممكنة فكانت تتولى إدارة مصر حكومة بيروقراطيـة علـي رأسها ***الملك البطلمي*** [١] ، الذي كان صاحب مصر وسيد رعيته المطلق وبما أنه كان إلهاً فأن سـلطته كانت مطلقة وكانت لأوامره سلطة القانون،وكان السلطة الوحيدة التي تستطيع أصدار قوانين . وكان أيضا بمثابة القاضي الأعلى الذي يقوم بتعين باقي القضاة ،ويفصل بنفسه في بعض القضايا الهامة التي لا يمكن الأستئناف منها . وهو القائد الأعلى للجيش والأسطول البطلمي ،وكان بعض البطالمة في بعـض الأحيـان يتولون بأنفسهم مهمة قيادة هذه القوات مثلما كان يفعل بطلميوس الأول في معظم حروبـه ،وكمـا فعـل بطلميوس الثالث في الحرب السورية الثالثة ،وبطلميوس الرابع في موقعة رفح،وفي أحيان أخرى كان الملك البطلمي يكتفي بتعين قواد ينوبون عنه في القيام بالمهام العسكرية مثلما كان يفعل بطلميوس الثـاني فـي أغلب حروبه [٢] .

وكان يساعد الملك في إدارة البلاد مجموعة من كبار الموظفين كان أهمهم وزير المالية الذي حمل لقب (ديوكيتيس) ،وهو لقب متواضع يحمل معنى " مدير الضيعة " ،فقد كان البطالمة يعتبرون مصـر ضـيعتهم الخاصة ،ومن أشهر وزراء المالية البطالمة " أبوللونيوس " وزير مالية بطلميوس الثاني . وقد تعددت مهام هذا الوزير فكان ينظم جميع اقتصاديات الدولة ومواردها ومصروفاتها . ويعين جميع الموظفين الذين لهم صلة بالأمور المالية،ومعاقبة كل من يتسبب في أهدار مال الدولة بعقوبات قد تصل في بعض الأحيان إلـي حد الأعدام .

وكان للديوكيتيس مساعدون مباشرون يحمل كـل واحـد مـنهم لقـب " مسـاعد وزيـر الماليـة " (هيبوديوكيتيس) كان كل منهم يختص بأقليم من أقاليم مصر . هذا فضلا عن رؤساء الحسابات الين كـانوا يتولون مهمة أعداد الاحصاءات وتقدير الضرائب كل عام .

ويلي الديوكيتيس موظف آخر كبير يسمى الأرخيديكيستيس Archidicastes ،وكان بمثابة وزيراً للعدل ويشرف علي الأنواع الثلاثة من القوانين التي كانت تطبق في مصر : وهي القانون المصري القديم ويطبق علي المصريين ،والقانون الخاص بالإغريق والأجانب المقيمين في الريف الأجانب ،والقانون الثالث وكـان خاص بمواطني المدن الإغريقية الحرة ،وكان يشرف علي كل نوع من أنواع المحاكم والقضاة الذين أختص كل منهم بنوع أنواع هذه القوانين [١].

---

[١] **Abbott, Johnson, Municipal Administration, p. 36.**
[٢] ابراهيم نصحي ،المرجع السابق ،ج ،ص٢٣٣ .
[١] مصطفى العبادي ،المرجع السابق،ص ١٢١ .

الإدارة المحلية

كان لجغرافية مصر الطبيعية اكبر الأثر في قيام حكومة مركزية بها منذ أقـدم العصـور، فالسـكان يتجمعون في منطقة محددة هي وادي النيل ودلتاه،ووسائل المواصلات الداخلية سـهلة فالنيـل بفروعـه وقنواتـه يربط البلاد من أقصاها إلي أدناها، ومن شرقها إلي غربها،هذا فضلا عمـا وهبته الطبيعة لمصر من حدود تحميها فالصحراء تحيط بها من الشرق والغرب والجنـوب،والبحر يحـيط بهـا مـن الشـمال والشرق[١].

وخلال العصور التاريخية قسمت مصر علي الدوام إلي قسمين رئيسيين هما مصـر العليـا(الجنـوب) ومصر السفلى (الشمال) وكان كل قسم من هذين القسمين ينقسم إلي وحدات إدارية رئيسية . فخلال العصر الفرعوني كانت مصر تنقسم إلي مقاطعات تعرف كل واحدة منها باسم "هيسيبو"، ولما زار هيرودوت مصر في القرن الخامس قبل الميلاد دعاها "هيرودوت " باسم νομοι(مديريات)، وقد ظلت هذه الوحدات تعرف علي هذا النحو طوال عصري البطالمة والرومان،وان اختلف عددها من وقت إلي آخر[٢] . هـذا إلـي ان البطالمة مع احتفاظهم بتقسيم البلاد إلي وحدات رئيسية (مديريات)، وإطلاق اسم منطقة طيبة(Θηβας) علي بعض مديريات مصر العليا[١]، فأنهم لم يحتفظوا بأسمائها القديمة علي نحو ما سيأتي ذكره فيما بعد.

المدن الإغريقية الحرة في مصر

وخلال العصر البطلمي كانت مصر تضم ثلاث مدن يونانية πολις تتمتـع بـالحكم الـذاتي وهـي نقراطيس التي كانت أول مدينة أسسها الإغريق في العصر الصاوي والإسكندرية التي أسسـها الإسـكندر الأكبر في عام (٣٣١ ق.م.) وبطولميس ،وأسسها بطلميوس الأول في صعيد مصـر . ومـن امحتمـل أن برايتونيوم (مرسى مطروح) كانت أيضا مدينة إغريقية .

والواقع أن البطالمة لم يتوسعوا في أنشاء المدن الإغريقية الحرة في مصر لأنها كانت تتعارض مـع رغبتهم في الحكم المطلق لمصر ،وحتى هذه المدن الإغريقية لم تكن تتمتع بالأستقلال التام الذي كانت تتمتع به المدن اليونانية polis ، فقد كانت خاضعة لسلطان الملوك البطالمة بما يتفق مع سياستهم فـي الحكـم المركزي المطلق .

غير أن هذه المدن تميزت عن باقي أنحاء القطر في أنه كان لكـل منهـا هيئـة مـن المـواطنين (politai)تم تسجيلهم في عدد من القبائل والأحياء تشبه ما كان موجوداً في أثينا . وكان لكل مدينة هيئـة

---

(١) Jones, Cities of the Eastern Roman Provinces, 2nd ed.,(1970) p. 295.

(٢) إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج٢، ط٦، ١٩٨٧م، ص ص ٣٨١، ٣٨٢.
تتفق وثيقة الدخل التي ترجع إلي عهد بطلميوس الثاني مع هيرودوت وأسترابون في ذكر ست وعشرين مديرية إلي جانب منطقة طيبة وهي التي يقول أسترابون أنها كانت تضم عشر مديريات.وتشير بعض الوثائق المصرية القديمة إلي وجود أربعين مديرية ، بل في بعض الخرائط الحديثة ترينا أنه كانت توجد في مصر في عهد الفراعنة خمسون مديرية.

(1)P.Rev.Laws,pp.XLVff.,*Cols.31,60,72*;Herod.II,4;166;J.D.Thoms,TheTheban Administrative District, <u>JEA.</u>, 50(1964), pp. 139 ff.

P.Rev.Laws,pp.XLVff.,*Cols.31,60,72*;Herod.II,4;166;J.D.Thoms,TheTheban Administrative District, <u>JEA.</u>, 50(1964), pp. 139 ff.

حكام αρχοντες ومجالس سياسية محلية مثل مجلس الشورى βουλη الذين كـــان ينتخـــبهم بواســـطة المواطنين أعضاء الجمعية الشعبية . وعن طريق هؤلاء الموظفين وتلك المجالس كانت كل مدينـــة تـــدير شئونها الداخلية المحلية بنفسها في النواحي الإدارية والاقتصادية والقانونية [١]. وكان الأندماج في هيئـــة مواطني هذه المدن قاصراً فقط علي الإغريق والمقدونيين الذين أُعتبروا طبقة مميزة عن سائر سكان القطر المصري .

ومن ناحية أخرى كان باقي القطر المصري χωρα(الريف) ينقسم إلي مديريات νομοι وقسمت كل مديرية إلي عدد من المراكز τοπαρχιαι انقسمت كل منها إلي عدد مـــن القـــرى κωμαι [٢] . وذلـــك باستثناء مديرية الفيوم(ارسينوي) التي انقسمت منذ النصف الثاني للقرن الثالث قبل الميلاد[٣] إلـــي ثلاثـــة أقسام μεριδες هي قسم"هيراكليديس" و قسم"بوليمون" وقسم"ثيميستوس"، وانقسم كل قسم إلي عدد من النومارخيات νομαριχαι ثم حل محلها توبارخيات،وقسمت كل توبارخية إلي عدد من القرى[٤].

عواصم المديريات

و كان لكل مديرية عاصمة أطلق عليها "متروبوليس" (μητροπολις) وهذا المصطلح من الناحيـــة اللغوية مكون من كلمتين هما كلمة (μητηρ) بمعني"أم" وكلمة (πολις) بمعني مدينة أي المدينة الأم [١]. وقد ظهر هذا المصطلح بهذا المعني في بلاد اليونان منذ منتصف القرن الثامن قبل الميلاد حيث كان يطلق علي المدينة التي كان يقوم عدد من مواطنيها بتأسيس مستوطنة خارج بلاد اليونان فمثلا كانت" خالكيس " مترو بوليس بالنسبة إلي مستوطنة" كوماي" بجنوب إيطاليا، مثلما كانت " كورنثة " متروبوليس لمستوطنة " سيراكوزة " .

وفي العصر البطلمي استخدم مصطلح" متروبوليس " في مصر بمعني البلدة الرئيسية في المديرية أو بمعني أدق العاصمة الإدارية للمديرية [٢]. وحسب تصور اليونان لم تكن هذه العواصم في تقديرهم اكثر من قري ضخمة [٣]، ومن المفارقات أن البطالمة دعوا بعض هذه العواصم " مدنا " (πολεις)مثل"هيرموبوليس " و " هليوبوليس" و"افروديتوبوليس"، علي الرغم من افتقارها إلي الأجهزة الدستورية التي توفر لها الحكم الذاتي وتكسبها طابـــع المدينـــة (πολις) بالمعني الدقيـــق للكلمـــة، مثـــل "الجمعيـــــة الشعبيـــــة" (εκκλησια) و" مجلس الشـــورى" (βουλη) [٤] .

---

[١] مصطفى العبادي ،العصر الهلينستي(مصر) ،دار النهضة العربية ،صص ١٢٤ – ١٢٧ .

[٢] Bell, Hellenic Culture in Egypt., JEA., 8(1922), p. 141; Taubenschiag, the Law of Greco-Roman Egypt, 2nd ed.,(1955), pp. 578. 79.

[٣] P. Teb. 701, *Col.ii, 332*.

[٤] P. Teb.II, 350.

[١] Liddell, Scott, Greek English Lexicon,(1968), pp. 1130. 1131.

[٢] P. Rev. Laws, 1 *Col.48,161*(B.C.III) ;OCD., 2nd ed.,(1979),p.686.

[٣] إدريس بل، مصر من الإسكندر حتى الفتح العربي، ت. عبد اللطيف أحمد علي، ص ٤٥.

[٤] OCD.,p.686;Arsitotale,The Athenian Constitution,Trans. J.Rhodes,(1981) p. 177.

ولم تكن مقسمـــة إلي قبائل (φυλαι) وأحياء (δημοι)، ولم يكن بها وظائف حكام المدينـــة البلـــديين (αρχοντες) . كما أن هذه العواصم كانت تخضع لسلطة مدير المديرية (στρατηγος) مثلها مثـــل أي قرية في المديرية،وبالتالي لم تكن هذه العواصم خلال العصر
البطلمي – من الناحية الدستورية– سوي القرى الرئيسية في المديرية [١].

ويبدو أن تسمية بعض هذه العواصم مدنا (πολεις) يرجع إلي كثرة عـــدد النـــزلاء اليونـــان بهـــذه العواصم خلال العصر البطلمي، وقد
نقلوا إلي هذه العواصم بعض سمات الحضارة اليونانية،وأطلقوا عليها هذا اللقـــب علـــي ســـبيل التفخـــيم وإعطائهم إحساسا ولو مزيفا بعدم الغربة عن الوطن،وبخاصة ان اليونان اعتـــادوا العـــيش فـــي مـــدن κατα πολεις.
وأطلق البطالمة علي عواصم المديريات اصطلاح" متروبوليس" والواقع أننا لا نجد تعليلا شـــافيا لتســـمية عواصم المديريات علي هذا النحو في عصر البطالمة ،فقد ظلت المتروبوليس في العصر البطلمـــي مركـــز الحياة في المديرية بأسرها بوصف كونها مقر الحكومة المحلية، وكان علي رأسها المدير (στρατηγος) ومساعده الكاتب الملكي (βασιλικος γραμματευς)، كما ان المتروبوليس كانت مركز النشاط الديني في المديرية حيث كان يوجد بها المعبد الكبير لإله المديرية هذا فضلا عن إنها كانت مركز الحياة الاقتصادية أيضا التي كان يوجد بها" البنك الملكي" الذي كانت له فروع في القرى . كما أنه كانت توجد بنوك خاصـــة بالمتروبوليس . وكان يوجد بالعاصمة المخزن المركزي للقمح(الشـــونة) θησουρος فضـــلا عـــن دار المحفوظات العامة βιβλιοθηκη δημοσιων λογων التي يرجح أن الرومان هم الذين ادخلوهـــا فـــــي مصـــــر فـــــي منتصـــــف القـــــرن الأول المـــــيلادي ثـــــم أنشـــــئوا دار الســـــجلات العقاريـــــة βιβλιοθηκη εγκτησεων،وفي هاتين الدارين كانت تحفظ جميع أنواع السجلات الخاصـــة بالمديريـــة والمتعلقة بالضرائب والمنازعات القضائية وتسجيلات الأرض والعقود الخاصة بالممتلكات العقارية وغيرها من الوثائق الهامة. وكانت كل دار تحت إشراف موظف يدعى βιβλιοφυλαξ [١]. هذا فضـــلا عـــن ان معظم المحاكمات كانت تتم في المتروبوليس حيث كان يوجد سجن المديرية[٢]. وكانـــت بعـــض عواصـــم المديريات مقارا للقوات العسكرية مثل "أرسينوي"و" هيرموبوليس ماجنا" [٣] و" كوبتوس" و"هليوبوليس" [٤] و"اوكسيرينخوس" .

---

[١] Bell,RomanEgypt,Chr.d'Eg.,26(1938),p.351;CAH.,10,p.297.
[١] Cockle,State Archives in Graeco-Roman Egypt, JEA.,70(1984). pp.113ff.
[٢] Milne, Op. Cit., p. 130.
[٣] عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، ص ٤٥.
[٤] Komil,Upper Egypt Outline and Descriptive Guide to the Ancient Sites,(1983), p. 152.

ثانيا : أسماء عواصم المديريات

حاول اليونان خلال العصرين الصاوي و الفارسي نطق الأسماء المصرية للمديريات وعواصمها بلكنتهم وبهذه الطريقة صيغت أسماء المديريات علي نحو ما ورد في قائمة" هيرودوت " ، لكن اليونان لم يوفقوا أبدا في النطق السليم لصيغة الكلمات الأجنبية فلم تكن للأسماء المصرية في اغلب الأحيان إلا صورة واهية للاسم الأصلي [١] . بيد انه يبدو مما جاء عند" هيرودوتوس" ان اليونان المحليين أطلقوا علي بعض هذه العواصم أسماء يونانية ظلت موجودة في خلال العصرين البطلمي والروماني مثل " بوباسطيس" و" بوسيريس " و " منديس " و " هليوبوليس " و" هيرموبوليس " و" أثريبيس" و " تانيس " و " سيبينتوس" و " فاربايثيس" [٢] . و يبدو ان هذه الطريقة صادفت هوي من البطالمة فتوسعوا فيها مغفلين الأسماء الأصلية للمدن وإن احتفظوا بوجه عام بالقاعدة التي كانت متبعة في العصر الصاوى وبمقتضاها كان اسم المديرية يؤخذ من اسم عاصمتها [٣].

وبصفة عامة كانت أسماء العواصم خلال عصري البطالمة و الرومان في بعض الحالات تحريفا للاسم المصري بحيث [٤]يتلاءم مع الذوق اليوناني مثل تحريف"ساي" إلي"سايس" و " بوسيري" إلي " بوسيريس" و" بوباسطيت" إلي" بوباسطيس" . وفي حالات أخرى أطلقت علي عواصم المديريات أسماء جديدة نتيجة للتشبيه السطحي للآلهة المحلية لهذه العواصم بآلهة يونانية، فمثلا"الأشمونين" – مركز عبادة الرب المصري" تحوتي " رب العلم والحكمة والذي شبهه اليونانيين بربهم" هيرميس" – أصبحت تعرف بأسم" هيرموبوليس"، وكذلك مدينة"اون" مركز عبادة" رع" إله الشمس المصري الذي شبهه اليونانيين بربهم هيليوس أصبحت تعرف باسم"هليوبوليس"، وكذلك"إدفو" مركز عبادة حورس الذي شبهوه بربهم" أبوللون " أصبحت تعرف بأسم"ابوللونوبوليس"[٥] .

وفي بعض الحالات اشتقت أسماء العواصم من الترجمة اليونانية لأسماء آلهتها أو طواطمها[٦]. ومن أمثلة هذه العواصم " لاتوبوليس" نسبة إلي السمكة التي كانت تقدس هناك في صورة"حتحور"برأس سمكة"لوت"، وهو نوع من اسماك النيل[٧]. كما اشتق أسم"اوكسيرنيخوس"من أسم سمكة مقدسة هي "القنومة"[٨]، وهو نوع من السمك الرمحى كان يقدسه أهل هذه المنطقة وعندهم معبد موقوف علي عبادته [٩] . و أطلق اليونان علي" أسيوط" أسم" ليكوبوليس" أي مدينة الذئب لأن طوطم إلهها كان كلبا بريا ظن

---

[١] Jones, Op. Cit, p. 298.
[٢] Herod. II, 59; 60, 61, 62, 63, 67, 73, 116.

[٣] إبراهيم نصحي : المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٨٧.

[٥] عن تسمية العواصم بأسماء آلهة إغريقية شبهت بآلهة مصرية راجع: هيرودت يتحدث عن مصر، ت.محمد صقر خفاجة، ص١٥٠، سليم حسن، أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني، ص ٥٦، فرنسوا دوماس، آلهة مصر، ص ٥٢.

[٦] Jones, Op. Cit., p. 298.

[٧] هذه السمكة من فصيلة القشور ولها عدة أسماء في مصر منها القشر والفرخ وحمار البحر. سليم حسن : المرجع السابق، ص ٣٨.

[٨] لعل تقديس هذا النوع من السمك يرجع إلى الدور الذي قام به هذا السمك في أسطورة إيزيس وأوزريس قرب ذلك المكان فهذه السمكة كانت بمثابة تابوتا حياً لجزء من جسم أوزيريس.

[٩] Turner, JEA., 38(1952), p. 78.

اليونان انه ذئب [١] . وأطلقوا علي مدينة" شدت" أسم" كروكوديلون بوليس" أي مدينة التماسيح، وهو ترجمة لأسمها الفرعوني" بر سبك" حيث كان أهلها يعظمون التمساح تعظيما كبيرا [٢].

ولدينا مثل واحد استبدل فيه بالاسم اليوناني المترجم لأسم الإله المصري اسم يوناني بحت و هو أسم عاصمة الفيوم، فقد استبدل باسم كروكوديلوبوليس اسم" ارسينوي" تكريما لزوجة الملك البطلمي" فيلادلفوس" بعد وفاتها وخلال العصر الروماني كان الاسم الرسمي لهذه العاصمة في الوثائق هو" مدينة الارسينويين" Αρσινοιτων πολις. [٣]

وفي حالة أخرى علي الأقل أطلق اليونان علي المدينة المصرية المواجهة لمدينة " نقراتيس" علي الجانب الغربي للنيل أسم جينايكوبوليس" [٤]، أي مدينة النساء [٥] . لكن هذا الاسم لم يلبث أن تغير خلال العصر الروماني إلي" اندروبوليس" [٦] أي مدينة الرجال [٧].

ثالثا : أسباب اختيار العاصمة(المتروبوليس)

وتتضح أهمية هذه العواصم من أهمية المواقع التي اتخذها الملوك البطالمة لبناء معابدهم فيها، فقد كانت تلك المواقع تمتاز بأهميتها الدينية القديمة فضلا عن مواقعها الاستراتيجية . فعلي سبيل المثال كانت"كوم أومبو"(أومبوس) مقر عبادة الهين محليين عريقين هما"سبك" و"حورس ذو الرأس الذهبي"[٨]. هذا فضلا عن إنها تقع علي تل كبير يشرف علي طرق القوافل المؤدية إلي النوبة والواحات [٩] . كما كان يقع علي الجانب الشرقي للمدينة طريق يوصل إلي مناجم الذهب بالصحراء، و يوضح اسمها القديم"نوب" الذي يعني الذهب أهمية هذه الناحية في حياة المدينة. وقد ساعد علي ازدهارها تطوير البطالمة لعدد من المحطات العسكرية الدائمة علي امتداد ساحل البحر الأحمر، ونمو الحركة التجارية بين تلك المحطات العسكرية و المدن النيلية ولاسيما "كوم اومبو" التي أصبحت من أهم المحطات للعناية بالأفيال الأفريقية التي حاول البطالمة في وقت ما اتخاذها ندا لمجابهة فيالق الأفيال الهندية لدي منافسيهم السليوقيين . علي ان التقدم الحقيقي للمكان ظهر في العصر الروماني عندما اتخذت "كوم اومبو" عاصمة إدارية للمقاطعة الأولي [١٠].

---

[١] محمد رمزي : القاموس الجغرافي، ج ٤، ص ٢٥.

[٢] Bevan,A History of Egypt Under the ptolemaic Dynasty,(1917),p. 115.

[٣] P.Fay.,Introd.,p. 9.

[٤] CAH., 10, p. 37.

[٥] اعتقد بعض الإغريق أن سبب هذه التسمية يرجع إلى أن غالبية سكان هذه المدينة كانوا من النساء عندما نزل إليها المستعمرون الإغريق الأوائل أيام ابسماتيك.

[٦] يفترض الأستاذ"جونز" أن سكان"جينايكوبوليس" قد طلبوا من السلطات الرومانية تغيير أسم مدينتهم بسبب مضايقات جيرانهم ومعايرتهم باسم مدينتهم وأن السلطات الرومانية وافقت على طلبهم وأطلقوا أسم" اندروبوليس" على نقيض الاسم السابق.

[٧] محمد رمزي : القاموس الجغرافي، ج ٤، ص ٢٥.

[٨] Gauthier, Dictionnaire Des Noms Geogrphiques,Vol. III, p. 83.

[٩] Komil,Op. Cit., p.152.

[١٠] جيمس بيكى، الآثار المصرية في وادي النيل، ت، لبيب حبشي، ج ٤، ص ص ٦٠-٦١.

كما ان" إدفو"(ابوللونوبوليس) كانت مقر عبادة " حورس الادفوى " الذي اختلطت أسطورته بأسطورة" اوزيريس"، واختلط هو نفسه"بحورس" أبن" ايزيس"، وكان شعاره علي هيئة شكل قرص شـمس مجـنح رمزا للحماية ضد الأشياء الضارة، يوضع فوق بوابات المعابد المصرية في جميع أنحاء مصر [1]. ويعتبـر موقع" إدفو" بمثابة حلقة الاتصال بين واحة الخارجة في الغرب، وشاطئ البحر الأحمـر فـي الشـرق [2]. وكانت"أسنا"(لاتوبوليس) مقرا دينيا لعبادة"خنوم" الذي كان ينظر إليه كأحد الآلهة المختصة بخلق العالم [3] . كما كانت مركزا رائجا للتجارة المحلية منذ أقدم العصور [4].

وكانت"قفط"(كوبتوس) ذات أهمية تجارية كبيرة لوقوعها بالقرب من الصحراء الشرقية حيث أهم مناجم الذهب في مصر و المحاجر العديدة،وذلك فضلا عن كونها أحد المركزين الرئيسيين لطرق القوافل التجارية بين وادي النيل و موانئ البحر الأحمر [5] مثل ميناء"برينيقي" و ميناء"ميوس هورمـوس". وكـان المركـز الرئيسي الآخر هو"كاينوبوليس" فقد كانت طرق التجارة الرومانية الرئيسية عبر الصحراء الشرقية تنتشـر علي شكل مروحي من منعطف النيل عند"كوبتوس" و"كاينوبوليس" [6]. وكانت"هيرموبوليس ماجنا" محطـة جمركية للسلع الواردة من مصر العليا [7] . هذا إلي إنها كانت تقع في منطقـة تفـوق مسـاحة أراضـيها الزراعية مساحة أية رقعة أخري في الوادي مما جعلها عظيمة الثراء والأهمية،وفضلا عن ذلك فأنها كانت تتمتع بشهرة دينية عظيمة بوصفها صاحبة أحد المذاهب الدينية الكبرى في تفسير نشـأة الكـون، وهـو مذهب الثمانية الآلهة الذين تعاونوا مع"تحوت" في خلق العالم [8].

كذلك تمتعت"اوكسيرينخوس" منذ عهد بعيد بأهمية دينية مميزة إذ كانت مقرا لعبادات هامة مثل عبادة فرس النهر θοηριδος، وبوجه خاص عبادة السمكة التي أطلق اسمها علي الإقليم، كما تذكر سـجلات الغازي النوبي"بعنخي" هذه المدينة بوصفها أهم مكان في مصر الوسطي. ونظرا لأهمية هذه المدينـة فقـد اجتذبت عددا كبيرا من الأجانب خلال العصر الصاوي،وازداد عدد هـؤلاء خـلال العصـر البطلمـي، واستمرت أهمية المدينة خلال العصر الروماني إلي حد أن الإمبراطور"سيبتيميوس سيفيروس" أعطي لهذه المدينة المكانة الثانية لعقد مجلسه القضائي بعد مدينة" بلوزيون" وذلك أثناء زيارته لمصر . وقد استمرت أهميـة هـذه المدينـة خـلالإحدى المدن الرئيسية الهامة في مصر، كما أصبحت عاصمة منطقة" اركاديا" و مقر المطران [9].

---

[1] Gauthier,Op.Cit.,Vol.II, p. 27.
[2] Komil,Op. Cit., p.152.
[3] Gauthier,Op.Cit.,Vol.I, p. 60.
[4] Komil,Op.Cit.,p.152.
[5] سليم حسن، المرجع السابق، ص ٤٢.
[6] Meredith, The Roman Remains in the Eastern Desert,JEA.,38(1952) p. 94.
[7] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٤٥.
[8] فرانسوا دوماس، المرجع السابق، ص ٦٤.
[9] Turner, JEA., 38(1952), pp. 78-79.

وكانت"ممفيس" أول عاصمة لمصر المتحدة عندما وحد الملك"مينا" القطرين . وعلي الرغم من ان البطالمة نقلوا عاصمة مصر إلي الإسكندرية إلا ان ممفيس ظلت هي العاصمة الدينية لمصر، وظل الملوك البطالمة يتوجون فيها فراعنة في معبد الإله بتاح حتى عام(٣٠ ق.م)[١]. كما كانت"تانيس" من أهم العواصم المصرية القديمة التي تمتعت بأهمية استراتيجية كبيرة حتى إنها أصبحت عاصمة لمصر في عهد رمسيس الثاني .وكانت"أتريب" تتمتع بمركز حيوي منذ عصور الفراعنة، إذ تصفها تعاليم الملك"خيتي" بأنها"من المدن وتقع في وسط الدلتا علي الفرع الأوسط للنيل، وهي المركز الرئيسي للطريق الذي يؤدي إلي البلاد الأجنبية". ومن ذلك يتضح لنا أهمية موقع المدينة الذي جعل منها مدينة تجارية هامة فكانت ملتقى التجارة في البر و السفن في النيل [٢].

ومن أهم المدن التي استمدت شهرتها من مكانتها الدينية هليوبوليس صاحبة اقدم مذهب ديني في تفسير نشأة الكون [٣]. هذا فضلا عن موقعها الإستراتيجي الممتاز، إذ كانت تقع عند رأس الدلتا فكانت بذلك تقع في موقع يتوسط الدلتا ونهاية الصعيد حتى هليوبوليس Ηλιοπολιτης في القائمة (β)[٤]. وهو رأي يدعمه" استرابون" [٥].

وهكذا يتضح لنا أن غلب العواصم المصرية لم يكن اختيارها يتم بطريقة عشوائية وإنما بسب تمتعها بأهمية دينية تقليدية فضلا عما كان لبعضها من أهمية استراتيجية وتمتع بعضها الآخر بأهمية تجارية أو بسبب تمتعها بجميع هذه الخصائص معا.

غير انه إذا كانت جذور هذه العواصم تمتد إلي العصور الفرعونية فان بعضها اكتسبت في العصرين البطلمي و الروماني أهمية تفوق أهميتها السابقة، ولعل أبرز مثل لهذا النوع من العواصم هو مدينة"شدت" التي أطلق عليها اليونان أسم"كروكوديلوبوليس" ثم"أرسينوي" فهذه المدينة ورد ذكرها في نصوص الأهرام، مما يدل علي إنها كانت موجودة منذ عصر الدولة القديمة، ولكنها لم تكن حينذاك سوي قرية صغيرة للصيادين، وان كانت قد ازدهرت فيما بعد نتيجة للإصلاحات الكبيرة التي قام بها ملوك الأسرة الثانية عشرة بإقليم الفيوم [٦] . بيد أن الفضل في ظهور هذه المدينة كعاصمة مزدهرة يرجع إلي البطالمة الذين أعجبوا بموقع" شدت" الممتاز فاتخذوها عاصمة لإقليم الفيوم [٧] . ومن المرجح أن الأقسام الثلاثة الكبرى(μεριδες) في الفيوم كانت تقابل تلك العاصمة التي كانت تحتل مكانا متوسطا في المديرية [٨]، مما

---

[١] Diod. I, 50; 33. 13.

[٢] سليم حسن، المرجع السابق، ص ٣٠ .

[٣] عبد العزيز صالح، نفسه، ص ٦٥.

[٤] P.Rev.Laws,p. 48;D.Thomas,The Nome Lists in the papyrus of Revenue Laws, <u>Aeg</u>., 47(1967), p. 218.

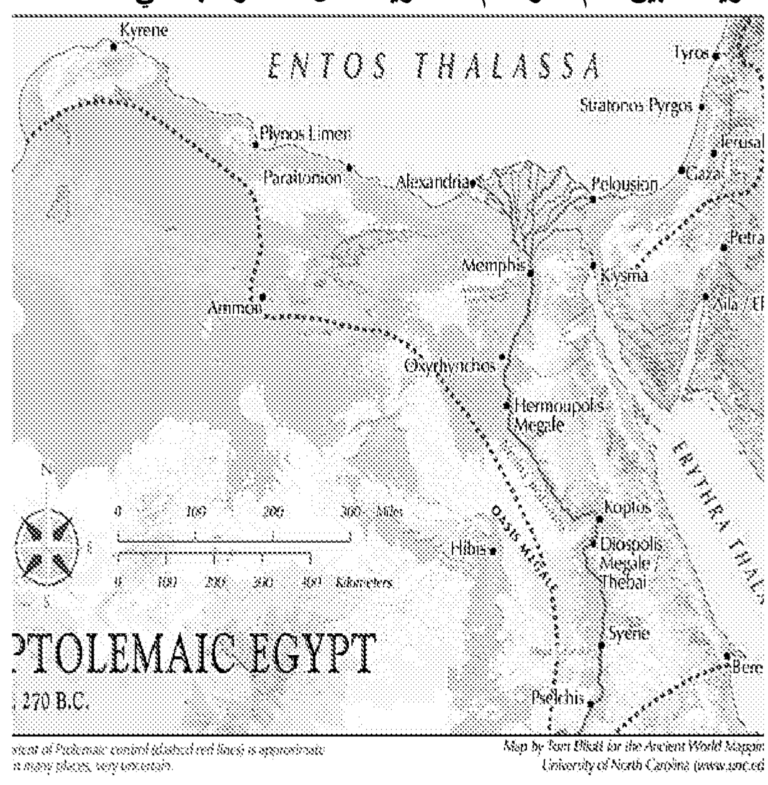
[٥] Strabo,XVII.I,4(p.788):το επι τη κοροφη χωριον Ομωνυμως [i.e. Δελτα] κεκληται δια αρχην ειναι του λεχθεντος σχηματος

[٦] P. Fay. Introd., pp. 4-5.

[٧] Bevan, Op. Cit., p. 115.

[٨] P. Teb.II, p. 350.

سهل اتصالها بأقاليم مصر الوسطي،وبخاصة اوكسيرينخوس و ممفيس[1]،وإزاء المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها" سبك" إله " شدت " وحجيج أتباع هذا الإله إلي معبده الرئيسي تمتعت هذه المدينة بأهميـــة كبيرة [2]. وفيما يلي خريطة تبين أهم العواصم المصرية خلال العصر البطلمي :



سياسة البطالمة الاقتصادية في مصر

كان البطالمة الأوائل يسعون لإقامة دولة مستقلة فى مصر تعتمد فى قوتها على بنـــاء جـــيش كبيـــر وأسطول قوى،و تبعا لذلك فإنهم كانوا فى حاجة إلى زيادة مواردهم الإقتصادية لبناء هذين السلاحين و دفع مرتبات رجالهما . هذا فضلا عن حاجة البطالمة إلى الأموال اللازمة لتحقيق أهدافهم بالطرق الدبلوماســية عن طريق شراء الدول و ذوى النفوذ بتقديم المساعدات و الهبات و الهدايا المختلفة لهم، مثلما حدث عندما قدم بطلميوس الأول إمدادات وفيرة من القمح و المواد الغذائية الأخرى إلى جزيـــرة رودس عنـــدما كـــان ديمتريوس يحاصرها . و لا شك أن بطلميوس الثانى دفع ثمنا باهظا لكسب صداقة أنطيوخوس الثانى. كما أن بطلميوس الثانى عشر دفع الكثير من الأموال و الهدايا للزعماء الرومان للإعتراف بمركزه ، و تثبيته على عرش مصر . و لما كان إجتذاب الإغريق للهجرة و الإستقرار فى مصر، قد أدى إلى زيادة عـــدد

[1] p. Fay. Introd., pp. 12-14.
[2] Gardiner, Bell, The Nome of Lake Moeris, JEA., 29(1943), pp. 40-41

السكان، فقد إزدادت المطالب الواجب توفيرها لسد إحتياجات السكان فى مصر. و فضلا عن ذلك كله كانت مشروعات التعمير والتجميل و بناء مكتبة الإسكندرية تتطلب موارد ضخمة أيضا.

وعلى هذا النحو كان البطالمة فى حاجة ملحة إلى المال اللازم لبناء دولتهم العصرية، و تبعا لذلك لم يكن أمامهم سوى النهوض بمرافق البلاد الإقتصادية،ولاسيما بعد ما أصابها من التدهور نتيجة الثورات و الإضطرابات التى شهدتها مصر أبان حكم الفرس .

و من ثم وجهوا عنايتهم إلى زيادة رقعة الأرض المنزرعة و إستخدام كافة الوسائل الفنية المعروفة فى إستغلال جميع موارد الثورة إلى أقصى حد ممكن . و تنشيطا للتعامل عنى البطالمة بتشجيع إستخدام النقود على نطاق أوسع ،و إنشاء المصارف المالية فى جميع أنحاء البلاد .

أولا : في الزراعة

ا- مقدمة :

لما كانت مصر من قديم الأزل بلدا زراعيا قبل كل شيء يعمل اغلب سكانها بفلاحة الأرض ففد كان الاهتمام كبيرا بالزراعة وبحاجتها دائما إلى وسائل ري جيدة من ترع وقنوات وجسور . وعندما اهتم البطالمة الأوائل بذلك زادت مساحات الأراضي الزراعية في عصرهم[1] ، مما أدى إلي زيادة مواردهم ،و توفيرا الغذاء اللازم لأطعام سكان البلاد و كسائهم و مختلف حاجات معيشتهم . و فى الوقت نفسه لضمان توفير المساحات الواسعة من الأراضى الزراعية التى كانوا في أمس الحاجة إليها لإقطاعها لجنودهم المقدونيين والإغريق لضمان أستقرارهم بصفة دائمة في مصر .

ولما كان النيل عماد الزراعة المصرية،و كانت مساحة الأرض المنزرعة فى مصر و مقدار غلتها يتوقفان على ضبط مياه النيل و حسن تصريفها، فقد عنى حصيفو الرأي من الملوك البطالمة بضبط مياه النيل وحسن تصريفها وما يتطلبه ذلك من تطهير الترع القديمة

وإنشاء ترع جديدة والمحافظة على الجسور[2] ،و صيانة هذه المنشآت .وبذلك أمكن إستغلال الأراضى الزراعية إلى أقصى حد ممكن .

ب - إستصلاح الأراضى الزراعية في الفيوم :

وقد ترتب علي أهتمام البطالمة بالري أستصلاح مساحات كبيرة من الأراض،فإزدادت مساحة الأراضى المنزرعة زيادة كبيرة. ومن أهم الأماكن التى تم إستصلاح أراضيها منطقة الفيوم التى كانت قبل عهد البطالمة يغطى أغلب أراضيها مياه بحيرة عرفت بإسم بحيرة موريس " . وعندما تولى بطلميوس الأول حكم مصر وكان يتطلع إلي توفير أراض لأستقرار جنوده فكر في أستخدم مهارة الإغريق الهندسية في عملية واسعة لتجفيف مياه تلك البحيرة ،و تحويل مساحات واسعة منها إلى أراضى زراعية . و لم تمر سوى

[1] إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج ٣، ١٩٨٨، ص ٤٠.

[2] Wallace, Taxation, p. 1.

سنوات قليلة حتى نقصت مياه هذه البحيرة إلى أقل من النصف و أصبحت البحيرة مقصورة على الجــزء الشمالى الذي يشمل أعمق جزء من النخفض حيث توجد حاليا بحيرة قــارون .
و مما لا شك فية أن أراضى الفيوم إستصلحت بالتدريج و قد تم إستغلالها عن طريق هجرة بعــض الفلاحين المصريين من المديريات المزدحمة بأهلها ، و توجه خاص من الدلتا، لإستغلال أراضى الفيوم . و يحتمل أن هذه الهجرة كانت أحيانا إختيارية، و أحيانا أخرى إجبارية . وكانت الحكومة تتحمل كل نفقــات شق الترع و المصارف الرئيسية، كما تحملت نفقات إستصلاح المساحات
الكبيرة من الأراضى الملكية فى حين أن أرباب الإقطاعات الذين حصلوا على ضــياع مــن الدولــة كــانوا يتحملون نفقات إستصلاح أراضيهم .و قد ترتب على إصلاح أراضى الفيوم إنشاء عدد كبير من البلدات و القرى هناك ،وصلت إلينا اسماء (١١٤) منها ، تحمل (٦٦) منها أسماء إغريقية و (٤٨) أسماء مصرية . و قد إشتقت أسماء بعض بلدات و قرى الفيوم من أسماء أفراد أسرة بطلميوس الثانى مثل بلدة (فيلادلفيا) التى إشتقت إسمها من لقب زوجته و أخته (آرسينوى الثانية) و بلدة فيلوتريس و هو إسم أخت هذا الملك . و فى نهاية عهده ، تغير إسم المديرية بأجمعها من مديرية البحيرة إلى مديرية " اريسنوى " تخليدا لذكرى زوجته بعد وفاتها . كما إشتقت أسماء قرى و بلدات أخرى من أسماء القرى المصرية التى هــاجر منهــا الفلاحين المصريين لزراعة أراضى الفيوم بعــد إستصــلاحها ،وبصــفة خاصــة بعــض قــرى الــدلتا .

ج - إدخال الوسائل العلمية في الزراعة

و قد إهتم البطالمة بإدخال وسائل علمية حديثة فى الزراعة كان أهمها إستخدام الساقية و الطنبور لرفع المياه إلى الأراضى المرتفعة. و كانت هاتان الآلتان من إختراع العلماء الإغريق . كما إهتموا بوضع نظام دقيق للدورة الزراعية بحيث لا تزرع الارض زراعة ثقيلة ثلاثة أعوام متتالية. فكانوا يقسمون الأرض إلى ثلاثة أقسام، يزرع قسمان منها بالقمح أو الذرة أو الشعير ، و القسم
الثالث يزرع بمحصول خفيف مثل علف الماشية، ثم تتناوب هذه الأقسام الزراعية الثقيلة والخفيفة . وكان الزراع يستخدمون أنواعا مختلفة من السماد الطبيعى مثل روث الحمام و البهائم و التراب القديم.و قد عنى البطالمة بإستخدام الحديد فى صناعة الأدوات الزراعية مثل الفأس و المحراث و المنجل المقوس الذى كان يستخدم فى قطع سنابل القمح . و كانت أغلب هذه الأدوات خلال العصر الفرعونى تصــنع مــن الخشــب فأصبحت خلال العصر البطلمى تصنع كلها أو أغلب أجزائها من الحديد الذى أهتم البطالمة بإستيراده بكميات كبيرة.

و نتيجة لجهود البطالمة فى النهوض بالزراعة فى مصر زاد إنتاج المحاصيل الزراعيــة، و خاصــة القمح و الحبوب و أصبحت مصر تبعا لذلك من أكبر مصدرى القمح فى العالم الهللينيستى. و كذلك الزيتون و الحبوب الزيتية نتيجة ‘حتكار الحكومة صناعة الزيت من السمسم و ثمار الخروع و القرطم و الحنظل و الكتان، و قد ساعد على كثرة زراعة الحبوب الزيتية إتساع مساحة الأراضى التى أصلحت و كانت مــن

أنسب الأراضى لزراعة هذه الحبوب . هذا فضلا عن خبرة الإغريق بزراعة الفاكهة و الكروم و كان للإغريق دور هام فى زراعتها على نطاق واسع فى مصر.و قد شجعت الحكومة زراعة الكروم فى مصر لسد إحتياجات الإغريق إلى النبيذ ولأن الحكومة كانت تجنى من وراء زراعته ضرائب وفيرة . و قد أدخل البطالمة أنواعا جديدة من الفاكهة فى مصر مثل التين و الرمان و المشمش و بعض أنواع الكروم .

و كان من بين أسباب إهتمام البطالمة بغرس أشجار الفاكهة فى مصر هو إفتقارها للأخشاب اللازمة لبناء البيوت و السفن ، ولذلك عنى البطالمة بزراعة بعض أنواع الأشجار ذات الأخشاب الممتازة، مثل أشجار الصنوبر، و على الرغم من ذلك كان البطالمة يستوردون الجانب الأكبر مما تحتاج إليه البلاد من الأخشاب.وقد عنى البطالمة أيضا بزراعة الثوم و تحسين زراعة الكرنب المصرى ، كما أكثروا من زراعة الأزهار و الورود التى كانوا يعشقونها ، هذا فضلا عن النباتات العطرية . ولا يقل أهمية عن كل ما ذكرناه نبات البردى الذى كانت مصر نصنع منه الورق و تبيعه للعالم أجمع .

د - نظام الأراضى فى مصر البطلمية

كان البطالمة يعتبرون مصر ضيعة خاصة لهم آلت إليهم بحق الارث عن الإسكندر و حق الفتح بعد أن تغلب بطلميوس الأول على "برديكاس" المفوض العام للإمبراطورية المقدونية، و حق الملوك الآلهى بإعتبارهم الخلفاء الشرعيون للفراعنة الذين كانوا يملكون أرض مصر و ما عليها . و قد ورد نقش على جدران معبد إدفو يروى كيف أن الأراضى المنزرعة من الفنتين حتى البحر قد أهداها الإله حورس إلى إبنه الملك حورس الحى بطلميوس.

و قد قسم البطالمة الأراضى الزراعية فى مصر إلى أنواع فقاموا بعمل سجل دقيق لكافى أراضى مصر يتجدد كل عام و يقوم به عمدة كل قرية و كاتبها تحيت إشراف الكاتب الملكى ، و على أساس دراسة حالة الأراضى فى كل قرية وما يزرع فى أراضيها

و الظروف التى يمكن أن تؤثر فى غلتها كانت تعد التقارير التى تتخذها الإدارة المركزية فى الأسكندرية أساسا لما يجب تحصيله.

وخلال العصر البطلمى كان يوجد نوعان رئيسان من الأراضى هما أرض الملك (ge basilike) وكان الملك يستثمرها مباشرة ، و ارض العطاء (ge en aphesei) وهى التى وهبها الملك لأشخاص آخرين و بذلك إنتقل إليهم من الملك و عماله تعهدها المباشر ، و هذا النوع الاخير إنقسم إلى عدة أنواع هى أرض المعابد و إقطاعات الموظفين و إقطاعات العسكريين و ارض المدن و فيما يلى عرض موجز لكل نوع من هذه الانواع:

١- ارض الملك ge basilike

وكانت تتكون أصلا من أملاك القصر الملكى فى العصر الفرعونى التى آلت إلى الملك البطلمى ، و كذلك من أراضى الأمراء المصريين السابقين . و جميع الأراضى التى هجرها أصحابها لأى سبب من

الأسباب. وكان يدير هذه الاراضى تؤجر بالمزاد العلنى لقاء جانب كبير من المحصول ، و لم يكن المستأجر حرا فى زراعة أرضه كما يتراءى له بل وفقا للتعليمات الخاصة التى كانت الحكومة تصدرها كل عام لتحدد المساحة التى يجب زراعتها فى كل مديرية و نوع المحصول . وكان مزارع الملك تحت رقابة مستمرة طوال موسم الزراعة. و لضمان حسن إستغلال أراضى الملك كان يوفر لمزارعيه كل الوسائل التى تكفل ذلك : و هى الأدوات الزراعية و الماشية و البذور و قنوات الرى و الصرف .

وكان نصيب الملك من محاصيل أرضه ليشمل الإيجار السنوى و يدفع حبوبا غذائية بجانب نفقات إستهلاك الأدوات الزراعية التى قدمها الملك للمزارعين ، و أجر إستخدام مواشى الملك ، فائدة قدرها (٥٠%) على البذور التى أجبر المزارع على إقتراضها من الدولة هذا فضلا عن ضرائب أخرى متعددة مثل ضريبة الأردب و ضريبة المعابد و ضريبة مسح الأرض و غيرها .

وعادة كان لا يتبقى للمزارع بعد الوفاء بهذه الإلتزامات إلا أقل من نصف المحصول ، فلم يحتفظ المزارع الملكى فى أحسن الأحوال إلا بأربعة أو خمسة أرداب عن كل ارورة ، و لما كان غذاء الرجل الواحد فى العام يتطلب نحوا من عشرة أرادب، فإنه كان يتعين عليه زراعة أرورتين من الأراضى الجيدة لضمان هذا الغذاء.

و نظرا لأن الشروط التى تتضمنها هذه العقود كانت مجحفة بالمزارعين فكثيرا ما عجزوا عن تنفيذ شروط العقد و لجأوا إلى الفرار من الأرض، بشكل فردى مما أدى إلى قيام الحكومة بإجبار الأهالى على زراعة الأرض الملكية بشكل جماعى ، و نتيجة لهذه المسئولية الجماعية، كان العبْ المترتب على هجرة المزارعين يقع على عاتق الذين يبقون فى قراهم.

أرض المعابد : ge hiera

كانت ثروة المعابد فى عهود الفراعنة و فى عصر البطالمة نوعين هما :

١ - أراضى الآلهة

وقد كان الملك البطلمى بوصفه الها حيا يمثل الآلهة على الأرض ، هو المسئول عن إدارة أملاك الآلهة. و بالفعل كان عمال الملك يديرون هذا النوع من الأراضى عى نمط أراضى الملك، و كان دخلها يعتبر جزءا من دخل الملك.

و لا شك فى ان الكهنة لم يرضوا عن إسناد إدارة أراضى المعابد إلى الحكومة، لأن هذا النظام حرمهم من حقهم القديم فى الإشراف على المعابد ، بل وأصبح رجال الدين أنفسهم تحت رحمة الحكومة فيبسطوا لهم أيديهم أو يكفوها حسب موقف الكهنة منهم.

وقد إزدادت مساحة أراضى المعابد على مر الزمن، نتيجة لمنح البطالمة الذين أرادوا إستغلال عواطف المصريين الدينية لتوطيد عرشهم . فضلا عن أن البطالمة المؤهلين بوصفهم فراعنة، كانوا يقرنون فى كل المعابد المصرية بالآلهة التى أقيمت هذه المعابد من أجلها . وعلى هذا النحو كلما أنشئت عبادة فرعون (

بطلميوس) جديد كان يتعين أن يزاد الدخل الذى ينفق فى إقامة هذه العبادة ، و تبعا لذلك فإنه كان يتعين زيادة مساحة الأراضى المقدسة . هذا بالإضافة إلى أن الأفراد أيضا كانوا يقدمون هبات كثيرة للمعابد ،وهي الأراضى التى كانت بحوزة الكهنة و يتمتعون بدخلها .

٢ - أرضي المعابد ge heira

كان للمعابد قديما أملاك خاصة ، و كانت المعابد المصرية الكبرى واسعة الثراء نتيجة لما تجمع لها من هبات الملوك و أوقاف الأفراد على مر القرون .

وقد لجأ البطالمة للسيطرة على هذه الأملاك بإعتبار أن الملك البطلمى بوصف كونه ممثل الآلهة على الأرض هو المسئول عن إدارة أملاك الآلهة، فوضعوا هذه الأملاك تحت إشراف الدولة المباشر. فكان عمال الملك يديرون هذا النوع من الأراضى على نمط أراضى الملك و كان دخلها يعتبر جزء من دخل الملك ، فى مقابل قيام الدولة بالأنفاق على المعابد و الكهنة . و على هذا النحو اصبح رجال الدين أنفسهم تحت رحمة الحكومة فيبسطوا لهم أيديهم أو يطفوها حسب موقف الكهنة منهم.

و رغم هذه السياسة التى كان طابعها التضييق المالى على المعابد، فإن هبات الملوك السنوية كانت سخية عادة ، كما أن بعض المعابد و بعض الكهنة تمتعوا بإعفاءات مختلفة من الضرائب كانت تثقل كاهل المصريين بدخلها نظير قيامهم بشئون العبادة ، فقد كان يتصل ببعض مناصب الكهنة موارد كانت تدر على شاغليها دخلا معينا . مثال ذلك الموارد الخاصة بمناصب المعبرين عن النبوءات و أيام الطقوس الدينية و تربية الحيوانات المقدسة .

ومن الثابت أنه فى عصر البطالمة كانت الحكومة هى التى تبيع مناصب الكهنة و ما يتبعها من الموارد دون إعطاء المشترين حق التصرف فى هذه الموارد ، وكان المشترون يدفعون ثمن هذه

المناصب فى الخزائن الملكية . وإن كان البعض الآخر من الكهنة كانوا يتصرفون فى مناصبهم . وبمضى الزمن درج الكهنة على بيع موارد مناصبهم و رهنها و تأجيرها و تقسيمها و توريثها ، أى أنه بمضى الزمن تحول تمتعهم بها إلى ملكية خاصة .

ومن ناحية أخرى كان الكهنة الذين يسيطرون على معبد يحق لهم أن يجبوا مباشرة ضريبة من كل مزارعى الملك فى القرية التى يقع فيها المعبد.

٣.أراضى الإقطاعات العسكرية

أملت سياسة البطالمة الأوائل الخارجية عليهم إنشاء جيوش كبيرة من المقدونيين و الإغريق . وما لم يكن من الحكمة تسريح الجيش بعد كل حرب و إعادة تكوينه قبل الحرب التالية و كذلك لم يكن من الحكمة الإحتفاظ بقوات كبيرة فى وقت السلم فقد لجأ البطالمة غلى منح الجنود المتطوعين فى خدمتهم إقطاعات

يكون دخلها بمثابة مرتباتهم وقت السلم . و لكى يتخذ الجنود من مصر وطنا لهم، فتنشأ بينهم و بين الملك علاقات قوية دائمة، و بذلك يستطيع البطالمة الإعتماد عليهم دائما فى تكوين جيوشهم و تأييد ملكهم .

ويبدو أن نظام منح الجنود البطالمة إقطاعات من الأراضى قد بدأ فى عهد بطلميوس الأول،و لكن هذا النظام لم يكتمل إلا على عهد بطلميوس الثالث .

وعادة ما كانت الأراضى التى تمنح إقطاعات تمنح من أراضى الملك بأدق معنى للكلمة ، و كذلك من الضياع . غير أن أغلب هذا النوع

من الأراضى منح من الأراضى التى تم إستصلاحها و بصفة خاصة فى الفيوم، و لكن إستصلاح الأراضى لم يكن مقصورا على الفيوم وحدها بل إمتدت إلى مناطق أخرى فى الدلتا، فإذا كنا نتبين من الوثائق البردية أن أكبر مجموعة من أرباب الإقطاعات العسكرية كانت تنزل فى الفيوم، فإن الأدلة أيضا وفيرة على إنتشارهم فى طول البلاد و عرضها ، و يبدو أنه حيثما تعذر منح أراض مستصلحة كانت الإقطاعات تمنح من أرض الملك الصالحة للزراعة.

بيد أنه منذ أواخر الثالث ق.م تدهورت الزراعة قرر البطالمة عدم منح الاراضى الصالحة للزراعة إقطاعات فاصبح لا يستخدم لهذا الغرض عادة إلا الأراضى الجافة أو أراضى المراعى .

ومنذ معركة رفح ٢١٧ ق.م توسع البطالمة فى منح الإقطاعات إلى المحاربين المصريين، غير أن مساحة هذه الإقطاعات كانت بوجه عام أصغر من مساحة إقطاعات الإغريق.

وكانت مساحة الإقطاع تتوقف على مركز صاحبه فى الجيش إذ أنها تختلف بحسب مرتبة الشخص و هل هو فى فرق المشاه أم فى فرق الفرسان و هل هو فى الجيش النظامى أم فى فرق الجنود المرتزقة أم فى الفرق المصرية.

وخلال القرن الثالث كان أرباب الإقطاعات ينقسمون إلى الطبقات التالية التى إشتق إسمها من عدد الأرورات التى كانت فى حيازة كل جندى ،و هذه الطبقات هي :

١ – أرباب المئة أرورة ، و كانوا من فرسان الفرق القومية ذات الارقام و مشاة الحرس الملكى .

٢ – أرباب السبعين أرورة، و كانوا من فرسان الفرق القومية .

٣ – أرباب الثلاثين أرورة، و كانوا من المشاه العاديين .

٤ – أرباب الخمس ارورات، وكانوا من الجنود المصريين .

بيد أنه فى خلال القرن الثانى قبل الميلاد طرأ على نظام منح الإقطاعات العسكرية بعض التعديلات كان أهمها نقص المساحة الحقيقية لإقطاعات الجنود الإغريق فقد أصبحت تتراوح بين (٥٠) و (٣٠) أرورة ،و زيادة مساحة إقطاعات الجنود المصريين ، فقد أصبحت تتراوح بين (٣٠) أرورة و (٥) أرورات ، أى

أن الفرق الشاسع الذى كان يفصل بين الفريقين فى القرن الثالث قد تضاءل كثيرا فى القرن الثانى، وذلك نتيجة سياسة العطف نحو المصريين التى إضطر البطالمة إلى إتباعها منذ عهد بطلميوس الرابع .

وكان رب الإقطاع مسئولا أمام الحكومة عن زراعة إقطاعه و كان خاضعا لرقابة دقيقة من رؤسائه و موظفى الحكومة . وكانت تطبق عليه قاعدة الحصول على البذور من الحكومة بوصفها قرضا. غير ان رب الإقطاع كان أكثر حرية من مزارع الملك فى إدارة أرضه لأن التعليمات الخاصة بتنظيم الزراعة كانت لا تطبق على الإقطاعات و العسكرية إلا فيما يتعلق ببعض الزراعات مثل الحبوب الزيتية . وفيما عدا ذلك فإن رب الإقطاع كان حرا فى زراعة أرضه كما يتراءى له .

و فى البداية كان الإقطاع ملكا للدولة يستطيع الملك ان يسترده فى أى وقت و لا سيما إذا أهمل رب الإقطاع فى أداء واجباته . و كان رب الإقطاع لا يستطيع بيعه ولا رهنهه ولا توريثه ، و لذلك فإن الإقطاعه عند وفاة ربه ، كان يؤول ثانية إلى الدولة ، غير أن صوالح الملك وارباب الإقطاعات أدت إلى جعل حيازة الإقطاع وراثية فى الواقع ،و إن لم تكن كذلك قانونا . فقد كان من صالح الملك أن يخلف رب الإقطاع المتوفى جندى جديد فى الجيش و فى الإقطاع لكى يضمن إحتفاظ الجيش بقوته و إستمرار زراعة الأرض، وكان من صالح أسرة رب الإقطاع أن تستمر فى إستغلال الإقطاع ، و تبعا لذلك كان من الطبيعى أن يفضل البطالمة أبناء جنودهم السابقين ليحلوا محل اباءهم فى الجيش و الإقطاع . وشيئا فشيئا تحولت الإقطاعات العسكرية بمرور الزمن من كونها منحة مؤقتة من الملك إلى أن أصبحت فى الواقع ملكية خاصة لأصحابها حق البيع و التوريث و الهبة . ونعلم من بعض الوثائق أن حق وراثة الإقطاع قد امتد إلى أقرب أقارب صاحب الإقطاع المتوفى منذ القرن الأول قبل الميلاد، حتى أننا نجد إقطاعا في حيازة امرأة . وفي عام (٦٠/٥٩) قبل الميلاد صدر قرار ملكي بمنح الفرسان من أصحاب الاقطاعات المستوطنين في مديرية هيراكليوبوليس امتيازا هاما يتمثل في انه :"إذا توفى أحد أرباب الاقطاعات الفرسان دون أن يترك وصيه فان اقطاعه ينتقل إلى أقرب أقاربه كما هي حال أرباب الاقطاعات الفرسان في مديرية ارسينوى"[١] . بيد أن ذلك لم يكن يعنى أن هذه الأرض أصبحت ملكية خاصة بدليل صدور هذا القرار الملكي الذي ينظم الحيازة، ولو أن هذه الأرض كانت ملكيتها خاصة لما أصدرت الدولة هذا القرار ولتركت تنظيم وراثتها يسير وفقا للقانون العام .

٤ - أراضى الهبات

و هذه الأراضى نوعان ، كان أحدهما عبارة عن أراضى يعتبر دخلها بمثابة مرتب موظف الحكومة الذى منح هذه الأرض .

---

[١] إبراهيم صبحي، المرجع السابق، ج ٣، ص ١٩.
Cf. BGU. 1158, *Col.ii,16-19*; 1734;1261

و أما النوع الآخر فهى عبارة عن الضياع الكبيرة التى منحها البطالمة لكبار موظفيهم المدنيين و العسكريين كنوع من المكافأة على خدماتهم و توكيد الصلة بين هؤلاء الأشخاص و الملك و إستغلال رؤوس أموال و كانت أرضى الهبات بنوعيها تتضمن أرضا فقط أو أرضا و قرية أو ارضا و عدة قرى . ومن أشهر هذه الضياع الكبيرة ضيعة ابوللونيوس وزير مالية بطلميوس الثانى ، فى قرية فيلاديفيا فى الفيوم ، و عندما فقد هذا الوزير منصبه فقد أيضا ضيعته.وكانت هذه الأراضى هبات شخصية لا يمكن توريثها و إنها كانت تتصل عادة بالمنصب الرفيع الذى يشغله صاحبها فى الدولة . وبما أن الضيعة كانت هبة شخصية من الملك فإنه كان يستطيع أن يستردها فى أى لحظة .

وتشير الوثائق الخاصة بضيعة ابوللونيوس إلى ان الأراضى الصالحة للزراعة فى هذه الضيعة كانت تعتبر مثل اراضى الملك ، و تدفع كل ما هو مفروض على أراضى الملك بوجه عام،من إيجارات و ضرائب . و كان حائز الضيعة لا يستولى على نصيبه إلى بعد أن تستولى الحكومة على نصيبها من الإيجار و من الضرائب المستحقة لها .ويبدو أن أراضى الضياع التى كانت فى دور الإصلاح ولا تغل محصولا كانت معفاة من الضرائب.

ثانيا : الإهتمام بتربية الحيوان و الطيور

و قد وجه البطالمة عنايتهم إلى مسألة أخرى تتصل بالزراعة إتصالا وثيقا و هى تربية الحيوانات التى كان لا يمكن الإستغناء عنها فى الأعمال الزراعية مثل الحرث و إدارة آلات الرى المختلفة و نقل المحاصيل . هذا فضلا عن أهمية هذه الحيوانات فى تقديم اللحوم و الألبان و الأصواف اللازمة للسكان بجانب أنها كان تقدم قرابين للآلهة مثل العجول و الأغنام و المعيز و الخنازير و الحمام و الأوز .

وقد ساعد البطالمة على النهوض بتربية الماشية فى مصر وفرة المراعى فى البلاد وبالتالى توافر المواد الغذائية للماشية . و قد حرض الملك على كافة أنواع الماشية فى البلاد و كذلك على رعاية صغارها حيث كانت تحفظ فى زرائب خاصة تحت إشراف إخصائيين مسئولين ،و تغذى على نفقة القرى التى تقوم فيها هذه الزرائب .

ويبدو أن البطالمة قد إهتموا أيضا بالخيل لإستخدامها فى النقل و الصيد و بوجه خاص فى الحروب . و قد عمل البطالمة على جلبها من الشام و بلاد العرب و قورينى، بيد أنه لما كان ذلك يكلفهم الكثير من المال، فقد عملوا على الإكثار من تربيتها . وكانت خيول الملك توزع على فرسانه الذين كانوا يتولون العناية بكافة شئونها . ولا شك فى أن الرغبة فى الحصول على أنواع جيدة من الصوف كانت سببا فى إستقدام أنواع جديدة من الأغنام وفى العناية بتربيتها .

ومن المعروف أن لحوم الخنازير كانت من الأطعمة المفضلة لدى الإغريق وكـــان مـــن المستحســـن تقديمها في المآدب مع النبيذ المعتق والزيتون الأسود وغيرها من المواد المحببة لدى الإغريق . كما كانت تقدم قرابين في أعياد"ارسينوى" و"ديميتر"، وذلك فضلا عن استخدام الخنازير في الزراعة[1].

وكان للحمام أهمية كبرى في اقتصاد مصر الزراعي ،و ذلك لسببين أحدهما هو أن الحمام كان ارخص وأشهى أنواع الترف في غذاء الأهالي ،والسبب الأخر هو أن الحمام كان ينتج كميات كبيرة مـــن الســـماد الجيد ،ولذلك فانه كان للحمام أبراج كثيرة تشغل حيزا كبيرا في القرى المصرية فـــي عصـــري البطالمـــة والرومان[2].

كما كانت تربية النحل هامة جدا لا فى مصر فقط بل كذلك فى العالم القديم بوجه عام لأن القدماء كانوا يستخدمون عسل النحل مثلما نستخدم السكر اليوم . هذا فضلا عن أهميته فى شفاء بعض الامراض مثـــل أمراض العيون [2]. و تحدثنا وثائق زينون مدير ضيعة أبوللونيوس وزير مالية بطلميوس الثانى أنه كـــان لدى أخوين إغريقيين الف خلية نحل فى مديريتى " هيراكليوبوليس" و" منف " . وبرغم ذلك كان البطالمـــة يستوردون أنواعا معينة من العسل من الخارج وبصفة خاصة من أقليم أتيكا .

ثالثاً - أهتمام البطالمة بالصناعة

وقد أدي سيطرة البطالمة علي الأراضي الزراعية والمراعي إلي توفر كميات كبيرة لدي الحكومة من المواد الخام الازمة لعدة صناعات مثل الحبوب الزيتية لأستخراج الزيت والجعة لعمل الشعير ،والكتان لعمل المنسوجات والأغنام للمنسوجات الصوفية مما شجع الحكومة البطلمية علي أحتكار تلك الحرف بهدف جمع أكبر قدر ممكن من الثروة وأنفاق أقل قدر ممكن من الأموال التي يمكن أنفاقها في أستيراد ما يحتاجون إليه من الخارج حتى يصبح الميزان التجاري فـــي صـــالحهم . وتبعـــا لـــذلك يـــتمكن البطالمـــة مـــن تـــوفير الأموالوالثروات اللازمة من أجل بناء الإمبراطورية القوية التي كانوا يحلمون بتكوينها . ولتحقيق أهـــداف هذه السياسة الأقتصادية وضع البطالمة أسس أحتكار بعض الصناعات التي كـــان محرمـــا علـــي الأفـــراد ممارستها .

ومن المعروف أن البطالمة احتكروا صناعة الزيت في مصر[3]، ففي حين أن الحكومة فرضت علـــي مصانع الزيت التي تمتلكها المعابد ألا تنتج أكثر من أحتياجاتها من زيت السمسم ووضعتها تحت أشـــراف دقيق ،قامت الحكومة بمصادرة مصانع الزيت التي كانت ملكاً لبعض الأفراد و حظرت على أي شـــخص أن يحرز أية مطاحن أو معاصر أو أي نوع من الأدوات التي تستخدم في استخراج الزيت،وإلا فرض عليه أن

---

[1] **Wallace, Op. Cit., p. 144.**

[2] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج ٣، ص ص ٢٩٤-٢٩٥.

(2) P.Cair.Zen.III,59426(B.C.265)

[3] **P. Rev. Laws, *col., 44ff.*; P. Teb. 703; Wallace, Op. Cit., pp. 184-5.**

يدفع للخزانة العامة خمسة تالنتات وللملتزم خمسة أضعاف الخسارة المترتبة على ذلك، وعلي هذا النحـــو أحتكر البطالمة صناعة و تجارة الزيت[١].

وكان استخراج الجعة من الشعير من أهم الصناعات في مصر لأن الجعة كانت شرابا شعبيا يســتهلك بكثرة بسبب طقس مصر الحار،وخلال العصر البطلمي كان بائعو الجعة (ζυτοπολαι) عادة هم صانعيها (ζυτοπολας) ،وكان هؤلاء ملتزمين يرتبطون مع الحكومة بعقود مكتوبة ،وذلك لان الاشــتغال بهــذه الحرفة خلال العصر البطلمي كان احتكارا ملكيا . وتشير القرائن إلى أن الأهالي كانوا يــدفعون للحكومــة ضريبة لقاء تمتعهم بحق شراء الجعة[٢] . وذلك فيما يبدو على غرار الضريبة التي كانــت تفــرض علــى مشترى أية سلعة تحتكر الدولة إنتاجها، مثل الزيت[٣] والنطرون والملح[٤].

وكانت صناعة نسج الكتان من الصناعات التي لم يكن لمصر فيها منافس، فاكتسبت شهرة واسعة منذ أمد بعيد [٥]. وقد وجت ثلاث أنواع من المصانع التي تنتج الكتان في مصر خلال العصر البطلمــي : وهــي مصانع الحكومة ومصانع المعابد والمصانع الخاصة أو نسيج الأفراد في المنازل . وكانت الحكومة تفرض علي المعابد والأفراد أن يقدموا لها في كل عام كمية معينة من المنسوجات الكتانية المختلفة . وفيمــا عدا ذلك كانت مصانع المعابد والأفراد حرة في أنتاجه وبيعه .

ومنذ عهد البطالمة أخذت صناعة المنسوجات الصوفية تكتسب أهمية مطردة في مصر بسبب وجــود الإغريق الذين أعتادوا لبس الصوف . ويبدو أن الحكومة لم تحتكر هذه الصناعة ولم يخضع أنتاج الصوف لرقابة الحكومة الشديدة [(٥)] .

كما أهتم البطالمة بالتعدين وبصفة خاصة لأستخراج الذهب من المناجم المصرية الموجودة بالقرب من بلاد النوبة ،وكان البطالمة يستخدمون المجرمون وأسرى الحروب في الأعمال الشاقة بالمناجم تحت أشراف بعض الخبراء . ولكن يبدو أن استخراج الذهب كان شاقا وعسيراً وأن أنتاجها كان قليلا لا يفــي بحاجــة البطالمة لسك العملات الذهبية مما دفعهم إلي بسط نفوذهم علي الأقاليم الغنية بهذا المعــدن ،فضــلا عــن أهتمامهم بتصدير السلع المصرية إلي الخارج للحصول في مقابلها علي الكميات اللازمة من الذهب .

كذلك أزدهرت في عصر البطالمة عدة صناعات أشهرها صناعة الورق من نبات البردي، يدل علي ذلك العثور علي آلاف الأوراق البردية المصرية في داخل البلاد وخارجها حيث كانت كانت مصر تصــدر هــذا الورق لأغلب أنحاء العالم الهلينستي والروماني . فضلا عن أنتشار صناعات أخرى مثــل صــناعة قطــع الأحجار ،وأستخراج الملح ،و صناعة الفخار والزجاج ،وصناعة الجلود .

ثالثًا : سياسة البطالمة الاجتماعية

[١] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج ٣، ص ص ٢٥٠ ومابعدها، ص ص ٣٠٦، ص ص ٣١١ وما بعدها .

[٢] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج ٣، ص ص ٢٦٩-٢٧١.

[٣] إبراهيم نصحي، المرجع نفسه، ص ٢٥٨.

[٤] إبراهيم نصحي، المرجع نفسه، ص ٢٧٨.

[٥] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج ٣، ص ص ٢٦ و ٢٥٩.

[(٥)] مصطفي العبادي ،المرجع السابق ،ص١٣٩.

لما كان البطالمة قد أولوا الأغريق و المتأغرقين الذين كانوا يعيشون في مصر عناية خاصة، فأنـــه يجمل بنا ألقاء نظرة عاجلة عليهم منذ أن استقروا في مصـــر. فمنـــذ حـــوالي عـــام(٧٢٥ ق . م) اخـــذ تجار"ميليتوس" يترددون بكثرة علي مصاب نهر النيل وبخاصة المصب الغربي عند"كانوب"، وعلي مقربـــة من"سايس" أسس تجار"ميليتوس" محلة لهم عرفت باسم قلعة أهـــل ميليتـــوس، وعنـــدما ازداد اتســـاعها أصبحت تعرف في عهد الفرعون"ابسماتيك الأول" باسم"نقراطيس" وبفضل الثروة التي عادت علي مصر من تجارة الإغريق تمكن"ابسماتيك" من استخدام أعداد كبيرة من الجنود المرتزقة الإغريق ساعدوه علي توطيد مركزه في مصر. وقد أقام"ابسماتيك" لهؤلاء الجنود معسكرين أحدهما في"ماريا" بالقرب من"كانوب" والآخر في"دفنه"(بالقرب من برزخ السويس) وأباح"ابسماتيك" للإغريق أن ينشئوا مؤسسات في"سايس" و"كانوب". وقد كان من شأن العطف الذي أبداه"ابسماتيك" وخلفاؤه علي الإغريق إثارة عواطف المصريين ممـــا حـــدا بالفرعون"اماسيس"(٥٦٩ – ٥٦٦ ق.م) إلي أن يأمر بأن ينزل في " نقراطيس " جميع الإغريق المـــدنيين المقيمين في مصر ومنذ ذلك الحين أصبحت " نقراطيس " مدينة إغريقية حرة (πολις) . [١]

وقد تضاعفت أعداد الإغريق في مصر في أعقاب الفتح المقدوني عندما فتح البطالمة أبواب مصر علي مصارعها للإغريق.

ذلك أن البطالمة الأوائل كانوا يرون أن تحقيق أطماعهم الخارجية بل المحافظة علي كيان دولتهم يقتضي أن يكون لهم جيش و أسطول قويان يتألفان من الإغريق، مما كـــان يســـتوجب النهـــوض بمرافـــق الـــبلاد الاقتصادية واستغلالها استغلالا منظما تحت إشراف إدارة مالية يقظة، والاعتماد علي أعوان مخلصين من الإغريق وما يتوافر لديهم من رؤوس الأموال وكذلك الخبرات بأحدث الأساليب الاقتصادية ونظـــم التجـــارة السائدة في عالم البحر المتوسط [٢].

وإزاء هذه الاعتبارات لم يكتف البطالمة بفتح أبواب مصر علي مصارعها للإغريق، بل اجزلوا لهـــم العطاء واختصوهم بمركز ممتاز في وطنهم الجديد ليضمنوا استمرار وفودهم علي مصر بكثرة واستقرارهم فيها علي الدوام فأشركهم البطالمة في حكم البلاد وأصبحوا يتولون ارفع المناصب ويســـتمتعون بخيـــرات البلاد ويشكلون الطبقة العليا فيها[٣].

وكان الإغريق ينزلون إما في المدن الثلاث الإغريقية (نقراطيس والاسكندرية وبطلمية) حيث كـــان لا يعتبر من سكانها الإغريق مواطنين (πολιται) إلا من توافرت لديهم مؤهلات معينة، و إما فـــي الريـــف حيث كانوا عند توافر عدد كاف منهم يؤلفون جماعات قومية (πολιτευματα)منظمـــة ع[٤]لـــي النســـق

---

[١] Barns; Egyptian and Greeks, pap. Brux., 14(1978), p. 7.
إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج ١، ١٩٨٠، ص ص ٢-٥.

[٢] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج ٤، ١٩٨٨، ص ص ١٠٧-١٠٨.

[٣] إبراهيم نصحي، تاريخ التربية والتعليم في مصر، ج ٢، ص ص ٨ وما يليها.

الإغريقي ولكل منها مقرها الذي لم يخل حتى في القرى من جيمنازيوم، فقد كان الجيمنازيا (γυμνασια) منتديات رياضية وفي الوقت نفسه

المراكز الثقافية والاجتماعية للإغريق أينما وجدوا سواء في المدن الإغريقية (πολεις) أم في خارجها. وتبعا لذلك فان هؤلاء الإغريق سواء في المدن الإغريقية الحرة (πολεις) أم في الريف (χωρα) ظلوا يعتبرون أنفسهم هللينيين ذوي حضارة رفيعة وينظرون إلي المصريين علي أنهم عنصر متبربر ادني منهم منزلة وحضارة ويختلفون عنهم في أسلوب حياتهم وعادتهم وتقاليدهم الإغريقية[١].

أما المصريون فكانوا بطبيعة الحال الأغلبية الساحقة وعماد الحياة الاقتصادية في البلاد، بيد أنهم كانوا في مركز المغلوب علي أمره، وانحصر دورهم في العمل والإنتاج في شتي المجالات تحت إشراف الإغريق. وقد عصف البطالمة بالأرستقراطية المدنية وعملوا علي تحجيم نفوذ الأرستقراطية الدينية وحرموا المحاربين المصريين شرف الاشتراك في معاركهم حتى معركة رفح في عام(٢١٧ ق.م.) ،وقصروا أغلب المناصب سواء في الإدارة العامة أم في الإدارة المالية علي الإغريق،ولكن بعد انتصار المصريين في معركة رفح(٢١٧ ق.م.) ،واشتعال لهيب الثورات القومية اضطر البطالمة إلي النزول عن صلفهم وجبروتهم والنظر بعين جديدة إلي المصريين فبدءوا يعيدون إلي رجال الدين بعض امتيازاتهم ويفتحون الباب أمام المصريين لتولي بعض المناصب الهامة في القصر وفي الإدارة فنسمع خلال القرن الثاني قبل الميلاد بأن مصريا يدعي"باؤس"يلقب" بقريب الملك وقائد منطقة طيبة" [٢].

وفي الشطر الثاني من عصر البطالمة أفضت عدة عوامل إلي حدوث قدر من التقارب بين العنصرين المصري والإغريقي. وأحد هذه العوامل هو السياسة الجديدة المشربة إلي حد ما بروح العطف نحو المصريين، وهي السياسة التي اضطر البطالمة الأواخر منذ عهد بطلميوس الرابع إلي إتباعها[٣]. والعامل الثاني هو انقطاع وفود أفواج جديدة من الإغريق منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد[٤]. والعامل الثالث هو أن الإقطاعات العسكرية أصبحت منحا وراثية مما حفز أربابها،وقد أصبحت لهم مصالح دائمة في البلاد علي مداراة المصريين [٥]. والعامل الرابع هو تأغرق كثيرين من المصريين وتأقلم كثيرين من الإغريق[٦].

وقد نشأ عن هذا التقارب تكوين اسر مختلطة إغريقية – مصرية،وكذلك شيوع استخدام الأفراد أسماء مختلطة إغريقية مصرية . وقد استخلص بعض الباحثين من كثرة الوثائق التي يرد فيها ذكر مثل هذه

---

[١] Bevan, A History of Egypt Under the ptol. Dyn., p. 83; CHA.,X, pp. 297-298.

[٢] Bell, Hellenic Culture in Egypt, JEA., 8(1922), p. 147.

[٣] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج ٤، ص ١٣٢.

[٤] Bevan, Op. Cit., p. 86; Bowman, Egypt after the pharaohs., p. 124.

[٥] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج ٤، ص ص ١٣٦ – ١٣٧.

[٦] Rostovtzeff,S. & E. History of the Hellenstic World, pp.331.332,1397, fn. 126;
Bowman, Op. Cit., p.123.

الأسماء المختلطة دلالة علي كثرة التزاوج بين المصريين والإغريق[١]. بيد أنه يجب ان يؤخذ في الاعتبار أولا – ان أسماء بعض أفراد فرس السلالة إغريقية بحتة، وأسماء بعض آخر مصرية بحتة وأسماء بعض ثالث مصرية وإغريقية[٢]. وثانيا – أنه في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، تزوج"دروتون" الكريتي من سيدة قورينية و أنجب منها خمس بنات نراهن يحملن في إحدى البرديات أسماء إغريقية وفي بردية أخرى أسماءهن الإغريقية مقرونة بأسماء مصرية، وفي بردية ثالثة أسماءهن الإغريقية دون غيرها . وثالثا – إن كثيرين من يهود العصر الهلينيستي سواء في مصر أم في بلادهم ذاتها كانوا يستخدمون اللغة الإغريقية ويتخذون أسماء إغريقية وغير ذلك من مظاهر الحضارة الإغريقية، ولم يفسر ذلك بأنه كان نتيجة للزواج مع إغريق وإنما بالاصطباغ بصبغة إغريقية سطحية[٣].

ونستخلص مما مر بنا نتيجتين : احداهما هي انه منذ القرن الثاني قبل الميلاد لم يعد الاسم دلالة علي الجنسية، والأخرى هي أن اختلاط الأسماء لا يستتبع حتما انه كان نتيجة للتزاوج . وتبع لذلك فان التزاوج بين الإغريق والمصريين لم يكن بالكثرة التي يتوهمها البعض والتي قد تتبادر إلي الذهن لأول وهلة، إذ أن هذه الكثرة كانت نسبية فقط بالمقارنة بالقرن الثالث قبل الميلاد حينما لم يحدث هذا التزاوج إلا نادرا . ولعل أن هذا التزاوج لم يحدث إلا بين الإغريق المتمصرين والمصرين المتأغرقين لأنهم كانوا قريبين إلي بعضهم بعضا. ولاشك في أن هؤلاء الإغريق المتمصرين و أولئك المصريين المتأغرقين كانوا قلة بالنسبة إلي الأغلبية العظمي من المصريين والإغريق الصميمين. ولو صح أن التزاوج بين العنصرين المصري والإغريقي قد شاع في الشطر الثاني من عصر البطالمة، لما بقي سكان البلاد منقسمين إلي طبقتين مختلفتين في المرتبة، احداهما عليا تتألف من الإغريق وأشباههم، والأخرى سفلي تتكون من المصريين الصميمين[٤].

ومن المحتمل ان الجيمنازيوم لم يغلق أبوابه دون أثرياء المصريين المتأغرقين الذين تولوا المناصب العسكرية والمدنية الهامة. وإذا صح ذلك فانه لا يبعد انه في نهاية العصر البطلمي كانت عضوية الجيمنازيوم تشمل الإغريق والمتأغرقين بمعني انه من الناحية العرقية كان دخول الجيمنازيوم مباحا لأولئك الذين احتفظوا بدمائهم نقية، وكذلك لأولئك الذين كانت تجري في عروقهم دماء سلالتين نتيجة التزاوج بين الإغريق والمصريين فضلا عن المصريين الذين احتفظوا بدمائهم نقية ولكنهم تأغرقوا ثقافيا [٥].

---

[١] **Bell, JEA., 8(1922), p. 146; Bevan, op. Cit., pp. 86-87; Jones, Cities of the Eastern., pp. 309-310, 316; Nelson, Status Declarations, A. S. P., 19(1979), p. 23.**

[٢] **Montevecchi, contratti di matrimonio e gli atti di divorzi, Aeg., 16 (1936),p. 31.**

[٣] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج ٤، ص ١٣٣. راجع أيضاً، ج ٢، ص ص ١٥٩-١٦٠.

[٤] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج ٤، ص ١٣٤.

[٥] **Jones, Op. Cit., p. 309; Barns, pap. Brux., 14(1978), p. 13.**

ويحدثنا نقشان من الفيوم من القرن الأول قبل الميلاد عن قيام شابين من منظمة تدريب الشباب (εφηβους) بإهداء قطعة ارض مقدسة إلي"الإله سوخوس العظيم جدا" مما يؤكد تأثير المعتقدات المصرية علي بعض أفراد أرقي المنظمات الإغريقية الموجودة في الريف (χωρα)[١].

لكنه من ناحية أخرى يجب أن نذكر أن الجيمنازيا والبلايسترا الإغريقية كانت منتشرة في مختلف أنحاء مصر وأنها احتفظت بآلهتها الإغريقية مثل ما كانت عليه الحال في بلاد الإغريق، فقد كانت إهداءاتها توجه إلي" هرميس" و" هرقل" الإلهين التقليديين للبلايسترا [٢].

ويجب أن نؤكد انه إذا كان بعض المصريين قد اصطبغوا بالصبغة الإغريقية وأصبحوا يميلون إلي الاختلاط بالإغريق المتوطنين في الريف، فان الغالبية العظمي من المصريين وهم عامة الفلاحين سكان القرى قد احتفظوا بكل خصائصهم القديمة في الحياة وظلوا يتكلمون لغتهم الوطنية ويصيغون عقودهم باللغة الديموطيقية[٣].

ولم تتوقف إطلاقا التفرقة بين الطبقتين الإغريقية العليا والطبقة المصرية الدنيا ولكنه في رأي البعض أن هذه التفرقة أصبحت تتمثل في ناحيتي الثروة والثقافة أكثر منها في الناحية العرقية، فالأسرة التي كان أفرادها يتحدثون الإغريقية ويتعلمون آدابها وينتهجون النهج الإغريقي في طرق معيشتهم هم الذين كانوا يشكلون الطبقة العليا، وأما أولئك الذين التزموا باستخدام اللغة المصرية وإتباع أساليب الحياة المصرية فأنهم كانوا يعتبرون الطبقة الدنيا[٤].

رابعاً : الحياة الثقافية

١ - جامعة الإسكندرية (الموسيون)

تختلف المصادر القديمة فيما بينها على مؤسس " دار العلم " و" المكتبة الكبرى " فى الأسكندرية ،ومنها من يعتبر ذلك المؤسس بطلميوس الأول و منها من يعتبره بطلميوس الثانى. غير أن صلة ديمتريوس الفاليرى بمنشأ هاتين المؤسستين يرجح الرأى الأول لأن ديمتريوس فقد مكانته فى القصر البطلمى منذ أوائل عهد بطلميوس الثانى . ولا يبعد أن يكون بطلميوس الأول هو الذى خطا حوالى عام (٢٩٠ ق.م)الخطوة الأولى فى سبيل إنشاء دار العلم و المكتبة الكبرى.فقد فطن هذا العاهل الأريب إلى أنه إذا كانت القوة ضرورية للذود عن حياض مملكته و بسط رقعتها، فإن رعاية العلم و الأدب و الفن كانت أنجع وسيلة تكسبه وسلالته المجد و الخلود . ومن ثم فإنه أخذ يدعو إلى الأسكندرية الكثيرين من شعراء الأغريق و أدبائهم و فلاسفتهم و علمائهم و فنانيهم . وقد كان فى طليعة ضيوفه الفيلسوفان ديمتريوس الفاليرى _ الذى أوحى بإنشاء دار العلم و المكتبة _ و أستراتون الذى شارك فى إنشائهما .

---

[١] W.Chr. 141; 142;Bell,JEA.,8(1922), pp. 146-147; Jones, op.Cit., p. 310.

[٢] SB. 1164; 6158; BGU. 1256.

[٣] ادريس بل، الهلينية في مصر، ت. زكي علي، ص ٦٣.

[٤] Bavan, Op. Cit., p. 87.

و قد أنشئت دار العلم على نمط مدارس اثينا الفلسفية و بخاصة أكاديمية أفلاطون وليكيوم أرسطو لكن معهد الأسكندرية فاق سائر معاهد العلم القديمة . وكانت دار العلم أساسا معهد أبحاث و ليست معهد تعليم و تتألف من منتزه فسيح و مجموعة من المبانى تضم قاعات للأبحاث العلمية فضلا عن قاعة للاكل و أماكن لإقامة العلماء الذين كان يتألف منهم أعضاء الدار،وكان الملوك يدفعون لعلماء الدار مرتبات سخية و يوفرون لهم كل حاجياتهم المادية و يعفونهم من دفع الضرائب و أداء أى عمل يصرفهم عن بحوثهم.

وقد وفر البطالمة كل الاسباب التى كانت تهئ للعلماء القيام ببحوثهم،فكان فى متناول أيديهم محتويات المكتبة الكبرى التى كانت أعظم المكتبات القديمة،وخصصت لكل فرع من فروع العلم والمعرفة _ مثل الفلك و التشريح و الطبيعة و الميكانيكا- قاعة أو أكثر زودت بما يلزم من الأدوات والآلات و الأجهزة . وأما علماء النبات و الحيوان فكانت لديهم حدائق فسيحة تضم مختلف أنواع النبات و الحيوان،ولا سيما النادر منها .

ووفر البطالمة مطلق الحرية للعلماء فى متابعة بحوثهم دون أى توجيه أو ضغط سياسى أو دينى أو قومى، و دون توخى أى هدف سوى البحث عن الحقيقة . وفى كنف هذه الظروف إنطلق العلماء فى بحوثهم و أفادوا من كل ثمار البحوث السابقة سواء أكانت إغريقية أم مصرية أم بابلية فأحدثوا نهضة علمية باهرة لم يشهد العالم لها مثيلا من قبل .

وقد زار الجغرافي الشهير أسترابون " الموسيون " حين حضر إلي الإسكندرية في نهاية القرن الأول قبل الميلاد ،وأقام به خمس سنوات عكف في خلالها علي تأليف كتابه الخالد في الجغرافية . ووصف أسترابون الموسيون بقوله أنه " جزء من القصور الملكية ،ويشتمل علي منتزه ورواق به مقاعد ،وبيت كبير به قاعة لأجتماع العلماء أعضاء الموسيون " .

مكتبة الإسكندرية

وكانت دار العلم تتمتع بسخاء البطالمة ورعايتهم ، فحرصوا على أن يزودوها بأنفس المؤلفات ، فقد أراد بطلميوس أن تتفوق الإسكندرية علي أثينا كمركز للثقافة والعلم في العالم القديم ،ومن أجل ذلك،أسند الاشراف عليها إلى كوكبة من أبرز العلماء مثل ديمتريوس الفاليري الذي وضع في يده مبالغ مالية كبيرة من أجل شراء الكتب . وإذا كان بطلميوس الأول هو الذى وضع نواة المكتبة الكبرى بما جمعه من كتب ، فإن بطلميوس الثانى كلأها برعايته فنمت سريعاً إلى حد أنه عند منتصف القرن الثالث قبل الميلاد أى قبل نهاية حكمه، ضاق المبنى الأصلى للمكتبة بما فيه من كتب مما استوجب إنشاء مكتبة ثانية فى معبد السرابيوم تعرف باسم المكتبة الصغرى و أودع فيها (٤٢٨٠٠) مجلد لعلها كانت نسخا مكررة رؤى نقلها من المكتبة الكبرى ، و ذلك من ناحية لإيجاد مكان فيها لكتب أخرى أجدر بالإقتناء ،ومن ناحية أخرى لتوفير مكتبة ثانية يستطيع القارئ التردد عليها .

وقد إقتفى بطلميوس الثالث خطوات أبيه وجده فى جمع الكتب واستخدم فى ذلك وسائل لا يمكن ان يقره عليها احد اليوم، فقد أصدر أمرا يحتم على كل القادمين من الخارج أن يسلموا عند وصولهم إلى الأسكندرية كل ما معهم من كتب لإيداعها فى المكتبة إذا لم تكن من بين مقتنياتها ، على أن تنسخ صورة من كل منها تعطى لأربابها بدلا من النسخ الأصلية . ويروى ايضا أنه إستعار من أثينا النسخ الأصلية لمؤلفات "ايسخولوس" و "سوفوكليس" و "يوريبيديس " من أجل نسخها و قدم ضمانا ماليا كبيراً لكنه آثر على ذلك المبلغ إستبقاء النسخ الأصلية ورد نسخ جديدة بدلا منها . كما قام بشراء مكتبة أرسطو التي كانت في مدرسة الكيوم في أثينا بمبلغ مالي ضخم فقد كانت أكبر مكتبة في هذا العصر .

وتتفاوت تقديرات المصادر القديمة لعدد الكتب التى كانت تحويها كل من المكتبتين الكبرى و الصغرى . و من العسير الوقوف على الحقيقة، لأنه قلما يعرف الفترة التى تشير إليها المصادر ، ولا إذا كانت هذه التقديرات تتضمن محتويات المكتبتين أم المكتبة الكبرى فقط . و لعل أقرب هذه التقديرات إلى الحقيقة أنه كان يوجد فى المكتبة الصغرى(٤٢٨٠٠) مجلد و فى المكتبة الكبرى (٤٠٠ ٠٠٠) مجلد مختلطة و (٠٠٠ ٩٠) مجلد غير مختلطة . ويبدو أنه كان يقصد بعبارة "مجلدات غير لفافات من الأوراق البردية تحتوى كل منها كتابا واحدا صغير الحجم أو جزءا من كتاب كبير، وبعبارة "مجلدات مختلطة " لفافات بردية ضخمة تحتوى كل منها كتابين أو أكثر أو عدة أجزاء من كتاب كبير.

وتحدثنا المصادر القديمة بأنه عندما أحرق قيصر الأسطول المصرى فى خلال حرب الأسكندرية إرتفع اللهب بشدة حتى إمتد إلى رصيف الميناء و أحرق المبانى المجاورة له . و يروى بلوتارخ
أن المكتبة الكبرى كانت من بين هذه المبانى . و يؤكد سنكا ، وهو الذى استمد معلوماته من " لفيوس " ان عدد الكتب التى التهمتها النيران كان يبلغ على الأرجح (٤٠٠ ٠٠٠) مجلد . وقد أهدى أنطونيوس إلى كليوباترة مكتبة برجام ليعوضها عن الكتب التى إحترقت فى عهد قيصر ، وتحدثنا المصادر القديمة بأن هذه الهدية كانت تتألف من(٢٠٠ ٠٠٠) مجلد غير مختلطة .

ونتيجة لهذه الجهود الكبيرة أحتوت مكتبة الإسكندرية علي كل ما كان معروفاً في اللغة اليونانية من نثر وشعر . ولم تقتصر مكتبة الإسكندرية علي الكتب اليونانية بل ضمت أيضا كل ما أستطاعوا الحصول عليه من آداب وأخبار الشعوب الأخرى مثل كتاب المؤرخ المصري الشهير " مانيتون " السمنودي عن تاريخ مصر الفرعونية وهو صاحب تقسيم التاريخ المصري القديم إلي ثلاثين أسرة فرعونية المعمول به حتي الأن . وقد قام مانيتون بكتابة حولياته باللغة اليونانية ، وقدمه هدية للملك بطلميوس الثاني . ويبدو أيضا أن المكتبة ضمت مجموعة كبيرة من الكتب الفينيقية والعراقية مثل كتاب الآلهة الفينيقية،وكتاب التاريخ العراقي القديم الذي ألفه الكاهن والمؤرخ العراقي " بيروسوس " . هذا فضلا عن بعض كتابات الهنود البوذيين .

وقد قام علماء الإسكندرية بترجمة التوراة المعروف باسم الترجم السبعينية التي لاتزال موجودة حتى الآن وتعتبر أوثق نص نمتلكه للتوراة . وتروى حول هذه الترجمة قصة مشهورة وهي أن الملك بطلميوس الثاني أرسل إلي حاخام اليهود في بيت المقدس يطلب منه إرسال الكتب القانونية لدى اليهود ومعها عدد من رجاله الذين يتقنون اللغة العبرية واليونانية لكي يقوموا بترجمتها في الإسكندرية . فأرسل إليه الحاخام الكتب الخمسة المعروفة من التوراة وأرسل معها إثنين وسبعين من رجال الدين اليهود ليقوموا بترجمتها . وقد قام الملك البطلمي بوضع كل واحد منهم في غرفة مستقلة علي جزيرة فاروس،وحين أنتهوا من عملهم قورنت التراجم الإثنين والسبعين وجاءت كلها متطابقة تماما . وأن كان أغلب العلماء لا يقبلون بتفصيلات هذه القصة ،ولكن من المؤكد أن ترجمة التوراة تمت في الإسكندرية علي مراحل .

وقد أسدى العلماء الذين عينهم البطالمة فى المكتبة الكبرى خدمات جليلة للعلم ، إذ أنهم لم يقصروا عنايتهم على وضع فهارس للكتب بل وضعوا أسس علوم التصنيف و تحقيق النصوص و النقد الأدبى ، و أبتكروا العلامات الصوتية ، وكذلك علامات الإستفهام وما إليها من فواصل الكلام . وقد عكف زنودوتوس أول أمين للمكتبة الكبرى و مساعداه الإسكندر الايتولى و ليكوفرون الآيوبى ، على جمع و تصنيف و تحقيق و نقد الشعر الإغريقى ، فأخذ زنودوتوس لنفسه نصيب الأسد : هوميروس وهيسودوس وبعض أشعار بينداروس و أناكريون ، بينما عهد إلى الإسكندر بالتراجيديا و إلى ليكوفرون بالكوميديا . وكان علماء الأسكندرية عند دراسة أى مؤلف يهتمون أولا بتحقيق النص ثم بشرح لغته و بعد ذلك بتفسير الموضوعات التى يتناولها .

وقد قام كاليماخوس بتصنيف الكتب إلى ثمانية أصناف ووضع فهرس لها رتبها فى بعض الأصناف ترتيبا زمنيا و فى البعض الآخر ترتيبا ابجديا اما للموضوعات وإما للمؤلفين . وكانت الفهارس تتضمن فضلا عن أسماء المؤلفين و أسماء الكتب الجملة الأولى فى كل كتاب و عدد سطوره و ترجمة أدبية موجزة .

ولم يقتصر نشاط الأسكندرية فى مجال الشعر على القيام بدور رئيسى فى دراسة الشعر الإغريقى القديم بل شمل كذلك احياء فنون الشعر التى اهملها شعراء العصر الكلاسيكى . و كانت أحب الوان الشعر الى قلوب الاسكندريين هى الشعر الحماسى و المرثيات و الشعر الغنائى والشعر السباعى و المقطوعات القصيرة. ومما يستوقف النظر أن فن الشعر الهلينيسى الذى نشا فى مصر كان إغريقيا بحتا و لا يمت إلى مصر أو شعبها إلى حد أن تيوكريتوس عندما كان يتغنى بوصف الطبيعة، كان لا يصف جمال الطبيعة فى مصر و انما فى جزيرة كوس أو فى مدينة سراقوسة . وقد كان الشعراء لا يعرفون عن مصر ، حتى بعد ما عاشوا فيها ، الا ما قرأوه فى القصص و الخرافات الإغريقية أو ما كتبه هيرودوت و أفلاطون و كانوا لا

يوجهون عنايتهم الى شئ من المميزات المحلية إلا ما يستطيعون إستخدامه فى اطراء الملك الذى يرعاهم . ومن العسير ان نجد فى أشعارهم انطباعا شخصيا ولو طفيفا عن رحلة نيلية مثلا .

ويعتبر كاليماخوس أبرز شعراء الأسكندرية فى عصره . وقد ولد فى قورينى حوالى عام (٣١٠ ق.م) ثم هاجر بعد ذلك غلى الأسكندرية حيث نلقاه لأول مرة يقوم بالتدريس فى ضاحيتها المشهورة اليوسيس . عهد اليه بمنصب كبير فى المكتبة الكبرى حيث قضى الشطر الأوسط من حياته فى وضع الفهارس التى سلفت الاشارة اليها. ولم يشغله ذلك عن صناعة الشعر ، فقد استمر ينظم الشعر حتى اواخر حياته ،واشتبك مع ابولونيوس الرودسى فى نزاع أدبى مرير يعتبر أعظم نزاع من نوعه فى العصر الهلينيسى، و مع ذلك لا نعرف سببه عن يقين . ولم يولد فى مصر شاعر هلينيسى من الطراز الأول الا ابولونيوس الذى اطلق عليه لقب الرودسى لأنه استقر فى رودس و اصبح أحد مواطنيها بعد ان طرده بطلميوس الثالث من منصب أمين المكتبة الكبرى، لكنه كان فى الأصل من أبناء نقراطيس أو الأسكندرية . وقد اتبع ابولونيوس اساليب عصره فى عدة قصائد الفها عن تاسيس المدن، لكنه تحدى هذه الأساليب فى أعظم قصائده و تعرف باسم ارجوناوتيكا بها نواحى ممتازة كثيرة اهمها قوة التحليل النفسانى و روعة وصف الطبيعة .

ويبدو كأن الشعر استنفد طاقة أدباء الاسكندرية فلم يزدهر فيها من الوان النثر الا النثر العلمى كالتاريخ و الجغرافيا و الطب و التاريخ الطبيعى والعلوم الرياضة . و قد كان التاريخ يحتل مكان الصدارة فى النثر الاسكندرى . و اذا تركنا الاسلوب جانبا ،فاننا نلاحظ أن المؤرخين قد تأثروابعاملين كان لهما أسوأ الأثر فى افساد مؤلفاتهم . أما العامل الأول فهو أثر المشائين اذ أن غرامهم بجمع المعلومات كما هى أفضى الى الخلط بين الحقائق و القصص دون اى تمييز. وقد كان أهم ما اختص به المشاءون كتابة تاريخ حياة الأفراد البارزين لكنه كان يشوه هذه التواريخ عادة المزج بين الحق و الباطل . و أشهر مؤرخى حياة الأفراد فى الاسكندرية فى خلال القرن الثالث اثنان كان أحدهما يدعى ساتوروس والآخر هرميبوس. و من حسن الحظ أنه فى القت الذى خضع فيه التاريخ لتلك المؤثرات التى افسدته وجد اشخاصا يميلون الى الحقيقة ، مثل بطلميوس الأول الذى استمد معلوماته فيما كتبه عن الاسكندر من الوثائق الرسمية و من مذكراته و مشاهداته الخاصة ، فكان كتابه تاريخا فريدا فى بابه اذ ذاك،لكنه مع الأسف لم يصل الينا الا بعضه عن طريق اريانوس الذى اعتمد عليه . أما التاريخ المصرى الوحيد الذى يمكن ان يوثق به ويرجع الى ذلك العصر فهو ما كتبه مانيتون ،الذي سبق الإشارة إليه ،وكان كبير كهنة هليوبوليس،وبالتالي كان مطلعا بحكم منصبه و قربه من الملك البطلمي علي الوثائق الرسمية اللازمة لكتابة حولياته ، كما كان علي دراية تامة باللغة المصرية القديمة علي النحو الذي مكنه من الأعتماد على الوثائق المصرية .

وقد كان للجغرافيا مكان بارز فى النثر الاسكندرى الى حد ان ما كتبه فيها العالم الجغرافى اراتوسثنيس يعتبر أعظم مثل للنثر الإسكندرى . ويعزى ما أصابه اراتوسثنيس من النجاح الكبير فى علم الجغرافيا الى

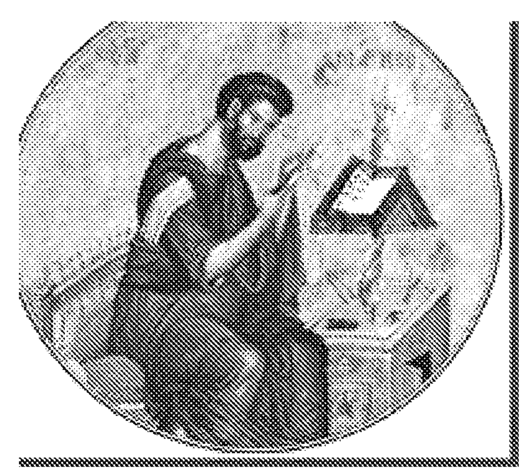
مقدرته فى الرياضة، و أهم مؤلفاته فى الجغرافيا كتابان كان احدهما بحثا فى قياس أبعاد الكرة الأرضية، والآخر كتابا فى ثلاثة أجزاء يدعى علم الجغرافيا ". وقد قدر فى الكتاب الأول محيط الكرة الأرضية تقديرا يثير الإعجاب لشدة قربه من التقدير الصحيح الذى توصل اليه العلماء فى العصر الحديث. وتتبع فى الجزء الأول من كتاب علم الجغرافيا تاريخ جغرافية بلاد الاغريق منذ هومروس حتى عصر الأسكندر. وقد اثبت فى الجزء الثانى آراءه عن شكل الأرض و حجمها و طبيعة المحيط و مداه . واما الجزء الثالث فهو جغرافية وصفية للعالم وفق الخريطة التى وضعها له، و فيها قسم العالم المأهول بالناس _ بخط يمتد من قادس حتى اواسط آسيا- الى نصف شمالى و نصف جنوبى يتألف كل منهما من عدة مناطق. و تمثل بعض النتائج التى توصل اليها حلا وسطا بين الماضى و الحاضر، مما أثار عليه نقد العالم المدقق هيبارخوس الذى عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد . و قد أصبحت الجغرافيا على يدى هذا العالم وأتباعه علما لايتناوله إلا المتخصصون .

وقد بلغت العلوم الاغريقية شأوا بعيدا فى العصر الهلينيسى بعد الخطوات الموافقة التى خطتها قبل ذلك العصر.وقد تقدم علم التشريح بوجه خاص تقدما كبيرا و كان أبرز علماء الطب فى الأسكندرية هيروفيلوس العالم فى التشريح و أراسيستراتوس العالم فى الفسيولوجيا . وهيروفيلوس هو صاحب الفكرة القائلة بأن الشرايين تحمل دما لا هواء كما كان يظن ، و أنها لا تنبض من تلقاء نفسها و انما من القلب و بذلك كشف فعلا الدورة الدموية، لكن هذا الكشف الجليل أُهمل من بعده و أسدل عليه ستار النسيان الى أن بعثه هارفى الى عالم الوجود . وقد وجه هيروفيلوس عناية كبيرة الى ضربات النبض . و كان يستخدم أداة بديعة لتقدير سرعة النبضز و كان يستخدم اداة بديعة لتقدير سرعة النبض، و لعل هذه كانت أولى المحاولات للحصول على تقديرات دقيقة. و كان هيروفيلوس يستخدم العقاقير على نطاق أوسع من أبقراط و مدرسته. وكان طيه طب الأمزجة ، وهى الدم و البلغم و الصفراء و السوداء، و كان يرى أن تغيرها يسبب كل الأمراض. و قد كانت أبحاثه التشريحية تدور حول المخ و الأعصاب و الكبد و الرئتين وو أعضاء التناسل. ويبدو من النتائج التى توصل اليها انه لم يقم بتشريح الحيوان فحسب بل الأنسان ايضا . و تؤكد الروايات القديمة انه كان يقوم بفحص جثث الموتى ، بل انهم هو واراسيستراتوس باجراء التجارب على الأحياء، إذ يقال ان البطالمة كانوا يسمحون بتشريح المجرمين .

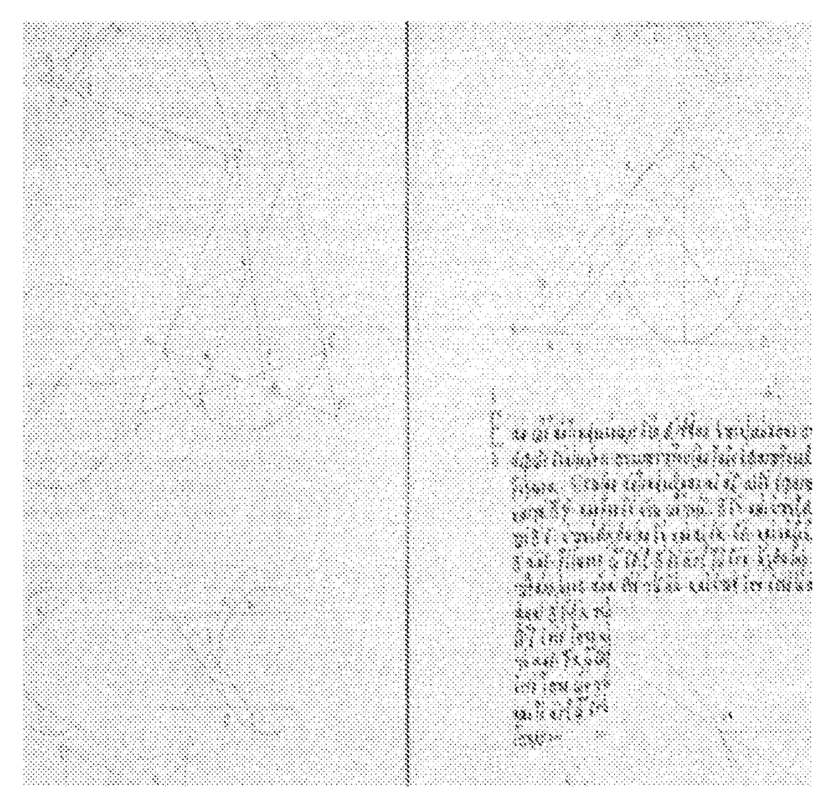
وكان هيروفيلوس أول من كون فكرة واضحة عن الجهاز العصبى ، و فرق بين الأعصاب الحساسة و الأعصاب المحركة و بين المخ و المخيخ ،و أسهم كثيرا فى معرفة بطين المخ ، و وجه عناية كبيرة الى التجويف الذى يوجد فى البطين الرابع. ولا يزال رجال الطب يستخدمون حتى اليوم بعض الاسماء التى أطلقها على أجزاء الجسم ، مثل الأثنى عشر وهى ذلك الجزء من الأمعاء الدقيقة الذى يلى المعدة . و قد

كان لهيروفيلوس اتباع كثيرون كان من بينهم اندرياس الذى كان من اعلام الطب والطبيب الخاص لبطلميوس الرابع .

وقد كانت الهندسة فى العصر الهلينيسى تحتل مكان الصدارة بين العلوم الرياضية فقد كانت تعتبر اساسها جميعا ، لأن الأرقام لم تكن قد أُبتكرت بعد ،ولأن الهندسة كانت تشمل الكثير مما يعتبر اليوم علم الجبر.



صورة لأحد علماء الإسكندرية خلال العصر البطلمي



نسخة مخطوطة من كتاب " المخروطات " الذي الفه عالم الرياضيات أبولونيوس في الإسكندرية حوالي عام (٢٠٠) قبل الميلاد .

وفى عهد بطلميوس الثالث تألق نجم أبولونيوس ،وهو الذي ولد في برجا بأقليم بامفوليا ،ودرس مدة طويلة فى الأسكندرية على خلفاء اقليدس ، ووضع كتابا من ثمانية أجزاء عن " المخروطات " أكسبه لقب " عالم الهندسة الأكبر " لأنه ارتقى بالهندسة البحث الى ارفع مستوى يمكن ان تصل اليه بمفردها . ذلك أنها بقيت حيث تركها ابولونيوس عدة قرون، ولم تتقدم عن ذلك الا فى العصور الحديثة ،عندما استعان علماء الهندسة برموز الجبر و طرقه و علم التفاضل . وعلي هذا النحو مهدوا السبيل الى ظهور هندسة الحداثيات . و الواقع أن علم الفلك يتصل بالهندسة اتصالا وثيقا ، و أن علماء الفلك الاغريق يدينون بشئ من الفضل غير قليل لعلماء بابل الذين جمعوا منذ عهد بعيد ملاحظات تجريبية عن الأجرام السماوية،وأن الخريطة الاغريقية للسماء مثل الخريطة الحديثة بابلية الأصل .

وقد خطا علم الفلك خطوات واسعة على يدى اريستارخوس الذى كان يعيش فى القرن الثالث قبل الميلاد ويلقب بالرياضى ، للتفرقة بينه وبين الكثيرين ممن يحملون الاسم نفسه ،ويوصف اليوم بأنه كوبرنيق العصور القديمة .وقد كتب مثل استاذه استراتون عن الرؤية و الضوء و الألوان، لكن شهرته ذاعت بوصفه عالما رياضيا فلكيا،ووضع عدة كتب كان أشهرها عن حجم وأبعاد الشمس و القمر. وقد

اقتفى أثر هيراقليدس فى القول بان الارض و الكواكب تدور حول الشمس . و قد قام اريستارخوس ببحوث مثيرة للكشف عن أقصى و أدنى المقاييس لقطر القمر و ذلك بالنسبة الى بعده عن مركز الأرض،ولبعد الشمس عن الأرض و ذلك بالنسبة الى بعد القمر عن الأرض ،و لقطرى الشمس و القمر و ذلك بالنسبة الى قطر الارض . حقا أن نتائجه كانت خاطئة لكنه كان اول من اجترأ على القيام بهذه الدراسات النسبية.مما مهد السبيل إلى معرفة الحجم الحقيقى لكل من الشمس والقمر والبعد الصحيحح لكل منهما عن الارض .

و أما أعظم علماء الفلك فى الأسكندرية و فى العالم القديم قاطبة و يدعى هيبارخوس و أدى خدمات جليلة لعلم الفلك بفضل استخدام حساب المثلثات لأول مرة استخداما منظما دقيقا. وقد كانت أعظم كشوفه تحديد الأعتدالين الربيعى والخريفى ، و تقدير طول الشهر القمرى فى المتوسط بفترة من الزمن طولها ٢٩ يوما ، ١٢ ساعة ، ٤٤ دقيقة ، ٢ ثانية ، وهو تقدير مدهش لأنه لا يقل إلا بمقدار ثانية واحدة عن التقدير المقبول اليوم . ووضع هيبارخوس فهرسا بالنجوم الثابتة أثبتت فيه (٨٥٠) نجما أو ما يزيد على ذلك ، و فرق بين مقدار لمعانها ، و أوضح مواقعها ، و أنشأ كرة بين عليها مواقع النجوم على نحو ما حددها ، و أدخل التحسينات كبيرة على آلات الملاحظة وأخيراً وضع كتابا فى الجغرافيا كان اساسه نقد جغرافية اراتوستثنيس، و نادى فى هذا الكتاب بضرورة تطبيق الفلك على الجغرافيا . ولا أدل على ما يدين به العلم الى هيبارخوس من أن كشوفه بقيت مقبولة ويفيد منها العلماء حتى عهد كوبرنيق و جاليليو و كبلر.

ويعد ارخميديس السراقوسى أعظم عبقرية مبتكرة بين علماء الرياضة الأغريق . و تروى عن ارخميديس نوادر كثيرة،منها كيف أنه كشف الكثافة النوعية ذات يوم و هو فى حمام عام، فهرع عاريا الى بيته وهو ينادى زوجه بأعلى صوته " لقد وجدتها " ،و كيف أن الوسائل الميكانيكية التى اخترعها منعت الرومان مدة طويلة من الإستيلاء على سراقوسة . ولا شك فى أنه قد اخترع لولبه لرفع الماء عندما كان مقيما فى مصر.و يحدثنا شيشرون بأنه رأى بنفسه كرة فلكية اخترعها ارخميديس لتقليد حركات الشمس والقمر والكواكب،وبأن هذا الجهاز كان دقيقا الى حد أنه كان يستطيع اظهار كسوف الشمس و خسوف القمر و الكواكب .

وعلي هذا النحو قامت جامعة الإسكندرية خلال العصر الهلينيستي،بفضل رعاية الملوك البطالمة للعلماء وتنظيم البحث العلمي الجماعي،بنهضة علمية باهرة لم يشهد العالم مثيلاً لها من قبل،كان لها أكبر الأثر في تقدم الحضارة الأنسانية علي مر العصور ،فلم يقتصر تأثيرها علي العصر القديم وأنما أمتد هذا التأثير خلال العصور الوسطى،عندما أفاد العرب كثيراً في بناء حضارتهم من خلال حركة الترجمة والنقل للتراث العلمي السكندري،فكثير مما جادت به القرائح العربية في الفلسفة والرياضيات والفلك والطب والكيمياء والفيزياء كان يعتمد علي أصل إغريقي سكندري . كما أن أوربا لم تنهض نهضتها الحديثة إلا بفضل رجوعها لهذا التراث في بداية العصور الحديثة .